كتاب

تاريخ أدب اللغة العربية

تأليف

محمد بك ديلو

« المفتش الثانى للغة العربية بنظارة المعارف

العلم شيء حسن * فكن له ذا طاب

المرجو ممن اطلع على نسخة من هذا الكتاب غير مختومة بختم المؤلف ان يردها اليه ويأخذ بدلها خمس نسخ.

(الجزء الثانى)

* حقوق الطبع محفوظة للمؤلف *

مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م

كتاب

تاريخ أدب اللغة العربية

تأليف

محمد بك ديب

« المفتش الثانى للغة العربية بنظاره المعارف

العلم شيء حسن * فكن له ذا طلب

المرجو ممن اطلع على نسخة من هذا الكتاب غير مختومة بختم المؤلف ان يردها اليه ويأخذ بدلها خمس نسخ

(الجزء الثانى)

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

فى تاريخ النحو والصرف والاشتقاق

(وفيه فصلان)

الفصل الاول

فى تعريف النحو والصرف والاشتقاق

« النحو » كان يطلق على ما يعم الصرف فكان يبحث فيه عن ابنية الكلم واحوالها مفردة ومركبة وكتب السلف ناطقة بذلك قال ابن جنى فى الخصائص : هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها فى الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رد اليها وهو فى الاصل مصدر شائع اى نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم اهـ . وقيل النحو علم بأقيسة تعبر ذوات الكلم واواخرها بالنسبة الى لغة العرب . ثم عُنِي العلماء بالصرف وافردوه بالتصنيف لتشعب مسائله وخصصوه بعلم ابنية

الكلم واحوالها مفردة فالابنية كبناء اسم الفاعل من الثلاثى على فاعل واسم المفعول على مفعول واسم التفضيل على افعل واسم المكان واسم الزمان على مفعَل او مفعِل والاحوال كالاعلال والادغام والحذف والابدال . وفى الارتشاف لابى حيان : التصريف ينقسم الى قسمين احدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارىء عليها وينحصر فى الزيادة والحذف والابدال والقلب والنقل والادغام اه . وكذا أفردوا النحو بالتأليف واطلقوه على علم احوال الكلم وهى مركبة خاصة كرفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وتقديم المبتدا على الخبر فى حال وتأخيره فى حال وحذف احدهما عند الاقتضاء . والاشتقاق اخذ كلمة من اخرى بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما فى الصيغة أو هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر والاول باعتبار العمل والثانى باعتبار العلم والاشتقاق يكون صغيراً ان كان بين اللفظين تناسب فى الحروف الاصلية وترتيبها نحو جذب من الجذب وكبيراً ان كان بينهما تناسب فى الحروف دون الترتيب نحو جذب من الجبذ واكبر ان كان بينهما تناسب فى نوع بعض الحروف وفى مخارج البعض الآخر كنعق من النهق وثلب من الثلم واذا اطلق الاشتقاق انصرف للصغير . وقال فى كشف الظنون : الاشتقاق علم باحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الاخير يخرج الصرف اذ يبحث فيه ايضاً عن الاصالة والفرعية بين الكلم لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة مثلاً يبحث فى الاشتقاق

عن مناسبة تهق ونعق بحسب المادة وفى الصرف عن مناسبته بحسب الهيئة فامتاز احدهما عن الآخر واندفع توهم الاتحاد وموضوعه المفردات من الحيثية المذكورة ومبادئه كثيرة منها قواعد مخارج الحروف ومسائله القواعد التى يعرف منها ان الاصالة والفرعية بين المفردات باى طريق يكون وباى وجه يعلم ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات الفاظ العرب واستعمالاتها والغرض منه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب وغايته الاحتراز عن الخلل فى الانتساب واعلم ان مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض الى البعض على وجه كلي ان كان فى الجوهر فالاشتقاق وان كان فى الهيئة فالصرف فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة وان الاشتقاق واسطة بينها ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة فى التعليم ثم انه كثيراً ما يذكر فى كتب التصريف وقلما يدون مفرداً عنه اما لقلة قواعده او لاشتراكها فى المبادئ حتى ان هذا من جملة البواعث على اتحادهما والاتحاد فى التدوين لا يستلزم الاتحاد فى نفس الامر قال صاحب الفوائد الخاقانية اعلم ان الاشتقاق يؤخذ تارة باعتبار العلم وتارة باعتبار العمل وتحقيقه ان الضارب مثلاً يوافق الضرب فى الحروف الاصول والمعنى بناء على ان الواضع عين بازاء المعنى حروفاً وفرّع منها الفاظاً كثيرة بازاء المعانى المتفرعة على ما تقتضيه رعاية التناسب فالاشتقاق هو هذا التفريع والاخذ فتحديده بحسب العلم بهذا التفريع الصادر عن الوضع هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فتعرف رد احدهما الى الآخر واخذه منه وان اعتبرناه من حيث احتياج احد الى عمله عرفناه باعتبار العمل فنقول هو ان تأخذ من اصل

فرعاً يوافقه فى الحروف الاصول ويجعله دالاً على معنى يوافق معناه اه .
والحق ان اعتبار العمل زائد غير محتاج اليه وانما المطلوب العلم باشتقاق الموضوعات اذ الوضع قد حصل واتقضى على ان المشتقات مرويات عن اهل اللسان ولعل ذلك الاعتبار لتوجيه التعريف المنقول عن بعض المحققين ثم ان المعتبر فيهما الموافقة فى الحروف الاصلية ولو تقديراً اذ الحروف الزائدة فى الاستعمال والافتعال لاتمنع وفى المعنى ايضاً اما بزيادة او نقصان فلو اتحدا فى الاصول وترتيبها كضرب من الضرب فالاشتقاق صغير ولو توافقا فى الحروف دون الترتيب كجبذ من الجذب فهو كبير ولو توافقا فى اكثر الحروف مع التناسب فى الباقي كنعق من النهق فهو اكبر اه . وفى الارتشاف الاشتقاق اكبر واصغر فالاكبر هو عقد تقاليب الكلمة كيفما قلبتها على معنى واحد نحو القول والقلو والولق والوقل واللقو واللوق على معنى الخفة والسرعة والكلم والكمل واللكم واللمك والمكل والملك على معنى الشدة والقوة ولم يقل بهذا الاشتقاق الا ابو الفتح والاشتقاق الاصغر انشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها كاحمر من الحمرة وهذا الاشتقاق انبنه الجمهور فى ان بعض الكلام قد يشتق من بعض ولا بد من اتحاد فى الحروف الاصلية على ترتيب واحد وفى المعنى ويدل على ان اللفظ فرع دلالته على معنى زائد على ما اشتق منه نحو ضارب وضرب والاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان ويغلب فى العلم ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من الاغتراب وجرادة من الجرد اه (وكان للاشتقاق باقسامه الثلاثة اهمية

كبرى) فى قياس اللغة واستنباطها وعلى ذلك كان مدار السلف فى تدوينها قال ابن فارس فى فقه اللغة : اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان للغة العرب قياساً وان العرب تشتق بعض الكلم من بعض وان اسم الجن مشتق من الاجتنان وان الجيم والنون تدلان ابداً على الستر تقول العرب للدرع جنة واجنه الليل وهذا جنين اى هو فى بطن امه وان الانس من الظهور يقولون آنست الشيء ابصرته وعلى هذا سائر كلام العرب اه . وسأل عمرو ابن العلاء اعرابياً عن اشتقاق الخيل فقال الاعرابى استفاد الاسم من فعل السير يريد ان في مشيها خيلاء فاخذ اسمها من ذلك وكان الزجاج يقول الرحل مشتق من الرحيل والثور انما سمى ثوراً لانه يثير الارض والثوب انما سمى ثوباً لانه ثاب لباساً بعد ان كان غزلاً .

الفصل الثانى

فى تاريخ النحو بالمعنى العام

كان العرب يتكلمون كلاماً معرباً بالسليقة والطبع قال اعرابى :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى اقول فاعرب

فلما جاء الاسلام وقضى باختلاطهم مع الاعاجم تولد فى لسانهم اللحن واول ما ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى عليه الصلاة والسلام فخوفاً من فساد اللغة وضع الامام على رابع الخلفاء الراشدين اصولاً لذلك اعطاها لابى الاسود الدؤلى وامره بان ينحو منحاها فصار يتبع ما رسمه له

الامام ويزيد فى هذه الاصول ويعرض عليه كل ما عنَّ له فى هذا الشأن فكان ذلك مبدأ علم النحو وصار الامام يرغب فى تعلم هذا العلم . فمما يروى عنه انه قال :

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا اردت من العلوم اجلها ... فاجلها عندى مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره ... فتراه يسقط من لحاظ الاعين
ماورَّث الآباء فيما ورَّثوا ... ابناءهم مثل العلوم فأتقن

وعلى ما تقدم يظهر ان ذوى العرفان من العرب قبل وضع النحو كانوا يعرفون علم لسانهم بالتلقى والوراثة عن اسلافهم بدون تدوين فى كتاب ولا معرفة للالفاظ الاصطلاحية الحديثة يرشد الى ذلك حكاية الخنساء وحسان فى سوق عكاظ وقد مرت فى الشعر وحكاية النابغة وقينة المدينة السالفة عند الكلام على القافية وما روى عن عمر ثانى الخلفاء انه قال تعلموا العربية فانها تزيد فى العقل والمروءة — ويقال ان السبب فى وضع باب التعجب والاستفهام ان ابا الاسود كان مع ابنته على سطح بيته فرأت السماء ونجومها الزواهر وحسن نظامها البديع الباهر فقالت يا ابت ما احسنُ السماء بضم النون فقال نجومها ظناً انها تسأله عن اي شيء احسن مما نظرته فيها فقالت يا أبت انما اردت التعجب من حسنها وبهجتها فقال اذن قولى ما احسنَ السماء وافتحى فاك وقيل انه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا ابت ما اشد الحر متعجبة ورفعت اشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت انما اخبرتك ولم اسألك وان السبب فى وضع باب العطف والنعت انه سمع رجلاً يقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر وتقدَّم فى

الكلام على الخط ان هذا ايضاً كان سبباً فى وضع علامات الاعراب ولما وضع باب ان واخواتها وعرضه على الامام امره بزيادة (لكنّ) وروى عاصم قال جاء ابو الاسود الى زياد وهو امير البصرة فقال انى ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وفسدت السنتها أفتأذن لى ان اضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل قال فجاء رجل الى زياد فقال اصلح الله الامير توفى ابانا وترك بنونا فدعا زياد ابا الاسود وامره بان يضع ما كان نهاه عنه اه . وكان ابو الاسود يجلس لتعليم النحو والناس يختلفون اليه للاخذ منه وكان يزيد فيما وضعه وكان اعلم الناس بكلام العرب .

يحكى ان غلاماً كان يتعلم منه النحو فقال له يوماً ما فعل ابوك قال اخذته حمى فضختنه فضخا وطبختنه طبخا وفتختنه فتخا فتركته فرخا قال فما فعلت امرأة ابيك التى كانت تشاره وتجاره وتضاره وتزاره وتهاره وتماره قال طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت وبظيت قال وما بظيت يا ابن اخي قال حرف من العربية لم يبلغك قال لا خير لك فيما لم يبلغنى منها ومات ابو الاسود فى خلافة عبدالله بن الزبير (سنة ٦٧) . وكان اخذ عنه النحو الناس نقلوه الى آخرين وهؤلاء الى غيرهم وزادوا فى الاصول وفرعوا وخالطوا عرب البوادى واستنبطوا علوم لغتهم من كلامهم فان لغات الحضر كان عرض لها الاختلال وانقسم القوم فى بعض المسائل الى بصريين وهم اهل البصرة وكوفيين وهم سكان الكوفة مدينتان مشهورتان بالعراق العربى تسميان المصرين فاتسع الادب فى هاتين المدينتين اتساعاً عظيماً وتدونت فيه كتب كثيرة وعنهما انتشر بين اهل العراق والاندلس والمغرب ومصر وغيرهم .

نحاة البصرة

(فمن نحاة البصرة عنبسة بن معدان) ويقال له عنبسة الفيل روى الشعر وتعلم النحو من ابى الاسود وكان ابرع اصحابه

(ومنهم ميمون الاقرن) أخذ عن ابى الاسود وعن عنبسة فرأس الناس وزاد فى الشرح

(ومنهم عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى) اخذ عن ميمون وكان اعلم اهل البصرة وهو اول من علل النحو وقاسه وكان يردّ كثيراً على الفرزدق ويكلمه فى شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له ابن ابى اسحق ولقد لحنت ايضاً فى قولك مولى مواليا وكان ينبغى ان تقول مولى موال وتوفى بالبصرة سنة ١١٧ فى خلافة هشام ابن عبد الملك

(ومنهم ابو عمرو بن العلاء المازنى) كان فى عصر ابن ابى اسحق وكان اعلم الناس بالعربية والشعر ومذاهب العرب روى انه سئل عن قوله تعالى فعززنا بثالث فقال المعنى شددنا وانشد :

أُجُدٌ اذا ضمَرَت تعزّ لحمها واذا يشد بنسعها لا تنبس[1]

ويروى عنه قال كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه على لفظ (فرجة) هل هو بالفتح او بالضم فسمعت قائلاً يقول :

ربما تجزع النفوس من الامـ ـر له فَرْجة كحلّ العقال

---

(١) اجداى ناقة قوية وتعزز اشتد ولا تنبس لا تصوت

بفتح الفاء من نرجة ثم قال الا انه قد مات الحجاج قال ابو عمرو فما ادرى بايهما كنت اشد فرحاً بقوله (فرجة) او بقوله (مات الحجاج) وتوفى ابو عمرو سنة ١٥٤ فى خلافة المنصور

(ومنهم عيسى بن عمر الثقفى) اخذ عن ابى عمرو وكان عالماً متفيقهاً يتقعر فى الكلام ويستعمل غريب الالفاظ الف كتابين فى النحو احدهما مبسوط سماه الجامع والآخر مختصر سماه المكمل وفيهما يقول الخليل :

بطل النحو الذى الفتمو غيرماالف عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وتوفى سنة ١٤٩ فى خلافة المنصور

(ومنهم يونس بن حبيب الضبى) اخذ عن ابى عمرو وسمع من العرب وكان من اكابر النحويين له مذاهب واقيسة تفرد بها وكان يقصد حلقاته بالبصرة طلبة العربية وفصحاء الاعراب والبادية وتوفى سنة ١٨٣ فى خلافة الرشيد .

(ومنهم ابو خطاب الاخفش) اخذ عن ابى عمرو ايضاً وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها

(ومنهم الامام الخليل بن احمد) اخذ عن ابى عمرو وعيسى بن عمر ولم يكن قبله ولا بعده مثله وكان اعلم الناس واذكاهم وافضلهم قالوا لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ولا اجمع ولا كان فى العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع قال ابو عمرو التوجى اجتمعنا بمكة ادباء كل افق فتذاكرنا امر العلماء حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق احد الا قال الخليل

اذ كى العرب وهو مفتاح العلوم وابدع الخليل بدائع لم يسبق اليها كتأليفه اللغة فى كتاب العين واختراعه العروض توفى سنة ١٦٠

(ومنهم ثلاثة) كانوا فى عصر واحد وكانوا ائمة الناس فى النحو واللغة والشعر منهم اخذ جل ما فى ايدى الناس من هذا العلم وهم (ابو زيد وابو عبيدة والاصمعى) وكلهم اخذوا عن ابى عمرو وعيسى بن عمر وابى الخطاب الاخفش ويونس بن حبيب وعن جماعة من ثقات الاعراب وعلمائهم مثل ابى مالك عمرو بن كركرة صاحب النوادر من بنى نمير

(وابو زيد الانصارى) كان اعلم الثلاثة بالنحو اخذ عنه اكابر الناس منهم سيبويه قال كان يأتى مجلس سيبويه وله ذؤابتان فاذا قال وحدثنى من اثق بعربيته فانما يريدنى ويروى ان اعرابياً وقف على حلقة ابى زيد فظن ابو زيد انه قد جاء يسأل عن مسألة فى النحو فقال له سل يا اعرابى فقال له على البديهة :

لست للنحو جئتكم ... لا ولا فيه ارغب
انا مالى ولامرئ ... ابد الدهر يضرب
خل زيداً لشأنه ... اينما شاء يذهب
واستمع قول عاشق ... قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلة ... فهو فيها يشبب

وكبر سن ابى زيد حتى قارب المائة ومات سنة ٢١٤ فى خلافة المأمون ومن مصنفاته كتاب النوادر فى اللغة وقد طبع فى عصرنا سنة ١٣١٤

(وابو عبيدة) كان اعلمهم بايام العرب واخبارهم وانسابهم وهو اول من الف غريب الحديث واقدمه من البصرة الى بغداد الوزير الفضل بن

الربيع فلما حضر انشده فطرب منه ثم دخل ابراهيم بن اسماعيل من كتّاب الوزير وجلسائه فاجلسه بجانبه وسأله أتعرف هذا قال لا قال ابو عبيدة علامة اهل البصرة اقدمناه لنستفيد من علمه فبعد ان حياه استأذنه فى مسألة فقال هات قال قال الله تعالى (طلعها كانه رؤس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فاجابه بان الله انما كلم العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن ذلك الفضل وابراهيم وكان هذا سبباً فى ان يضع ابو عبيدة كتاباً فى مجاز القرآن وتوفى سنة ٢٠٧

(والاصمعى) كان اتقن القوم باللغة واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر قال الاخفش ما رأينا احداً اعلم بالشعر من الاصمعى وخلف قيل له ايهما اعلم قال الاصمعى لانه كان نحوياً وكان الامام احمد بن حنبل يقول ان الاصمعى ثقة فى السنة وقال الشافعى ما رأيت بذلك المعسكر اصدق من الاصمعى توفى سنة ٢١٣ فى خلافة المأمون ورثاه ابو العتاهية بقوله :

اسفت لفقد الاصمعى لقد مضى حميداً له فى كل صالحة سهم
تقضت بشاشات المجالس بعده وودعنا اذ ودع الانس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته فلما انقضت ايامه افل النجم

(ومنهم) حماد بن سلمة وابو بشر عمرو المعروف بسيبويه والنضر بن شميل المازنى وابو محمد اليزيدى وكلهم اخذوا عن الخليل وغيره

وكان سيبويه اعلم الجميع بالنحو يروى ان سبب قراءته النحو انه جاء الى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله عليه الصلاة والسلام ليس من اصحابى احد الا ولو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء يعنى لعتبت عليه الا ابا الدرداء فقال سيبويه ليس ابو الدرداء فصاح به حماد لحنت ياسيبويه انما هذا استثناء فقال والله لأطلبن علماً لا يلحننى معه احد ثم مضى واخذ النحو عن الخليل وغيره حتى برع فيه وفاق . والف كتابه المشهور وكان يطلق عليه بالبصرة اسم (الكتاب) فقط لشهرته ومكانته وقد اطلعت على نسخة منه بالمكتبة الخديوية مطبوعة بمدينة باريس سنة ١٨٨١ بعد الميلاد[1] فرأيته ٥٧١ باباً منها فى المبدأ (١) هذا باب علم ما الكلم من العربية (٢) هـذا باب مجارى اواخر الكلم من العربيـة (٣) هـذا باب المسند والمسند اليه (٤) هذا باب اللفظ للمعانى (٥) هذا باب ما يكون فى اللفظ من الاعراض ومنها فى الآخر (٥٦٧) هذا باب الادغام فى الحروف المتقاربة (٥٦٨) هذا باب الادغام فى حروف طرف اللسان والثنايا (٥٦٩) هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى لا يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه (٥٧٠) هـذا باب ما تقلب فيه السين صاداً فى بعض اللغات (٥٧١) هذا باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس ذلك بمطرد

(وليتعرف المطلع) لسان المتقدمين فى تآليفهم وسيرهم فيها ذكرت هنا بعض تراجم هذه الابواب واذكر نص باب من اصاغرها وهو «هذا باب اللفظ للمعانى» اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

---

(١) وقد طبع الآن سنة ١٣١٨ بمطبعة بولاق الاميرية

واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين وسنرى ذلك ان شاء الله تعالى فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو وجدت عليه من الموجِدة ووجدت اذا اردت وجدان الضالة واشباه هذا كثير » وتوفى سنة ١٨٠

ويحكى ان النضر بن شميل كان بمجلس المأمون فسأله عن الفرق بين السداد بالفتح والسداد بالكسر فقال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً قال له او تعرف العرب ذلك فاجاب نعم وانشد قول العرجى :

اضاعونى واى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ويحكى ان النضر لما مرض عاده رجل يكنى ابا صالح فقال له مسح الله ما بك فقال لا تقل (مسح) بل قل (مصح) اى اذهبه الله وفرقه أما سمعت قول الشاعر :

واذا الحمرة فيها ازبدت افل الازباد فيها ومصح

فقال ابو صالح ان السين تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له انت اذاً ابو سالح وتوفى النضر سنة ٢٠٣

وكان ابو محمد اليزيدى يصحب يزيد بن منصور خال المهدى يؤدب ولده فنسب اليه ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون ويروى ان المأمون سأله يوماً عن شيء فقال لا وجعلنى الله فداءك فاستحسن منه زيادة الواو فى هذا الموضع ووصله بعطية سنية والف اليزيدى كتاب النوادر فى اللغة وكتاب المقصور والممدود ومختصراً فى النحو وكتاب النقط

والشكل وتوفى سنة ٢٠٢

(ومنهم قطرب ومحمد بن سلام) والاول اخذ عن يونس بن حبيب وفى الطبقات انه اخذ النحو عن سيبويه وهو الذي سماه قطرباً لانه كان يراه بالاسحار على بابه فيقول له انما انت قطرب ليل والقطرب دُويبَّة تدب ولا تفتر واسمه محمد بن المستنير وله من التصانيف كتاب معانى القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الصفات وكتاب الاصوات وكتاب الاشتقاق وكتاب النوادر وكتاب الاضداد وكتاب خلق الانسان وكتاب فعل وافعل وكتاب القوافى وكتاب الازمنة وكتاب المثلث وكتاب العلل فى النحو وتوفى سنة ٢٠٦ فى خلافة المأمون

واما محمد بن سلام فاخذ عن يونس وغيره وفى الطبقات انه اخذ عن حماد بن سلمة وانه الف كتاباً فى طبقات الشعراء وروى عنه الامام احمد بن حنبل وابو العباس ثعلب وتوفى سنة ٢٣٢

(ومنهم ابو الحسن سعيد الاخفش) وكان اعلم من اخذ عن سيبويه وكان اكبر منه وهو الذى زاد فى العروض بحر الخبب كما سبق وفى الطبقات ان مروان بن سعيد المهلبى سأل الاخفش عن قوله تعالى « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان » ما الفائدة من هذا الخبر فقال افاد العدد المجرد من الصفة واراد مروان بسؤاله ان الالف فى كانتا تفيد التثنية فلم فسر ضمير المثنى بالاثنتين مع انه لا يجوز ان يقال فان كانتا ثلاثاً او خمساً واراد الاخفش انه كان يجوز ان يقال فان كانتا صغيرتين فلهما كذا وان كانتا كبيرتين فلهما كذا ونحو ذلك فلما قال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان افاد الخبر ان فرض الثلثين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط فقد حصل من الخبر

فائدة لم يحصل من ضمير المثنى اه . وله كتاب الاوسط وكتاب المقاييس فى النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب معانى الشعر وكتاب الملوك وكتاب الاصوات وغير ذلك وتوفى سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢١

(ومنهم ابو عمر وصالح الجرمي) كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة واخذ النحو عن الاخفش وغيره واللغة عن ابى عبيدة وابى زيد والاصمعى . قدم من البصرة الى بغداد وناظر الفراء قال المبرد كان الجرمى أثبت القوم فى كتاب سيبويه وعليه قرأت الجماعة وله كتاب فى السير عجيب وكتاب الابنية وكتاب العروض ومختصر فى النحو وكتاب غريب سيبويه توفى سنة ٢٢٥

(ومنهم ابو عثمان بكر المازنى) كان امام عصره فى النحو والادب اخذ عن ابى عبيدة والاصمعى وابى زيد واخذ عنه ابو العباس المبرد وروى عنه المبرد ان بعض اهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع قال فقلت له جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك فقال له ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا آية من كتاب الله ولست ارى ان امكن منها ذمياً قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجى :

اظلومُ إن مصابكم رجلا اهدى السلام تحيةً ظلم

فاختلف من كان بالحضرة فى اعراب (رجلا) فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه فلما حضر مجلسه سأله عن ذلك فقال انه منصوب على انه مفعول لمصابكم فانه مصدر بمعنى

اصابتكم فعارضه اليزيدى فقال له انه بمنزلة ان ضربك زيداً ظلم والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول (ظلم) فيتم فاستحسنه الواثق وامر له بالف دينار قال فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا ابا العباس رددنا لله مائة فعوضنا الفاً وتوفى المازنى سنة ٢٤٦ بالبصرة

(ومنهم ابو عثمان عمرو الجاحظ) كان عالماً اديباً متفنناً لكنه كان مشوّه الصورة ومن اخباره انه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض اولاده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وروى انه كان يأكل مع ابن الزيات فجاؤا بفالوذجة فاسرع الجاحظ فى الاكل حتى خلا ما بين يديه فقال له ابن الزيات تقشعت سماؤك قبل سماء الناس فقال الجاحظ لان غيمها كان رقيقاً ومن احسن تصانيفه كتاب الحيوان والبيان والتبيين وقد طبع هذا سنة ١٣١٣ فى مصر قال ابو القاسم السيرافى حضرنا مجلس الاستاذ ابن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وازرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت سكت ايها الوزير عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك فى الرد على امثاله فقال لم اجد فى مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انساناً يا ابا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً ولم استصلحه لذلك وكان الجاحظ من ائمة المعتزلة وكان ابن ابى داود يقول انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه وروى المبرد قال دخلت على الجاحظ فى آخر ايامه وهو عليل فقلت له كيف انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير لما احس به ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه وقد جزت التسعين وانشد :

اترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس توب خليق كالجديد من الثياب

وتوفى سنة ٢٥٥ بالبصرة

(ومنهم ابو العباس المبرد) نزيل بغداد كان اماماً فى النحو واللغة اخذ عن المازنى وغيره واخذ عنه نفطويه وغيره وكان حسن المحاضرة مليح الاخبار كثير النوادر وكان هو وابو العباس ثعلب الكوفى عالمين متناظرين قد ختم بهما تاريخ الادباء ويروى ان المبرد قال حين بلغه ان ثعلباً تكلم فيه بما لا ينبغى :

رب من يعنيه حالى وهو لا يجرى ببالى
قلبه ملآن منى وفؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلباً ذلك انتهى عن الكلام فى المبرد وللمبرد تآليف فى الادب منها كتاب الكامل وقد طبع طبعاً حسناً فى مصر بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ بعد الهجرة ولما توفى سنة ٢٨٥ فى خلافة المعتضد نظم فيه وفى ثعلب ابن العلاف

ذهب المبرد وانقضت ايامه وليذهبَنْ اثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب اضحى نصفه خرباً وباقى النصف منه سيخرب
فابكوا لمسلب الزمان ووطنوا للدهر انفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
وارى لكم ان تكتبوا انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

(ومنهم ابو بكر محمد المعروف بابن دريد) ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ ونشأ بها وأخذ عن علمائها ثم استقل الى عمان وسكن بها ثم عاد الى البصرة

ثم خرج الى فارس وانتقل الى بغداد واقام بها الى حين وفاته سنة ٣٢١ فعمره يقرب من المائة وكان امام عصره فى اللغة والادب والشعر قال المسعودى فى مروج الذهب وكان ابن دريد فى بغداد ممن برع فى زماننا فى الشعر واللغة وقام مقام الخليل واورد اشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب بالشعر كل مذهب فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة التى مدح بها الشاه بن ميكال وولديه واولها :

امَّا ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيضّ فى مسودّه مثل اشتعال النار فى جمر الغضا

وله من المؤلفات المشهورة كتاب الجمهرة فى اللغة وقد تقدم الكلام عليه وله كتاب الاشتقاق وكتاب السرج واللجام وكتاب زوار العرب وكتاب اللغات وكتاب السلاح وغير ذلك

نحاة الكوفة وأدباؤها

(من نحاة الكوفة وادبائها معاذ بن مسلم الهراء) استاذ الكسائى وهو اول من وضع التصريف ولكن لم يظهر له مصنف وكان صديق الكميت الشاعر وقد عاش زمناً طويلاً يتجاوز المائة فانه على الصحيح ولد فى ايام عبد الملك المتوفى سنة ٨٦ وتوفى سنة نكبة البرامكة اى سنة ١٨٧ وفى هذا قال سهل الشاعر قصيدة منها :

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره امد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جُدُد
قل لمعاذ اذا مررت به قد ضج من طول عمرك الامد

(ومنهم ابو جعفر محمد الرؤاسي) وهو ابن اخي معاذ الهراء وهو اول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو سماه الفيصل واخذ عنه الكسائي ايضاً

(ومنهم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي) وهو عالم اهل الكوفة كان اماماً في النحو واللغة والقراآت والسبب في تعلمه النحو انه قال مرة (عييت) بعد ان مشى طويلاً فرد عليه بان الصواب ان تقول (اعييت) من التعب و (عييت) من الحيرة في الامر فانف من ذلك واخذ يتعلم على معاذ بن مسلم الهراء ثم ذهب الى البصرة واخذ عن الخليل ثم ذهب الى البوادي وسمع من العرب ثم عاد الى بغداد وجاء سيبويه من البصرة الى بغداد وكان الكسائي يعلم الامين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا وزعم الكسائي ان العرب تقول كنت اظن الزنبور اشد لسعاً من النحلة فاذا هو اياها فقال سيبويه ليس المثل كذا بل فاذا هو هي وتجادلا طويلاً واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام اهل الحضر فاحضروا عربياً فوافق الكسائي بايعاز من الامين مع ان الحق مع سيبويه وتوفي الكسائي سنة ١٨٩

(ومنهم ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء) كان ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب اخذ عن الكسائي وورد بغداد في خلافة المأمون وعلم ولديه وامره ان يؤلف كتاباً يجمع فيه اصول النحو وما سمع من العربية فصنف كتاب الحدود في سنتين قال ابن الانباري لو لم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم الافتخار اذ انتهت العلوم اليهما وتوفي الفراء سنة ٢٠٧ في خلافة المأمون

(ومنهم ابو عبدالله محمد المعروف بابن الاعرابى) كان صاحب لغة اخذ الادب عن الكسائى وغيره واخذ عنه ابو العباس ثعلب وابن السكيت وكان يناقش العلماء ويستدرك عليهم ويخطىء كثيراً من ثقلة اللغة وكان يزعم ان ابا عبيدة والاصمعى لا يحسنان شيئاً وكان يقول جائز فى كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هـذه فى موضع تلك وينشد :

الى الله اشكو من خليل اوده ثلاث خلال كلها لى غائض

بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب وكان يحضر مجلسه كثير من المستفيدين وله مصنفات كثيرة منها كتاب النوادر وكتاب الانواء وكتاب تاريخ القبائل وكتاب معانى الشعر وكتاب تفسير الامثال وكتاب الالفاظ ولد فى السنة التى توفى فيها الامام ابو حنيفة اى سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١

(ومنهم ابو طالب المفضل بن سلمة الضبى) كان فاضلاً فى الادب اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واستدرك على الخليل فى كتاب العين وصنف فى ذلك كتاباً ومن تصانيفه كتاب التاريخ فى علم اللغة وكتاب المفاخر وكتاب العود والملاهى وكتاب جلاء الشبه وكتاب الطيف وكتاب الاشتقاق وكتاب المقصور والممدود وكتاب المدخل فى علم النحو وروى عنه ابو بكر الصولى وزعم انه سمع منه سنة ٢٩٠ (انتهى من ابن خلكان فى ترجمة ابى الطيب محمد بن المفضل) والمفضل الضبى هـذا غير (ابى عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبى) الذى جمع للمهدى اشعاراً اختارها سماها بالمفضليات وتزيد وتنقص واصحها التى رواها عنه ابن الاعرابى فابن

الاعرابى متوسط بين المفضلين ناقل الادب من هذا الى ذاك

(ومنهم ابو العباس ثعلب) كان امام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واخذ عنه ابو الحسن على الاخفش وابن عرفة وابن الانبارى وغيرهم وكان المبرد يقول اعلم الكوفيين ثعلب حكى ثعلب عن العرب راكب الناقة طليحان اى راكب الناقة والناقة طليحان الا انه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة ومن تصانيفه كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة وقد طبع فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٥ وتوفى ثعلب ببغداد سنة ٢٩١

من اشتهر بالادب فى بغداد

وكان كثير من علماء المصرين ينتقلون الى بغداد ويسكنونها كما علمت وممن اشتهر بالادب فى بغداد غير من سلفوا (يعقوب بن السكيت) كان يؤدب اولاد الخليفة المتوكل وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق ويوجد بالمكتبة الخديوية وكتاب الالفاظ وقد طبع فى سنة ١٣١٤ وكتاب فى معانى الشعر وكتاب القلب والابدال قال ابو الحسن الطوسى كنا فى مجلس ابى الحسن على اللحيانى وكان عازماً على ان يملى نوادره فقال تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقال له ابن السكيت وهو حدث انما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض استعان بجنبيه فقطع الاملاء فلما كان المجلس الثانى املى فقال تقول العرب هو جارى مكاشرى فقال له ابن السكيت وما معنى مكاشرى انما هو مكاسرى كسر بيتى الى كسر بيته فما املى اللحيانى بعد ذلك ومات ابن السكيت ببغداد سنة ٢٤٤

(وابو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى المعروف بابن قتيبة) ولد سنة ٢١٣ ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضياً فنسب اليها ثم سكن بغداد وكان فاضلاً ثقة فى النحو واللغة والشعر متفنناً فى العلوم وله من التصانيف كتاب ادب الكاتب وكتاب المعارف وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك واقرأ كتبه ببغداد ويقال انه الف كتاب ادب الكاتب لابى الحسن وزير المعتمد وقد طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ بمطبعة الوطن وقد شرحه البطليوسى وتوفى ابن قتيبة سنة ٢٧٦

(وابواسحق الزجاج) كان عالماً ماهراً فى الادب اخذ عن المبرد وثعلب واخذ عنه ابو على الفارسى ومن مصنفاته كتاب الامالى وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب مختصر فى النحو وكتاب فعلت وافعلت وكتاب ما ينصرف ومالا ينصرف وكتاب شرح ابيات سيبويه وكتاب النوادر وتوفى سنة ٣١٦ ببغداد

(وابو بكر محمد بن السراج) كان اماماً جليلاً فى النحو والادب اخذ عن المبرد وغيره واخذ عنه ابو سعيد السيرافى ونقل عنه الجوهرى فى صحاحه ومن مصنفاته المشهورة كتاب الاصول فى علم العربية وكتاب جمل الاصول وكتاب الاشتقاق وشرح كتاب سيبويه وكتاب الشعر والشعراء وتوفى سنة ٣١٦

(وابو عبد الله ابراهيم نفطويه النحوى) ولد بواسط وسكن بغداد وتوفى بها سنة ٣٢٣ وكان يتبع طريقة سيبويه ويدرس كتابه

(وابو بكر محمد بن الانبارى) اخذ عن ثعلب وكان علامة وقته فى الادب وله مصنفات كثيرة منها كتاب الكافى فى النحو وكتاب

الاضداد وكتاب الجاهليات وكتاب المذكر والمؤنث وشرح المفضليات والسبع الطوال وتوفى سنة ٣٢٧

(وابو القاسم عبدالرحمن الزجاجى) نشأ ببغداد واخذ النحو عن ابى بكر بن الانبارى وغيره وصحب ابا اسحق الزجاج فنسب اليه وصنف كتابه المشهور بالجمل وانتفع به ناس كثيرون وانتقل الى دمشق وسكنها وتوفى بها سنة ٣٣٧

(وابو محمد عبد الله بن درستويه) اخذ الادب عن المبرد وابن قتيبة وغيرهما ببغداد واخذ عنه جماعة من الافاضل كالدارقطنى وله مصنفات كثيرة منها كتاب المقصور والممدود وكتاب معانى الشعر وكتاب الارشاد فى النحو وكتاب الهجاء وكتاب اخبار النحويين وتوفى ببغداد سنة ٣٤٧ فى خلافة المطيع

(وابو حسن الفارسى) ولد بمدينة فسا ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٧ واخذ عن الزجاج وغيره حتى برع فى النحو ثم اقام بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان وكان بينه وبين المتنبي مجالس ثم انتقل الى فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وقد علت منزلته عنده حتى قال انا غلام ابى على الفسوى فى النحو وصنف له كتاب الايضاح والتكملة فى النحو وله تصانيف كثيرة غير ذلك وتوفى سنة ٣٧٧ ببغداد

(وابو سعيد الحسن السيرافى) تولى قضاء بغداد وكان من اعلم الناس بنحو البصريين شرح كتاب سيبويه وله كتاب القلت الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وشرح مقصورة ابن دريد واخذ اللغة عنه والنحو عن ابى بكر بن السراج وكان بينه وبين

ابى الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الاغانى تنافس فقال فيه هذا :

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا عملك البكىّ بشاف
لعن الله كل نحو وشعر وعروض يجىء من سيراف

وتوفى السيرافى سنة ٣٦٠ ببغداد

واشتهر من الموصل (ابو الفتح عثمان بن جنى) اخذ الادب عن ابى على الفارسى وكان اماماً فى العربية وله مصنفات كثيرة منها كتاب الخصائص وسر الصناعة والتلقين فى النحو وشرح ديوان المتنبى وكان قد قرأه على صاحبه قال ابن خلكان ورأيت فى شرحه قال سأل شخص ابا الطيب المتنبى عن قوله :

باد هواك صبرت ام لم تصبرا

فقال كيف اثبت الالف فى تصبرا مع وجود لم الجازمة وكان الواجب ان تقول لم تصبر فقال المتنبى لو كان ابو الفتح هنا لاجابك بعنبى وهذه الالف هى بدل من نون التوكيد الخفيفة كان فى الاصل لم تصبرن ونون التوكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها ابدل منها الفاً قال الاعشى :

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وكان الاصل فاعبدن فلما وقف اتى بالالف بدلاً من النون وتوفى ابن جنى ببغداد سنة ٣٩٢

وكان فى عصر ابن جنى (على بن عيسى الربعى) اخذ فى بغداد عن ابى سعيد السيرافى ثم خرج الى شيراز واخذ عن ابى على الفارسى ثم عاد الى بغداد وشرح كتاب الايضاح لابى على وكتاب الجرمى وصنف كتاب البديع فى النحو وتوفى سنة ٤٢٠ فى بغداد

واشتهر فى هذا العصر بالاندلس (ابو الحجاج يوسف المعروف بالاعلم) من اهل شلتمرية الغرب رحل الى قرطبة سنة ٤٣٣ واقام بها مدة واخذ عن علمائها وشرح الجمل فى النحو لابى القاسم الزجاجى وشرح كتاب ابيات الجمل فى كتاب مفرد وتوفى سنة ٤٧٦ بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس

واشتهر من المعرّة (ابو العلاء احمد المعرّى) كان اماماً واسع الادب متفنناً قرأ النحو واللغة على ابيه بالمعرّة ثم على محمد بن عبدالله النحوى بحلب وقرأ عليه ابو القاسم على التنوخى والخطيب التبريزى وتصانيفه مشهورة منها ديوان سقط الزند وشرحه ضوء السقط وكتاب اللامع فى شرح شعر المتنبى ولهذا كان يقول وهو اعمى كأن المتنبى ينظر الىّ بأحظ الغيب حيث يقول :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى واسمعت كلماتى من به صممُ

وديوان لزوم ما لا يلزم ومنه :

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حد مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا اعزل

واختصر ديوان ابى تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحترى وسماه عبث الوليد وديوان المتنبى وسماه معجز احمد ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم كى لا يذبح الحيوان فيؤلمه والآن توجد طائفة باوربا ترى رأى ابى العلاء وتقتصر على اكل النبات ودخل بغداد سنة ٤٩٨ ثم عاد الى المعرّة وتوفى بها سنة ٤٩٩ واوصى بان يكتب على قبره :

هذا جناه ابى علىّ وما جنيت على احد

واشتهر من تبريز (يحيى الخطيب التبريزى) واخذ عن ابى العلاء وأبى محمد الدهان ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وله شعر حسن ومن تصانيفه كتاب اعراب القرآن وكتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى وشرح اللمع لابن جنى وشَرَحَ الحماسة وديوان المتنبى والمعلقات والمفضليات والمقصورة لابن دريد وسقط الزند واخذ عنه ابو منصور موهوب الجواليقى وتوفى سنة ٥٠٢ ببغداد

وكان فى هذا العصر (ابو محمد القاسم الحريرى البصرى) وكان اديباً فاضلاً نحوياً منشئاً ومن مصنفاته درة الغوّاص فى اوهام الخواص وملحة الاعراب وشرحها والمقامات المشهورة وجاء بها الى بغداد وادعاها فلم يصدقه ادباؤها وهذه المصنفات مطبوعة ومشهورة وكان يقول نقلاً عن شيخه اذا قلت ماسود زيداً وما اسمر عمراً وما اصفر هذا الطائر وما ابيض هذه الحمامة وما احمر هذه الفرس فسدت كل مسألة منها من وجه وصحت من وجه فيفسد جميعها اذا اردت التعجب من الالوان وتصح جميعها اذا اردت التعجب من سُودَد زيد وسمر عمرو وهو الحديث بالليل خاصة ومن صفير الطائر وكثرة بيض الحمامة ومن حَمَرَ الفرس وهو ان ينتن فوها ومن شعره :

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو العمى ولاغرو ان يحذو الفتى حذو والده

وتوفى سنة ٥١٦ ببنى حرام من البصرة

واشتهر من نيسابور (ابو الفضل احمد الميدانى) صاحب كتاب الامثال المشهورة وكتاب نزهة الطرف فى علم الصرف وهما مطبوعان وله

مؤلفات حسنة غير ذلك وكان ينشد كثيراً :

تنفس صبح الشيب فى ليل عارضى ... فقلت عساه يكتفى بعذارى
فلما فشا عاتبته فاجابنى ... أيا هل ترى صبحاً بغير نهار

وتوفى سنة ٥١٨ بنيسابور

واشتهر من هراة احدى مدن خراسان (ابو سعد آدم بن اسد) وكان اديباً فاضلاً ورد بغداد حاجاً سنة ٥٢٠ وقرئ عليه الحديث والادب وجرى بينه وبين ابى منصور الجواليقى ببغداد نوع منافرة فى شىء اختلفا فيه فقال الهروى للجواليقى انت لا تحسن ان تنسب نفسك فان الجواليقى نسبة الى الجمع والنسبة الى الجمع بلفظه لا تصح وفى طبقات الانبارى ان هذا مغالطة فان لفظ الجمع اذا سمى به جاز ان ينسب اليه كمدائنى وانبارى وتوفى سنة ٥٣٦

واشتهر من زمخشر احدى قرى خوارزم (ابو القاسم محمود الزمخشرى) وكان امام عصره فى الادب وله تصانيف جليلة تدل على علو منزلته وان لا يدرك شأوه منها الكشاف فى تفسير القرآن الكريم والفائق فى تفسير الحديث واساس البلاغة فى اللغة والمفصل والانموذج فى النحو والمستقصى فى امثال العرب والقسطاس فى العروض وديوان الرسائل وديوان الشعر وكتاب اسماء الاودية والجبال وغير ذلك وقدم بغداد للحج وجاور بمكة زماناً فلذا يقال له جار الله وتوفى سنة ٥٣٨ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة

ومن مفاخر بغداد فى هذا العصر (ابو منصور موهوب الجواليقى وهبة الله بن الشجرى وابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان) فالاول كان

اماماً فى فنون الادب اخذ عن الخطيب التبريزى وصنف للامام المقتفى كتاباً لطيفاً فى العروض والف شرح ادب الكاتب والمعرّب وتتمة درة الغواص للحريرى وسماها التكملة فيما يلحن فيه العامة وكان فى اللغة امثل منه فى النحو وتوفى سنة ٥٣٩ ببغداد . والثانى كان اماماً فى النحو واللغة واشعار العرب وايامها وله كتاب الامالى فى فنون الادب وكتاب سماه الحماسة ضاهى به حماسة ابى تمام وتصانيف فى النحو حكى عن المبرد فى بناء حذام انه اجتمع فيه ثلاث علل التعريف والتأنيث والعدل فبعلتين يجب منع الصرف وبالثالثة يجب البناء وتقابل ابن الشجرى والزمخشرى ببغداد وتوفى سنة ٥٤٢ ببغداد . والثالث كان سيبويه عصره ومن تصانيفه المفيدة فى الادب شرح الايضاح والتكملة وشرح اللمع لابن جنى وسماه الغرة وكتاب العروض وكتاب الدروس فى النحو وكتاب الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية يشتمل على سرقات المتنبى والعقود فى المقصور والممدود والغنية فى الاضداد وانتقل من بغداد الى الموصل وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد فسيّر من يحضرها اليه فوجدها قد غرقت ولما حملت اليه على تلك الصورة بخرها باللاذن لتظهر كتابتها فعمى من ذلك واخذ عنه خلق كثير بالموصل وتوفى سنة ٥٦٩

واشتهر من الانبار وهى قرية قديمة على الفرات على عشرة فراسخ من بغداد (عبد الرحمن بن محمد الانبارى) سكن بغداد واخذ عن الجواليقى وابن الشجرى وتفقه بالمدرسة النظامية وتصدر لاقراء النحو بها وتبحر فى علم الادب واخذ عنه علماء كثيرون وله فى النحو كتاب اسرار العربية وكتاب الميزان وكتاب طبقات الادباء وقد اقتطفت منه ومن ابن

خلكان ما انا بصدده الآن ولم يزل مشتغلاً بالعلم حتى مات سنة ٥٧٧ ببغداد

واشتهر بالاندلس ايضاً (ابو الحسن علي المعروف بابن خروف الاشبيلي) تخرج على ابن طاهر النحوي الاندلسي وشرح كتاب سيبويه وكتاب الجمل لابي القاسم الزجاجي وتوفى سنة ٦١٠ باشبيلية

واشتهر من حلب (ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن الصائغ) كان عالماً ماهراً في النحو والصرف واجتمع في دمشق بالشيخ ابي اليمن زيد الكندي وسأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن اعراب قول الحريري في المقامة العاشرة « حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان » فاستبهم الجواب على الكندي هل الافق وذنب مرفوعان او منصوبان او احدهما مرفوع والآخر منصوب قالوا ويجوز في ذلك اربعة اوجه والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب قال ابن خلكان ولما وصلت حلب سنة ٦٢٦ للاشتغال بالعلم وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان ابن الصائغ شيخ الجماعة في الادب قرأت عليه وابتدأت بقراءة اللمع لابن جني عليه وكان حسن التفهيم لطيف الكلام خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار وشرح كتاب المفصل للزمخشري وتصريف الملوكي لابن جني وتوفي بحلب سنة ٦٤٣

واشتهر بالقاهرة (ابو عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب) تخرج بها وبرع في علوم العربية وغيرها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها قال ابن خلكان وقد سألته عن مواضع في العربية مشكلة فاجاب ابلغ اجابة ومن جملة ذلك ان سألته في بيت المتنبي :

لقد تصبرت حتى لات مصطبري ... فالآن أقحم حتى لات مقتحمي

عن السبب فى خفض مصطبرٍ ومقتحم ولات ليست من ادوات الجر فاطال الكلام واحسن الجواب اهـ . ولم يذكر ابن خلكان صورة اجابة ابن الحاجب عن ذلك خوف الاطالة واقول يجوز فى هذا ان يكون الجر بحتى ولات كلا ليست حاجزاً كما جروا بالباء فى قولهم جئت بلا زاد على رأى ونصبوا المضارع بان فى نحو (لئلا يعلم) وفى شرح المتنبي للعكبرى فى عـذا الموضع التاء في لات زائدة وقد تزاد فى الحروف كثم وثمت ورب وربت والجر به شاذ وقد جر به العرب وانشدوا :

طلبوا صلحنا ولات اوانٍ فاجبنا ان لات حين بقاء «اهـ»

ثم عاد ابن الحاجب الى القاهرة واخذ عنه خلق كثير ومن مصنفاته الكافية فى النحو والشافية فى الصرف وتوفى سنة ٦٤٦

وعلى الكافية شروح كثيرة من اشهرها شرح رضى الدين محمد ابن الحسن الاسترابادى المتوفى حوالى سنة ٦٩٠

وهـذا الشرح جليل الاعتبار كثير الفوائد فيه اشياء لا توجد فى غيره وشواهد هذا الشرح اخذها عبد القادر البغدادى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٣ بنى عليها خزانته المشهورة المسماة خزانة الادب ولب لباب لسان العرب وهى واسعة الارجاء مملوءة بجواهر الادب قل ان يوجـد كتاب فى بابها يحاكيها فهى ضالة الاديب وقد طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ فى اربعة اسفار ضخمة

واشتهر بدمشق (محمد بن عبد الله بن مالك) نشأ بمدينة جيان من الاندلس ثم انتقل الى دمشق واقام بها وكان بحراً لا يشق غباره فى العلوم خصوصاً فى النحو وتصدر بحلب لاقراء العربية وكان يجتمع به قاضى

القضاة ابن خلكان ويحترمه لعلمه ومن تصانيفه منظومة الكافية الشافية في النحو وهي ثلاثة آلاف بيت وشرحها ثم لخصها في ارجوزة سماها الخلاصة وهي الف بيت ولذا تعرف بالالفية وشرح هذه في كتاب سماه الفوائد النحوية والمقاصد المحوية ولتسهيل هذا الكتاب وتكميله صنف كتاباً سماه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد واشتهر كتاب التسهيل دون كتاب الفوائد ومن تصانيفه ايضاً الاعلام بمثلث الكلام وعمدة اللافظ وعمدة الحافظ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢

هذا وقد اقبل الناس اقبالاً زائداً على الالفية يحفظونها ويتعرفون احكامها ولذا اكثر العلماء من شروحها فمن شرحها محمد بن ناظمها المتوفى سنة ٦٨٦ بدمشق وعبدالله بن عبدالرحمن المشهور بابن عقيل المتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٨ وحسن بن قاسم المصري المتوفى سنة ٧٤٩ وقد شرح التسهيل ايضاً وابو زيد عبد الرحمن المكودي المتوفى سنة ٨٠١ وابو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وبدر الدين على الاشموني المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ وهذا الشرح يسمى منهج السالك الى الفية ابن مالك ويدرس بالازهر بعد شرح ابن عقيل لانه اوسع منه واصعب ودونوا على هذه الشروح حواشي فمن ذلك حاشية احمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٢ على شرح ابن الناظم وحاشية الشيخ احمد السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ بمصر على شرح ابن عقيل وحاشية الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى سنة ١٢٨٨ على هذا الشرح وهي اوسع وانفع من حاشية السجاعي وكلاهما يقرأ بالازهر وحاشية الشيخ محمد الحفني المصري المتوفى سنة ١١٠١ بمصر على شرح الاشموني وحاشية الشيخ محمد الصبان المصري المتوفى

سنة ١٢١٦ على هذا الشرح ايضاً ويقرأها المتنهون بالازهر

ومن اشبيليه (على بن محمد الكتامي ابو الحسن المعروف بابن الضائع) كان اماماً فى العربية لا يجارى لازم الشلوبين وفاق اصحابه باسرهم املى على ايضاح الفارسى ورد اعتراضات ابن الطراوه على الفارسى واعتراضات على سيبويه واعتراضات البطليوسى على الزجاجى ورد على ابن عصفور معظم اختياراته وله شرح الجمل وشرح كتاب سيبويه جمع فيه بين شرحى السيرافى وابن خروف وله فى مشكلاته عجائب توفى سنة ٦٨٠

وكان من اهل فاس (ابو عبدالله محمد بن محمد بن داود المعروف بابن آجرّوم الصنهاجى) نسبة الى صنهاجة وهى قبيلة بالمغرب المتوفى سنة ٧٢٣ ولا يؤثر عنه الا متن الاجرومية وعليها شروح كثيرة . منها شرح الشيخ خالد الازهرى المتوفى سنة ٩٠٥ وعليه حاشية للسيد محمد ابى النجا من نحاة القرن الثالث عشر . ومنها شرح الشيخ حسن الكفراوى (نسبة الى كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى) الازهرى المتوفى سنة ١٢٠٢ بالقاهرة وعليه حاشية للشيخ اسماعيل الحامدى شيخ رواق الصعائده بالازهر الآن (سنة ١٣١٤) وهذا الشرح اول كتاب يقرأه طالب النحو بالازهر ويقرأ بعده شرح الشيخ خالد السابق ويقرأ بعدهما الازهرية وشرحها للشيخ خالد المذكور وعلى الازهرية حاشية للشيخ محمد الامير المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ حسن العطار المصرى المتوفى سنة ١٢٥٠

واشتهر من الاندلس (ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسى الغرناطى) نزيل مصر كان امام عصره فى فنون الادب اخذ عن ابن الضائع وغيره واخذ عنه كثير من الائمة كتقى الدين السبكى وابن قاسم وابن عقيل

والسمين وكان يقرئ الناس كتاب سيبويه ومصنفات ابن مالك ويرغبهم فيها ويشرح لهم غامضها ومصنفاته فى العربية كثيرة منها التذييل والتكميل فى شرح التسهيل وهو مطول واختصره فى كتاب سماه ارتشاف الضرب من لسان العرب قال الصفدى لم اره قط الا يسمع او يشتغل او يكتب او ينظر فى كتاب وكان ثبتاً فيما عارفاً باللغة واما النحو والصرف فهو الامام المطلق فيهما وخدم العلم اكثر عمره حتى صار لا يدركه احد فى اقطار الارض وله اليد الطولى فى التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة ومن شعره :

عداى لهم فضل علىّ ومنة فلا اذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن ذلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ومنه

سبق الدمع بالمسير المطايا اذ نوى من احب عنى نقله
واجاد السطور فى صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

ومات بالقاهرة سنة ٧٤٥

واشتهر من مصر (عبد الله بن هشام الانصارى) خاتمة النحاة ذوى الآراء والمذاهب كان اماماً لا يبارى ومصنفاته فى النحو تشهد له برفعة المكانة ورسوخ القدم وللناس اقبال عليها فمنها قطر الندى وبل الصدى وشرحه وشذور الذهب فى معرفة كلام العرب وشرحه ويقرأ القطر والشذور بالازهر قبل شرح ابن عقيل على الالفية وبعد الازهرية ومنها مغنى اللبيب ورتبه على ثمانية ابواب الاول فى تفسير المفردات وفيه يذكر حروف المعانى واما الثانى فى تفسير الجملة وذكر اقسامها

واحكامها والثالث فى ذكر احكام ما يشبه الجملة وهو الظرف والجار والمجرور وذكر حكمها فى التعلق والرابع فى ذكر احكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها والخامس فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها والسادس فى التحذير من امور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها والسابع فى كيفية الاعراب والثامن فى ذكر امور كلية يخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية وهى احدى عشر قاعدة ويندرج تحت كل باب مواد كثيرة تعرف من الاطلاع على فهرس الكتاب وله ايضاً كتاب اوضح المسالك الى الفية ابن مالك وقد نثرها فيه ويعرف بالتوضيح قال الامير فى حاشيته على المغنى هذا ولد ابن هشام بالقاهرة سنة ٧٠٨ ولم يأخذ عن ابى حيان غير انه سمع منه ديوان زهير بن ابى سلمى ومن شعره :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا يسيراً يعش دهراً طويلاً اخا ذل

وتوفى سنة ٧٦١ ورثاه ابن نباته المصرى شاعر الملك المؤيد صاحب مصر وحماه بقوله :

سقى ابن هشام فى الثرى نوء رحمة يجر على مثواه ذيل غمام
سأروى له من سائر المدح سيرةً فما زلت اروى سيرة بن هشام

توريه بعبد الملك بن هشام صاحب السيرة

وقد اعتنى العلماء بمصنفات ابن هشام فشرحوها وكتبوا عليها الحواشى فمن ذلك (تحفة القريب فى الكلام على مغنى اللبيب) لمحمد بن ابى بكر المخزومي الاسكندرى المعروف بالدماميني ولد بالاسكندرية وتوفى بالهند

سنة ٨٢٧ والف هذا الشرح بامر السلطان ابى الفتح ناصر الدين محمد شاه الهندى (والتصريح بمضمون التوضيح) وهو شرح للشيخ خالد الازهرى المتوفى بالقاهرة سنة ٩٠٥ (وبلوغ الارب بشرح شذور الذهب) لابى يحيى زكريا الانصارى المتوفى بمصر سنة ٩٢٦ (وحاشية السجاعى) المتوفى سنة ١١٩٧ على شرح القطر (وحاشية محمد الامير) المتوفى سنة ١٢٣٢ (وحاشية محمد الدسوقى) المتوفى سنة ١٢٣٩ وكلاهما على المغنى

واشتهر من مصر ايضاً (ابو الفضل عبد الرحمن المعروف بجلال الدين السيوطى) كان اماماً مجتهداً فى العلوم كما تشهد بذلك مصنفاته التى تبلغ ثلثمائة كتاب اخذ عن تقى الدين الشمنى ومحيى الدين الكافيجى وغيرهما وقال انه تبحر فى سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع واصل الفلسفة وقد وصل فى هذه العلوم الستة سوى الفقه الى درجة لم يصل اليها ولا وقف عليها احد من اشياخه ومن مصنفاته فى فن العربية كتاب الاشباه والنظائر النحوية وهو كتاب جامع للمهمات مرتب على سبعة فنون كل فن مستقل بخطبة ولقب وكتاب الاقتراح فى علم اصول النحو قال فى اوله . هذا كتاب غريب الوضع عجيب الصنع فى علم لم اسبق الى ترتيبه وهو علم اصول النحو الذى هو بالنسبة الى النحو كاصول الفقه بالنسبة الى الفقه . رتبه على مقدمة وسبعة كتب وشرح الالفية والتوضيح والمغنى وشواهده وحشى الشذور وغير ذلك وان اردت الاطلاع على أسماء مصنفاته فعليك بترجمته فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة وتوفى سنة ٩١١

وفى القرن السابع الهجرى وما بعده الى وقتنا هذا مال النحاة فى

الغالب عن الابتداع فى الاصول وقصروا همهم على فهم وتفهيم ما دونه السلف فاكثروا من تصنيف الشروح والحواشى على متونهم كما رأيتم فعلوا فى مصنفات ابن مالك ومصنفات ابن هشام . وقد تقالوا فى هذا الامر حتى كتبوا كتباً على الحواشى سموها التقارير كتقارير شمس الدين محمد الانبابى من اكابر علماء القرن الرابع عشر على حاشية ابى النجاء على شرح الشيخ خالد على متن الاجرومية وعلى حاشية العطار على شرح الازهرية وعلى حواشى القطر وعلى حواشى الشذور وعلى حواشى ابن عقيل وعلى حواشى الصبان وقد توفى الشيخ الانبابى سنة ١٣١٣

دراسة النحو فى الازهر

قبل الخوض فى ذلك نذكر لمحة من تاريخ هذا الجامع الشهير فنقول :

الازهر مدرسة جامعة واسعة الارجاء انشأها جوهر قائد الخليفة المعز الفاطمى بعد ان فتح مصر سنة ٣٥٨ واختط مدينة القاهرة وكان الشروع فى بنائه سنة ٣٥٩ وكمل بناؤه سنة ٣٦١ وترتب المتصدرون لقراءة العلم به سنة ٣٨٠ فى عهد العزيز بن المعز ولقد اخذ الازهر شهرة واسعة ملات طباق الارض فهرعت اليه الناس افواجاً من اقاصى مصر والشام والمغرب والترك والكرد واليمن والهند وغيرها طلباً للعلم والاخذ عن علمائه وبه لكل طائفة ممتازة منزل يعرف بالرواق او جهة تعرف بالحارة بها خزائن من خشب يضع فيها الطلاب بعض مختصاتهم الخفيفة ويبلغ عدد ما به من الاروقة نحو ٢٢ رواقاً ومن الحارات ١٥ حارة ولكل رواق او حارة شيخ يرجع اليه فيما يختص بطائفته وللجامع رحبة سماوية واسعة جداً

تعرف بالصحن بها اربعة صهاريج وله ست منارات للأذان وسبع مزاول لمعرفة الوقت وثمانية ابواب بعد كل باب ذى فرجتين بابين وما زال ملوك مصر وامراؤها بعد الخليفة المعز يعتنون بالازهر ويجددون فى بنائه ويوقفون الارزاق على علمائه وطلابه الى وقتنا هذا ففي سنة ١١٩٠ الامير عبدالرحمن كتخدا زاد فى اتساعه طولاً وعرضاً قسماً عظيماً وهو القسم المرتفعة ارضه قليلاً من جهة الشرق ويشتمل هذا القسم على ٥٠ عموداً من الرخام تحمل مثلها من البواكى وانشأ به محراباً ومنبراً جديدين وفى جهته الجنوبية بنى مدفناً له وروافاً للصعائده وكتاباً باعلاه وباباً كبيراً ذا فرجتين واسعتين بجوار الرواق ومنارة بجانب الباب وبالجهة الغربية من الجامع جدد مدرسة الطيبرسية (١) ومدرسة الاقبغاوية (٢) وبين المدرستين ممشى ينتهى الى باب كالسابق وبنى فوق الباب كتاباً وله منشآت بالجامع غير ذلك

وفى هذا العصر امر مولانا الخديو الانعم عزيز مصر عباس باشا حلمى الثانى الاكرم بشراء الاملاك التى تتاخم الجامع من جنوبه الغربى وادخالها فيه وبناء عمارة ضخمة فى موضعها تشتمل على رواق عظيم ومحل رفيع للمشيخة فاقيمت العمارة وشيد الرواق فجاء الفخم وابدع رواق فى الازهر وسمى بالرواق العباسى وكذا امر حفظه الله بانشاء مكتبة نفيسة فى محل المدرسة الاقبغاوية وبتشكيل مجلس لادارة شؤون الازهر يتركب من رئيس وخمسة اعضاء الرئيس شيخ الجامع والاعضاء ثلاثة من افاضل علماء الازهر واثنان من العلماء الموظفين فى الحكومة ورئيس المجلس الآن سنة ١٣١٤ صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى واعضاؤه ارباب

الفضل والعرفان الشيخ محمد عبده القاضي بمحكمة الاستئناف الاهلية والشيخ عبد الكريم سلمان وكيل قلم الوقائع المصرية بديوان الداخلية والشيخ سليم البشرى شيخ المالكية والشيخ مصطفى عن الشافعى والشيخ يوسف النابلسي شيخ الحنابلة

ويبلغ عدد علماء ومدرسى الازهر الآن نحو ١٩٠ وعدد الطلبة به يتجاوز ثمانية آلاف وعليهم ضابطٌ عام يفصل فى وقائعهم كما يأمره شيخ الجامع والضابط الآن هو السيد احمد الجندى

والعلوم التى تدرس بالازهر هى تفسير القرآن والحديث والفقه واصوله وعلم الكلام (الالهيات) والمنطق والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض والقافية وغير ذلك

ولنرجع الى ما نحن بصدده الآن فنقول :

يدرسون فى الازهر من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوى على متن الاجرومية ثم حاشية ابى النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الازهرية ثم حاشية السجاعى على شرح القطر ثم شرح الشذور وحواشيه ثم حاشية السجاعى او الخضرى على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ثم حاشية الصبان عل شرح الاشمونى على الالفية ثم المغنى وشروحه وحواشيه وذلك فى نحو ست سنوات وهذا كله بعد حفظ الطلاب متن الاجرومية ومنظومة الالفية وغيرهما وكيفية الدراسة ان يعين المدرس لطلبته جزءا من اول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده او بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون فى اليوم التالى ويجلسون بين يدى شيخهم بهيئة حلقة ويسمعون منه توضيح ما عينه لهم ويناقشونه

فيه هذا يسأل وهذا يعترض على المصنف وثالث يجيب عنه وهكذا وكل منهم يجتهد فى اظهار علمه فى مناقشاته وربما طالع لهذا الغرض حواشى غير المقرر قراءتها ولا يزال الطلبة فى اخذ ورد وتصويب وتخطئة الى ان ينتهى الدرس فى نحو ساعتين وربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءاً آخر ويحصل فيه ما حصل فى سابقه وهكذا الى ان يفرغ الكتاب وهذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل والبحث

دراسة النحو في المدارس

نتقدم اولاً بذكر نبذة من تاريخ المدارس فى مصر فنقول :

قبل استيلاء محمد على باشا رأس الاسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها قاصرة على معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التى انشأها سلاطين المماليك وامراؤهم وعلى التخرج من علوم الازهر السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية والازهر بمنزلة مدارس ثانوية وعليا فلما استقام الامر للباشا بهذه الديار انشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بابى زعبل ومدرسة للهندسة ببولاق ومدرسة للالسن ومدرسة للزراعة ببلد نبروه ومدرسة للصناعات وثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى اثره فى ذلك من خلفه من امراء هذه الاسرة الخديوية وكذا حكوماتهم واشراف الامة فزادوا فى المدارس وشيدوا فى اركانها وفرضوا لها النفقات الى ان وصلت الى ما هى عليه فى وقتنا الحاضر من التقدم والنظام يدير شؤونها ديوان عال يرأسه وزير كبير من وزراء الحكومة وله وكيل من كبار الامراء

واعالمهم ومفتشون ماهرون وكتّاب امائل وهذا الديوان يسمى ديوان المعارف ويرأسه الآن (سنة ١٣١٤) صاحبا العطوفة والعرفان حسين باشا فخرى ويعقوب باشا ارتين ويتبع هذا الديوان نحو اربعين مدرسة ابتدائية تعلم فيها القراءة والكتابة والقرآن والنحو والحساب ومبادى الهندسة والخط ورسم الحروف ورسم الاشكال وصور الارض وتقويم البلدان والتاريخ والاخلاق واللغات الانكليزية والفرنساوية والتركية وذلك فى مدة اربع سنين . وثلاث مدارس تجهيزية تعلم فيها العلوم السابقة مع الاتساع فى مسائلها والزيادة فى فروعها ويزاد عليها المعانى والبيان والبديع والانشا والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيميا والهيئة وهذا فى مدة خمس سنين . ومدرسة للحقوق ومدرسة للهندسة ومدرسة للطب ومدرسة للصيدلة ومدرسة للولادة ومدرستان للصنائع احداهما ببولاق والاخرى بالمنصورة ومدرسة للزراعة بالجيزة وثلاث مدارس لتخريج معلمين اكفاء

وفى هذه المدارس الآن ما بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف متعلم وفيها وفى الديوان ٤٤٣ موظفاً بين رئيس ووكيل ومفتشين وكتّاب ونظّار مدارس ومدرسين وضبّاط وينفق فى ذلك كله ما يتجاوز مائة الف جنيه مصرى . وايضاً توجد مدرسة لتخريج ضباط فى الجيش تابعة لديوان الحربية . وللاهالى والاجانب مدارس اخرى لا تقل عن مدارس الحكومة فى العدد . وهذه وتلك خلاف الكتاتيب المنتظمة وغيرها وهى كثيرة جداً يزيد عدد ما بها من المتعلمين هى والازهر وجوامع العلم الاخرى عما فى المدارس السابقة كلها

« عود الى ما نحن بصدده »

كان المقرر تدريسه فى النحو بالمدارس الابتدائية الاميرية هو كتاب الفصول الفكرية تأليف المرحوم عبد الله باشا فكرى من علماء وأمراء القرن الرابع عشر المتوفى سنة ١٣٠٧ وكتاب القواعد الاولية للشيخ محمد حسين من علماء الازهر وأساتذة المدارس — وللمدارس التجهيزية وما فوقها شرح ملحة الحريرى للشيخ حسين والى وشرح انموذج الزمخشرى للشيخ محمد عسكر وشرح الالفية للسيوطى وانوار الربيع فى النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع للشيخ محمود العالم . وكان تعليم النحو فى هذه المدارس لا يأتى بالثمرة المطلوبة لأن هذه الكتب وان كانت صحيحة فى ذاتها الا انها ليست منسوقة فى تصنيفها على حسب اعمار الناشئة المتعلمين ولأن معلمى هذا العلم وان كانوا عارفين به لا يحسنون طريقة أدائه الى اذهان الاحداث ولا يراعون طاقاتهم فكان هؤلاء يملونه بسبب ما يعترضهم من الصعوبات فى طريق تعلمهم . فلما اخذ بزمام المعارف صاحب السعادة والدراية يعقوب باشا ارتين سنة ١٨٨٤ للميلاد وشرع فى اصلاح شؤونها والسير بها فى طرق النجاح أمر كثيراً من ذوى الفضل بتصنيف مؤلفات جديدة فى علوم المدارس موافقة للناشئين وقد أمرنى أنا وحفنى بك ناصف ومحمد بك صالح القاضيين الآن بالمحاكم الاهلية والشيخ مصطفى طموم المدرس بالمدرسة الخديوية بتأليف ثلاثة كتب سهلة المأخذ فى النحو مدرجة على حسب اعمار تلامذة المدارس الابتدائية فألفنا هذه الكتب وقدمناها الى سعادته فعرضها على لجنة من افاضل العلماء فأثنوا عليها وحلت لديه محل القبول وأمر بطبعها فطبعت

بمطبعة بولاق وانتشرت بين ابناء المدارس وانتفعوا بها انتفاعاً زائداً وأخذت شهرة واسعة وأجازنا عليها بمائة ليرة مصرية ثم امرنا بعد ذلك بتصنيف كتاب رابع فى النحو أوسع من الثلاثة المتقدمة وكتاب خامس فى علوم البلاغة للمدارس التجهيزية فصنفناهما وطبعا وعمّ نفعهما وأجازنا عليهما بمائة اخرى وكان معنا فى الكتاب الرابع محمود افندى عمر بدلاً من محمد بك صالح وفى الكتاب الخامس محمد افندى سلطان استاذ اللغة العربية بمدرسة الحقوق بدلاً منهما

وليست طريقة تعليم النحو فى المدارس كطريقته فى الازهر فان المعلم فيها لا يحدد جزأ من الكتاب تطالعه التلامذة من قبل بل يعطى الدرس أوّلاً فى وقته المحدد له والتلامذة يفهمونه منه بدون كبير مناقشة يضيع معها الزمن سدى ويسألهم اسئلة تثبت ما اخذوه فى اذهانهم ثم يكلفهم بواجب على يؤدونه فى منازلهم تطبيقاً على الدرس الذى سمعوه وفى اليوم التالى يعيد سؤال البعض فى بعض مسائل الدرس السابق ثم يعطى درساً آخر وهكذا وفى خلال كل ثلاثة اشهر ما عدا اشهر المسامحة يختبرهم فيما حصلوه من العلم ويعطيهم درجات على حسب اجاباتهم فيه وقبل الاختبار يجتهدون فى مذاكرته رغبة فى الحصول على الدرجات العلى .

﴿ تم الباب الخامس — ويليه الباب السادس ﴾

الباب السادس

﴿ فى تاريخ علوم البلاغة ﴾

المعانى والبيان والبديع

بعد مانظر علماء السلف فى كلام العرب من جهة صحته ودونوا لذلك النحو تتبعوا كلام البلغاء منهم فرأوا ان تراكيبه تتفاوت بهيآت وخواصّ تدل على معان ثانوية زائدة عن اصل المعنى فاستنبطوا من ذلك اصولاً دوّنوها ونوّعوها الى ثلاثة علوم الاول يبحث فيه عن الخواص والهيآت التى تقتضيها المقامات والاحوال وسموه علم البلاغة اوالمعانى والثانى يعرف به ايراد المعنى الواحد بعبارات مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وسموه علم البيان وان شئت قلت هو علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية والثالث يبحث فيه عن وجوه تكسو الكلام حسناً وسموه البديع وقد سموا العلوم الثلاثة تارة بالبديع وتارة بالبيان وتارة بعلوم البلاغة ومسائل هذه الفنون لم تجئ دفعة واحدة بل تلاحقت واحدة بعد اخرى ثم رتبت اخيراً

ويظهران ابا عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هو اول من صنف فى المجاز فانه لماسئل بمجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه فى قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين واجاب بانه كقول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال

كان هذا سبباً في ان يضع كتاباً في مجاز القرآن وقد سبق بسط ذلك في تاريخ النحو

وعبدالله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ اول من كتب في البديع فانه جمع من وجوهه سبعة عشر نوعاً وقال في كتابه وما جمع قبلي فنون البلاغة احد ولا سبقني اليه مؤلف ومن احب ان يقتدي بي ويقتصر على ما اخترعناه فليفعل ومن رأى اضافة شيء من المحاسن اليه فله اختياره وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها وسلم له ثلاثة عشر فتكامل لها ثلاثون ثم جمع ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ سبعة وثلاثين في كتابه المسمى بالصناعتين ثم جمع مثلها ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ في كتابه المسمى بالعمدة ثم اوصلها عبدالعظيم ابن ابي الاصبع العدواني المصري المتوفى سنة ٦٥٤ الى التسعين في كتاب سماه تحرير التحبير في علم البديع . ثم جاء صفي الدين عبدالعزيز الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ ونظم قصيدة طويلة فيها ١٤٠ نوعاً باعتبار اصناف التجنيس نوعاً واحداً وجعل كل بيت منها مثالاً لنوع وذكر اسم النوع البديعي الى جانب البيت وسماها الكافية البديعية ثم شرحها شرحاً لطيفاً ثم حذا الناس حذوه ونظموا بديعيات . منها بديعية عز الدين الموصلي المتوفى في حدود سنة ٨٠٠ ملتزماً في البيت ذكر اسم النوع وشرحها شرحاً وافياً وتسمى بالفتح الآلي في مطارحة الحلي . ومنها بديعية شرف الدين اسمعيل اليمني المعروف بابن المقري المتوفى سنة ٨٣٧ جمع فيها ١٥٠ نوعاً من انواع البديع . وبديعية الشيخ ابي بكر علي المعروف بابن حجة

الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وتعرف بخزانة الادب وشرحها والمولى الناصر هو الذى رسم له بنظمها ملتزماً فيها تسمية النوع ومجارياً فيها الصفى الحلى وكان يشيد البيت فيرسم له بهدمه ويقول له بيت الصفى اصفى مورداً فيعيد النظم الى ان يحكم له بالسبق كذا ذكر فى خطبة الشرح . ومنها بديعية عائشة الباعونية الدمشقية المتوفاة سنة ٩٢٢ وتسمى بالفتح المبين وقد شرحتها شرحاً مختصراً والشرح مطبوع مع شرح بديعية ابن حجة سنة ١٣٠٤ فى المطبعة الخيرية بالقاهرة . ومنها بديعية عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ المسماة نسمات الاسحار وقد شرحها شرحاً جليلاً متقناً سماه نفحات الازهار اتى فى خطبته على ذكر البديعيات الاربع السابقة وعاب بديعيتى الموصلى وابن حجة وقد طبع الشرح بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩

(والشيخ عبد القاهر الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ألف كتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة فى المعانى والبيان ومن كلامه : ان الكلام الذى يدق فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذى تدل بلفظه على معناه اللغوى ثم تجد لذلك اللفظ دلالة ثانية على المعنى المقصود فهناك ألفاظ ومعان أُوَل ومعان ثوان

(وابو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ ألف كتاب مفتاح العلوم قال فى مقدمته « اعلم ان علم الادب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الاوضاع وشىء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام أما اذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطإ فى العربية وسلوك جادّة الصواب فيها اعترض دونك منه انواع تلقى لأدناها عرق القربة لا سيما اذا انضم الى همتك الشغف بالتلقى لمراد

الله تعالى من كلامه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهناك يستقبلك منها ما لا يبعد ان يرجعك القهقرى وكأنى بك وليس معك من هذا العلم الا ذكر النحو واللغة قد ذهب بك الوهم الى ان ما قرع سمعك هو شيء قد افترعته عصبية الصناعة لا تحقيق له والا فمن لصاحب علم الادب بانواع تعظم تلك العظمة لكنك اذا اطلعت على ما نحن مستودعوه كتابنا هذا مشيرين فيه الى ما تجب الاشارة اليه ولن يتم لك ذلك الا بعد ان تركب له من التأمل كل صعب وذاول علمت اذ ذاك ان صوغ الحديث ليس الا من عين التحقيق وجوهر السداد »

وقد قسم المفتاح الى ثلاثة اقسام الاول فى الصرف والثانى فى النحو والثالث فى علوم المعانى والبيان والبديع وعرف المعانى بانه تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره قال واعنى بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهى تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها فى صناعة البلاغة واعنى بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب وعرف البيان بأنه معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه او بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه وقد طبع بالمطبعة الادبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ للهجرة .

وقد شرح القسم الثالث من المفتاح العلامة محمود بن مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ وسمى شرحه مفتاح المفتاح . وشرحه ايضاً

السيد الشريف على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ولخص هذا القسم محمد ابن عبد الرحمن القزوينى خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ وسمى كتابه تلخيص المفتاح ثم وضحه فى كتاب سماه ايضاح المعانى والبيان وضم اليه ما خلا عنه مما تضمنه المفتاح مع زيادات من دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وقد شرح التلخيص مسعود بن عمر التفتازانى المدعو بسعد المتوفى سنة ٧٩١ شرحاً واسعاً سماه المطول ثم اختصر المطول فى شرح يعرف بمختصر السعد . وقد شرح التلخيص ايضاً عصام الدين ابراهيم الاسفرايني المتوفى بسمرقند سنة ٩٥١ وقيل سنة ٩٤٥ وسمى شرحه بالاطول . وقد اخذ شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ وبنى عليها كتاباً جليلاً فى الادب يشبه خزانة الادب للبغدادى وسماه معاهد التنصيص . وشروح التلخيص الثلاثة السابقة تقرأ بالازهر بعد كتب النحو وقد اكثر العلماء من الحواشى على شرحى التفتازانى . فمنها على المطول حاشية السيد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وحاشية حسن چلبى الفنارى المتوفى سنة ٨٨٦ وحاشية عبد الحكيم الهندى المتوفى سنة ١٠٦٧ ومنها على المختصر حاشية احمد بن يحيى حفيد السعد المتوفى سنة ٩٠٦ وحاشية محمد الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ محمد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠

وابو الليث السمرقندى من علماء النصف الثانى من القرن التاسع صنف متناً فى الاستعارات يعرف بالسمرقندية يقرأه الطلاب المبتدئون وقد كتب عليه كثير من العلماء . فمن ذلك شرح العصام وشرح احمد الملوى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ وحاشية الشيخ ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٦٧ . وعلى شرح العصام

حاشية لحفيده الشيخ على المتوفى بمكة سنة ١٠٠٧ وحاشية للشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ وعلى شرح الملوى حاشية للشيخ محمد الامير المصرى المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ محمد الدمنهورى فرغ من تأليفها سنة ١٢٣٣ وحاشية للشيخ محمد الخضرى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٨٨

ومحمد بن الشحنه التركى المتوفى سنة ٨١٥ بحلب له منظومة فى المعانى والبيان والبديع وهى مائة بيت ولذا يقال لها مائية المعانى والبيان . ولمحمد ابن عبد الحق الطرابلسى شرح عليها سماه درر الفوائد المستحسنة فرغ من تأليفه سنة ١١٠٩ ولمحمد بن العزى شرح عليها ايضاً سماه مواهب الرحمن فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤

وجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ له أرجوزة سماها عقود الجمان فى علم المعانى والبيان قال فيها :

وهذه ارجوزة مثل الجمان ضمنتها علم المعانى والبيان
لخصت فيها ماحوى التلخيص مع ضم زيادات كامثال اللمع

وقد شرحها شرحاً حسناً

والشيخ عبد الرحمن الاخضرى له منظومة ايضاً سماها الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون فرغ من نظمها سنة ٩٥٠ وعليها شرح حلية اللب المصون تأليف الشيخ احمد الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ والشيخ مخلوف حاشية على هذا الشرح فرغ من تأليفها سنة ١٢٦٥

والشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ له كتاب فى البيان يعرف بالرسالة البيانية . وللشيخ محمد عليش المصرى المتوفى سنة ١٢٩٩ حاشية

عليها وكذا للشيخ مخلوف حاشية عليها وقد طبعت سنة ١٢٨٥ بالمطبعة الوهبية بمصر وايضاً للشيخ محمد الانبابى حاشية كبيرة عليها طبعت ببولاق سنة ١٣١٥

والشيخ حسين المرصفي من اساتذة المدارس المصرية له كتاب جليل فى فنون الادب يسمى بالوسيلة الادبية وقد طبع سنة ١٢٨٩ بمطبعة المدارس الملكية وكان رحمه الله مع كونه بصيراً واسع الاطلاع فى الادب حسن المحاضرة والنوادر قرأت عليه كتابه هذا بمدرسة دار العلوم وقد جاء فى مقدمته ما نصه « اعلم ان هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما تحصلت لباذلى هممهم فى تحصيلها بتتبع الكلم العربى يسمعونه منهم ويروونه عنهم واول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معياراً لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وابو تمام حبيب بن أوس الطائى ولكن لم يدوناها وانما كانا يتحدثان بها ويسميانها البديع ولما اكثرا من استعمال مقتضياتها وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الالفاظ اخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء اذ ذاك كانوا يقولون قد افسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء الذى يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث فى ذلك الى ان جاء عبدالله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعاً لطيفاً ثم اتسع القول فيه بعد واقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان وهذا نموذج تأليف الاوائل فى هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله : «البلاغة على عشرة اقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان» ثم اخذ فى بيان كل

منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول فى العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى افضى بهم التكلم فى تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون فى معرفة اعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق فصارت من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التآليف واولهم الشيخ عبدالقاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهى ثلاثه فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة فى معانيها التى وضعت لها او فيما يناسبها اعتماداً على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعانى وفن يبحث عن احوال تعرض للكلام فتكسبه حسناً وسموه البديع » اه

والشيخ محمد البسيونى من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب فى العلوم الثلاثة سماه حسن الصنيع وقد طبع بمطبعة ديوان المعارف سنة ١٣٠١ وكان يقرأ بمدرسة الحقوق

والشيخ محمود العالم المنزلى من علماء الازهر واساتذة المدارس المتوفى حوالى سنة ١٣١٠ له كتاب جمع فيه خمسة علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وسماه انوار الربيع وقد طبع فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ وكان يقرأ بالمدارس التجهيزية

والشيخ الفاضل هارون عبدالرزاق من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب حسن الصياغة فى فنون البلاغة طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٩ للميلاد وهو رسالة صغيرة كانت تقرأ بالمدارس

وقد الفنا انا وحفنى بك ناصف ومحمد افندى سلطان والشيخ مصطفى طموم كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية يقرأ بعد كتبنا النحوية السابقة وقد طبع بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٠

الباب السابع

« فى تاريخ المحاضرات »

كانت سوق الادب رائجة فى عهد خلفاء بنى امية فى الشام والاندلس وخلفاء بنى العباس فى العراق اذ كانوا يقربون من مجالسهم أدباء عصرهم ليحادثوهم بما يروح نفوسهم ويشرح صدورهم من قَصِّ نوادر غريبة واخبار عجيبة وانشاد اشعار رقيقه وعلى سنهم جرى عُمَّالهم فى الامصار فكان الاديب يبذل وسعه فى تعرّف انباء السالفين والحاضرين وحفظ اشعارهم واستحضار ملحهم ولطائفهم ليكون ذا اطلاع واسع واقتدار بارع على ان يحضره بداهة فى مجلس الخليفة او الامير ما يقتضى الحال ذكره لينال منه كذا جائزة وقد دونوا لهذا الغرض مصنفات تجمع نوادر واخباراً وملحاً واشعاراً وغيرها وسموا معرفة ذلك بعلم المحاضرات وهو لاريب نوع خاص من علم التاريخ

واساس هذا العلم على ما يقال كتاب (كليلة ودمنة) الذى ترجمه الى العربية عبدالله بن المقفع كاتب الخليفة ابى جعفر المنصور العباسى المتوفى

الخلافة سنة ١٣٧ للهجرة وهو كتاب يشتمل على حكايات موضوعة على السنة الحيوانات متضمنة حكماً وسياسات تهذب الاخلاق والنفوس وضعه الفيلسوف بيدبا لملك الهند فى القرن الرابع قبل الميلاد وقد طبع هذا الكتاب احد علماء الافرنج الشهير بسلفستر دساسى (Sylvestre de Sacy) سنة ١٨١٦ وطبع ايضاً فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٩٧ للهجرة وفى مطبعة بولاق وفى بيروت سنة ١٨٨٤ وفى عصر الخليفة المنصور هذا صنف محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير

ومما دوّن فى المحاضرات كتاب العقد الفريد لشهاب الدين احمد بن محمد الاندلسى المعروف بابن عبد ربه المتوفى بقرطبة سنة ٣٢٨ قال فى خطبته « وبعد فان اهل كل طبقة وجهابذة كل امة قد تكلموا في الادب وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده فى اختصار بديع معانى المتقدمين واختيار جواهر الفاظ السالفين واكثروا فى ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار ثم انى رأيت آخر كل طبقة وواضعى كل حكمة ومؤلفى كل أدب اعذب الفاظاً واسهل بنية وأحكم مذهباً واوضح طريقة من الاول لانه ناقض متعقب والاول بادٍ متقدم فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين انصاف ثم يجعل عقله حكماً عادلاً قاطعاً فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت زكية التربة يانعة الثمرة فمن أخذ بنصيبه منها كان على ارثٍ من النبوّة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسك به وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر

وأبان الألباب وانما لى فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وماسواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء.

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة فى فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها وتوافقها فى مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزأ فى خمسة وعشرين كتاباً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد فاولها كتاب اللؤلؤة فى السلطان ثم كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها ثم كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد ثم كتاب الجمانة فى الوفود ثم كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك ثم كتاب الياقوتة فى العلم والادب ثم كتاب الجوهرة فى الامثال ثم كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ثم كتاب الدرّة فى التعازى والمراثى ثم كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ثم كتاب العسجدة فى كلام الاعراب ثم كتاب المجتبى فى الاجوبة ثم كتاب الواسطة فى الخطب ثم كتاب المجتبى الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ثم كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ثم كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ثم كتاب الدرّة الثانية فى ايام العرب ووقائعهم ثم كتاب

الزمردة الثانيـة فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ثم كتاب الجوهرة الثانية فى اعاريض الشعر وعلل القوافى ثم كتاب الياقوتة الثانية فى الالحان واختلاف الناس فيه ثم كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن ثم كتاب الجمانة الثانية فى المتنبئين والموسومين والبخلاء والطفيليين ثم كتاب الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ثم كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب ثم كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح اه . وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٣

وكتاب الاغانى لابى الفرج علي الاصفهانى المتوفى ببغداد سنة ٣٥٦ وهو كتاب جامع لكثير من السير والنوادر والاشعار وايام العرب وأخبارهم وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام وقد بنى كل ذلك على المائة صوت المختارة للخليفة هارون الرشيد العباسى وهذا الكتاب قلّ ان يوجد له مثيل وقد طبع فى عشرين سفراً بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٨٥ وطبع السفر الحادى والعشرون من هذا الكتاب فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٥

وكتاب نثر الدرر لابى سعد منصور بن الحسين وزير مجد الدولة رستم بن بويه من أدباء القرن الرابع اختصره من كتاب نزهة الادب

وكتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهانى كان فى أوائل المائة الخامسة وهو كتاب نفيس فى سفرين طبعته جمعية المعارف المصرية سنة ١٢٨٧ بمطبعة السيد ابراهيم المويلحي

وكتاب زهر الآداب وثمر الالباب لابى اسحق ابراهيم المعروف

بالحصرى القيروانى المتوفى بالقيروان سنة ٤٥٣ وقد طبع على هامش كتاب العقد الفريد المتقدم

وكتاب الغرر والدرر للشريف المرتضى ابى القاسم على بن الطاهر المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ وهو ذو ثلاثة اسفار

وكتاب ربيع الابرار ونصوص الاخبار لابى القاسم محمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨

وكتاب زاد الرفاق لابى المظفر محمد الابيوردى المتوفى باصبهان سنة ٥٥٧

وابو قماش لشرف الدين مبارك بن احمد الاربلى المتوفى سنة ٦٣٧ فى الموصل جمع فيه من النوادر ما لا يحصى

وكتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار فى الادبيات والنوادر والاخبار لمحيى الدين ابى بكر محمد المعروف بابن الدربى المتوفى بدمشق سنة ٦٣٨

وكتاب العدد المعدود تأليف ابى يحيى زكريا المراغى من علماء النصف الثانى من القرن السادس فيه مائة باب ثمانون منها فى خمس مقالات وعشرون منفردة

وريحانة الادب لابى الحسن على بن موسى الاندلسى المتوفى سنة ٦٧٣ جمع فيه بين عيون الاخبار ومستحسنات الاشعار

وكتاب تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون التى كتب بها الى ابن جهور لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤

والتذكرة لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي أيضاً وهى ثلاثون

سفراً جمع فيها نوادر الاشعار ولطائف الادبيات نظماً ونثراً

وثمرات الاوراق لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وقد طبع منفرداً سنة ١٣٠٠ بالمطبعة الوهبية وطبع أيضاً على هامش محاضرات الراغب السابقة

وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لشهاب الدين احمد الدمشقى المعروف بابن عرب شاه المتوفى بالخانقاه الصالحية من القاهرة سنة ٨٥٤ وقد نحا منحى كتاب كليلة ودمنة وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٦

وروض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار لمحيى الدين محمد بن الخطيب المتوفى سنة ٩٤٠ قال فى اوله « لما كان علم المحاضرات علماً نافعاً لا تدرك غايته استخرجت من بحث فوائده على وجه الاختصار ما عثرت عليه فى كتب الادباء » اهـ واسم الكتاب يدل على انتخابه من كتاب الزمخشرى

والمستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين احمد الابشيهي من علماء القرن التاسع وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٨٥

وكتاب طراز المجالس لاحمد بن محمد الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ وله أيضاً كتاب ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا ذكر فيه من عاصرهم من الشعراء والادباء فى الشام والمغرب وجزيرة العرب ومصر قد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٣

وكتاب نفحة اليمن فيما يزول بذكر والشجن لاحمد بن محمد الانصارى اليمنى من علماء النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى

الباب الثامن

﴿ فى تاريخ الانشاء ﴾

« وفيه أربعة فصول »

الفصل الاول

فى تعريف الانشاء ووجه تعلمه وانواعه

الانشاء فى اللغة الشروع والايجاد والوضع تقول انشأ الغلام يمشى اذا شرع فى المشى وانشأ الله العالم اوجدهم وانشأ فلان الحديث وضعه

وفى اصطلاح الادباء هو صناعة النثر ويعرف بفن الكتابة فهو يقابل قرض الشعر ويكون سجعاً وموازن الفواصل ومرسلا (فالسجع) يكون ذا فقر متحدة فواصلها فى الحرف الاخير نحو سرر مرفوعة واكواب موضوعة فان الفاصلتين مرفوعة وموضوعة اتحدتا فى العين فان كانت الفاظ الفقرة او اكثرها مثل ما يقابلها من الفاظ قرينتها وزناً وتقفية كان السجع مرصعاً نحو «يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه» (والموازن) كالسجع لكن فواصله تتحد فى الوزن دون الحرف الاخير نحو نمارق مصفوفة وزرابىّ مبثوثة فان مصفوفة ومبثوثة اتحدتا فى الوزن دون التقفية اذ الاولى على الفاء والثانية على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث وان كانت الفاظ احدى القرينتين او اكثرها مثل ما يقابلها من الاخرى فى

الوزن كان الموازن مماثلاً نحو «وآتيناه الكتاب المستبين وهديناه الصراط المستقيم» (والمرسل) ما جاء من غير توخى تقفية أو وزن وقد جاء بالثلاثة القرآن واحسنها المرسل فانه يمضى مع النفس واسرع الى الافهام فى أداء المعنى فان منشئ السجع قد يضطر الى تقديم لفظ وحقه التأخير أو الاتيان بلفظ لا يوافق موضعه كى يتيسر له التقفية أو الوزن وقد يحذف ما تضيق عبارته عنه فيأتى الكلام معقوداً تركيبا فان جاءت الالفاظ فيهما على ترتيب المعانى بحيث لا يظهر على الكلام غبار التكلف او القلاقة فقد امتازا عن المرسل بحسن وقعهما فى الاسماع وهما لا يوجدان فى غير العربية

قال ابن خلدون « السجع هو الكلام الذى يؤتى به قطعاً ويلتزم فى كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يطلق الكلام فيه اطلاقاً ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الاغراض وصار هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا فى الوزن واستمروا على هذه الطريقة واستعملوها فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى المنثور كله على هذا الفن الذى ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذى اشرنا اليه وهو على صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطِب والمخاطَب ويجب ان تنزه هذه المخاطبات عن هذا المنثور المقفى اذ أساليب الشعر تنافيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب

فى الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك فى الخطاب والمحمود فى المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا فى الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالاً من غير تكلف له اما اجراؤها على هذا النحو الذى هو من اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل واولعوا بهذا المسجع يلفقون به مانقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك حتى انهم يخلون بالاعراب والتصريف فى الكلمات اذا دخلت لهم فى تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان مع صحتها » اه بتصرف . وأحسن السجع ما تساوت فيه القرائن وقصرت نحو « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » ويليه ماطالت فيه القرينة الثانية عن الاولى طولا لا يخرجها عن الاعتدال وعكسه غير حسن فان السمع يكون متوقعاً طول الثانية كالاولى فاذا قصرت نبا عنها ولم يصل الى غايته المنتظرة

وعلى من يريد ان يبرع فى صناعة الانشاء ان يتزود من فنون الادب لاسيما اللغة والمحاضرات ثم يطالع بامعان نظر منشآت من اشتهروا بالبراعة فى هذه الصناعة ثم ينثر ابياتاً شعرية او يدرس فصولاً من كتاب ممتاز كمقدمة ابن خلدون ويلخص هذه الفصول او يطوى الكتاب ويكتب من تلقاء نفسه ماعلق بذهنه منها أو يأخذ مثلاً سائراً ويبنى عليه موضوعاً واسعاً او يكتب قصة سمعها او يصف منظراً رآه وفى كل هذا يعرض ما

كتبه على منشىء ماهر كى يرشده الى الصواب وبالجملة هذه الصناعة لا تصير ملكة الا بالمرانة والدربة

(والانشاء انواع) منها الترسل اى انشاء الرسائل وتسمى الكتب ايضاً . ومنها التحرير اى كتابة دواوين الحكومات وصحف الاخبار المعروفة بالجرائد ومنها التأليف اى تصنيف كتب العلوم . ومنها القَصَص اى وضع القصص او الحكايات . ومنها الخطابة اى وضع الخطب ومنها الوصف

الفصل الثانى

« فى تاريخ الانشاء »

(كانت الرسائل) تفتتح فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين بكتابة « من فلان الى فلان » سواء كانت الكتابة من اعلى الى ادنى او من ادنى الى اعلى او بين متساويين وقد يسبق ذلك « بسم الله الرحمن الرحيم » ويليه « السلام عليك او السلام على من اتبع الهدى » وبعد هذا « اما بعد فانى الامر كيت وكيت » او « اما بعد فانى احمد اليك الله وان الامر كذا وكذا » . وقد يؤخر السلام فى آخر الكتاب

(وكانت عبارة الرسائل) سهلة لا يتوخى فيها السجع ولا تزيين الالفاظ الا اذا جاء ذلك عفواً

ولما اراد عليه الصلاة والسلام ان يكتب للملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤن كتاباً الا اذا كان مختوماً فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من

فضة منقوشاً عليه ثلاثة اسطر « محمد » فى سطر و « رسول » فى الوسط و « الله » فوق ذلك وصار يختم به كتبه وقد اتخذ هذا سنة من بعده قال ابن عبد ربه فى عقده ما نصه « كان رسول الله يكتب الى الصحابة وامراء جنوده من محمد رسول الله الى فلان وكذا كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم فممن كتب اليه وبدأ بنفسه ابو بكر والعلاء بن الحضرمى وغيرهما وكذلك كتب الصحابة والتابعين ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر ان لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضاً فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم » اه

ولما ارتفع شأن الخلافة الاسلامية وبلغت مبلغها من العظمة والفخار واتسع مجال الادب اصطلحوا على ديباجات يصدرون بها كتبهم المقدمة الى ديوان الخلافة او ما يتبعها فكانوا يكتبون الى الخليفة فى اول الكتاب « ادام الله بقاء الديوان العزيز أو خلد سلطانه أو نحو ذلك » والى الملك « اطال الله بقاء الملك او خلد الله ملكه او ما اشبه » والى الامير « اعز الله انصار الجانب الشريف او اعز الله نصره او نحوه » والى الوزير « ادام الله سعادة الوزير اوخلد مجده او اسبغ عليه نعمه او ما شاكله » ويدعون للقضاة والحكام بعز الاحكام وتأييدها ثم بعد هذا الدعاء كانوا يمدحون المكتوب اليه بعدة اوصاف تليق بمقامه ثم يدخلون فى اغراضهم المقصودة لهم بمثل هذه العبارات الآتية « العبد او المملوك يقبل الارض او الاعتاب الشريفة وينهى ماهو كذا وكذا » او « الخادم المطيع يقبل الايدى

الكريمة وينهى ... » او « صنيعتكم يتشرف بعرض ما هو كيت وكيت » او « الداعى ينهى ما هو . . . » وبعد بيان الغرض من الرسالة يختمونها بالدعاء ويؤرخونها ان كانت فى اول ليلة من الشهر بكتابة « كتب لاول ليلة منه اولغرته اومستهله » وفى الليلة الثانية « كتب لليلة الثانية » وعلى هذا القياس الى آخر الشهر ويكتب فى الليلة الاخيرة « لآخر ليلة منه او سلخه او انسلاخه » وان كتب فى اليوم الاول يؤرخون بكتابة « كتب لليلة خلت او اول الشهر او غرة الشهر » وفى الثانى « لليلتين خلتا » وفى الثالث « لثلاث خلون اوخلت » وكذا الى عشر ليال خلون او خلت وفى الحادى عشر « لاحدى عشرة ليلة خلت او خلون » الى الرابع عشر فيكتبون « لاربع عشرة ليلة خلت او خلون » وفى الخامس عشر « للنصف من كذا » وفى السادس عشر « لاربع عشرة ليلة بقيت اوبقين » الى التاسع عشر فيكتبون « لاحدى عشرة ليلة بقيت او بقين » وفى العشرين « لعشر ليال بقين او بقيت » وهكذا الى الثامن والعشرين فيكتبون فيه « لليلتين بقيتا » وفى التاسع والعشرين « لليلة بقيت » وفى اليوم الاخير « لآخر يوم من كذا او سلخه او انسلاخه » فالليل عندهم سابق النهار واول الشهر اول ليلة يرون فيها الهلال قال ابن عبد ربه فى عقده « لا بد من تاريخ الكتاب لانه لا يدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ فان اردت ان تؤرخ كتابك فانظر الى ما مضى من الشهر وما بقى منه فان كان ما بقى اكثر من نصف الشهر كتبت لكذا او كذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان الباقى اقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض

الكتاب لا تكتب اذا ارخت الا بما مضى من الشهر لانه معروف وما بقى منه مجهول» اه (وبعد التاريخ) يكتبون على الرسائل اسماءهم او يطبعون خواتمهم (فاذا عرض) الكاتب على الخليفة او السلطان او الامير الرسالة المرفوعة اليه وامره ان يكتب على حاشيتها بما يفصل فى شأنها فما كتبه كانوا يسمونه توقيعاً[1] ومثل هذا فى عصرنا يسمى شرحاً (قال ابن خلدون) «ومن خطط الكتابة التوقيع وهو ان يجلس الكاتب بين يدى السلطان فى مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان تصدر كذلك واما ان يحذو الكاتب على مثالها فى سجل يكون بيد صاحب القصة» اه (وقال ايضاً) ان الرسائل وغيرها فى سالف العصر الى عهد خلافة بنى العباس كانت تكتب فى الرق المهيأ بالصناعة من الجلد ثم طمى بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة فى صناعته ما شاءت اه (وقال فى موضع آخر) وكانت صناعة الكتابة عند بنى العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس فى طين احمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرف

---

(١) معناه فى كلام العرب التأثير القليل يقال ناقة موقعة الجنب اذا اثرت فيه حبال الاحمال ويحتمل ان يكون مأخوذاً من قولهم وقع الامر اذا حق ولزم كما فى قوله تعالى «ووقع القول عليهم بما ظلموا» أي حق ووجب

السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولاً وآخراً اه (وقال ايضاً) «واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت فى الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يكتب الى قيصر فقيل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الا ان يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات فى ثلاثة أسطر وختم به وقال لاينقش احد مثله قال وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان فى بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله . وفى كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الآلة التى تجعل فى الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاوانى والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى «ختامه مسك» وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه فى شرابهم ريح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها فى الدن سداد الطين اوالقار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فيبلغ فى وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو اطيب عرفاً وذوقاً من القار والطين المعهودين فى الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على أثرها الناشىء عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت به كلمات أو اشكال ثم غمس فى مداف من الطين او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي أثر الكلمات

فى ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط فى الصفح عما كان فى النقش من يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه فى المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام . . . »

(واما الرسائل التى كانت سائرة بينهم) فكانوا يبتدئونها بما يعنّ لهم مع مراعاة حال المكتوب اليه فبعضهم كان يبتدىء بنحو « كتابى الى فلان اطال الله بقاءه » او « كتابى الى ولدى العزيز امتع الله به » او « الى فلان التاجر ادام الله اقباله » ثم يقول « وبعد فكيت وكيت » ثم ينهى الرسالة بقوله « والسلام » وبعضهم كان يبتدئ بالسلام والتحية ويبالغ فى وصفها ثم يقول « نخص بذلك فلان » ويمدحه ويدعو له ثم يقول « وبعد فالامر ماهو كذا وكذا » ثم يتم الكتاب بما يشعر بالانتهاء ويؤرخون الرسائل ويوقعون عليها كما سبق (وكانوا) يتوخون فى هذه الرسائل السجع وتحسين الالفاظ لكن بعضهم كان يطنب فى صدور الكتب ويبالغ فى مدح المكتوب اليه ويوجز فى الغرض المقصود وهذا غير حسن فى زماننا (ولهذا اختاروا الآن) فى صدور الكتب الرسمية والاهلية ديباجات مختصرة يتلوها الغرض المقصود

اما الكتب الرسمية فى مصر وان شئت قلت الرسائل بين موظفى

الحكومة او كما يقولون الافادات او الجوابات فديباجاتها عربية مشوبة بالتركية مع ان عبارات الرسائل نفسها عربية محضة فيكتبون

لجلالة السلطان :	شوكتلو ولى النعم افندمز حضرتلريناه
وللحضرة الفخيمة الخديوية :	دولتلو فخامتلو خديو مصر افندمز حضرتلرى
وللصدر الاعظم :	دولتلو فخامتلو صدراعظم افندم حضرتلرى
ولشيخ الاسلام :	دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى
وللسر عسكر :	دولتلو عطوفتلو افندم حضرتلرى
وللمشير :	دولتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الاولى من الصنف الاول: عطوفتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الاولى من الصنف الثانى: سعادتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الثانية من الصنف الاول: عزتلو افندم

ولذى الرتبة الثانية من الصنف الثاني : عزتلو افندى او بك

ولذى الرتبة الثالثة :	رفعتلو افندى او بك
ولذى الرتبة الرابعة :	فتونلو افندى
ولذى الرتبة الخامسة :	حميتلو افندى

وجاء هذا من دخول مصر فى حوزة الاتراك ويمكن الاصطلاح على ديباجات عربية خالصة توازى هذه وقد اخذ بعض الناس فى ذلك الآن فكتبوا بدل (دولتلو فخامتلو) صاحب الدولة والفخامة (وبدل افندمز) مولانا وغير ذلك (وبعد هذه الديباجات) يدخلون على المقاصد بعبارات وجيزة تليق بالمكتوب اليه مثل « يرفع هذا للسدة الكريمة العبد الخاضع فلان وينهى . . . » او « التشرف برفع هذا للمقام العالى وانهى . . . » او « اعرض

على مسامع دولتكم ماهو . . .» او « احيط عطوفتكم علماً بما هو . . . » او «اقدم هذا لسعادتكم راجياً كذا » او « التمس من عزتكم كيت وكيت » او « ابدى لحضرتكم كذا » وعلامة الانتهاء كلمة « افندم »

(ويؤرخونها) بالتاريخ العربي والافرنجي معاً ويضعونه اسفل الرسالة والمستعمل الآن في التاريخ ان يكتب عدد ما مضى من ايام الشهر بالرقم وبعده اسم الشهر ثم اسم السنة وفوقها ما يدل عليها من الارقام فيكتب مثلاً « ٢٥ شعبان سنة ١٣١٤ » (ثم يكتبون) اسماء وظائفهم ويختمون تحتها وان اقتصر المرسل على كتابة الاسم سموا ذلك امضاء ويسمون آلة طبع الاسم ختماً لا خاتماً (وان كانت الرسائل) الرسمية جواباً عن اخرى ابتدؤها بعد الديباجات نحو « طبقاً للامر الصادر في كذا نمرة كذا او امر دولتكم » او « بناء على امر عطوفتكم او سعادتكم » او « بناء على ما ورد الينا من عزتكم » او « حيث ان حضرتكم طلبتم كذا »

(واما الرسائل الاهلية) الآن فيكتبون في صدورها مثل « حضرة الفاضل او الكامل او الاديب او المحترم او العزيز او الاخ او صديقنا او السيد فلان دام بقاؤه او لا زال ملحوظاً بعين العناية او نحو ذلك » وقد يجمع الكاتب بين وصفين او ثلاثة ثم بعد ذلك يذكرون عبارات تفيد اهداء التحية والسلام الى المكتوب اليه ثم يدخلون في الاغراض ويتممون الكتاب نحو « اقبلوا فائق احترامي والسلام » ويؤرخونها بالتاريخ العربي او الافرنجي وبعضهم يكتبه اسفل الرسالة وبعضهم يكتبه اعلاها كعادة الافرنج . ويمضونها بكتابة « عبدكم فلان او الخاضع المطيع او محسوبكم او صديقكم او المحب المخلص او والدكم او اخوكم او الفقير اليه تعالى او الحقير

اونحو ذلك» ومع هذا قد مال اغلب الناس الى ترك مثل ذلك واقتصروا على كتابة الاسم مجرداً او ختمه

(وبعد انهاء) الرسالة رسمية او أهلية توضع فى غلاف يسمى ظرفاً مصنوعاً على صورتها بعد طيها واطراف الظروف مصمغة فتبل ويلصق بعضها ببعض ويكتب عليه عنوان المكتوب اليه وهو الديباجة المصدرة بها الرسالة

(وعبارة الرسائل) الرسمية والاهلية سهلة لا يتوخى فيها السجع الا ان ادباء عصرنا يحذون فى رسائلهم حذو ادباء السلف ليظهروا فضل ادبهم

(ومن اشهر ما كتب فى الرسائل) رسائل ابى الفضل احمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٣ وقد طبعت بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٨ وقد كتب عليها شرحاً مفيداً الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسى وطبع هذا الشرح سنة ١٨٩٠ للميلاد فى بيروت . ورسائل ابى بكر الخوارزمى وكان معاصراً للبديع وقد طبعت بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٧ ورسالة ابى الوليد احمد المعروف بابن زيدون الاندلسى المتوفى باشبيلية سنة ٤٦٣ وقد انشأها على لسان ولادة بنت المستكفى فى هجاء الوزير ابى عامر بن عبدوس الملقب بالفار وعليها شرح جليل لابى بكر محمد بن نباته المتوفى سنة ٧٦٨ يعرف بسرح العيون

(ومما ساعد) على تقدم صناعة الانشاء فى عصرنا هذا (سنة ١٣١٤ للهجرة) صحف الاخبار الحاضرة المعروفة بالجرائد وانشاؤها فى الجملة مرسل حسن يفهمه العوام ويرضاه الخواص واقدم الجرائد العربية المنتشرة الآن فى مصر الجريدة الرسمية المعروفة بالوقائع المصرية فان انشاءها كان منذ ست وستين سنة فى

عهد المغفور له محمد على باشا ثم جريدة الاهرام التى انشئت من نحو ٢٢ سنة وصاحبها الفاضل تقلا باشا ثم جريدة الوطن ومحررها الفاضل ميخائيل افندى عبد السيد وكلتاهما ظهرت فى عهد المغفور له اسمعيل باشا خديو مصر ثم جريدة المقطم التى انشئت منذ تسع سنين ومنشئوها الافاضل يعقوب افندى صروف وفارس افندى نمر وجاهين افندى مكاريوس ثم جريدة المؤيد وصاحبها الفاضل الشيخ على يوسف وعمرها نحو ثمانى سنين وكلتاهما ظهرت فى عهد المغفور له محمد باشا توفيق خديو مصر

(واما كتب العلوم) فسير التأليف فيها لم يتغير عما كان عليه فى العصر السالف اللهم الا من جهة حسن الوضع والترتيب والتقريب الى الاذهان ومن عاداتهم ان يبتدئوها بخطب مفتتحة بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم ثم يقولون وبعد فكذا وكذا ويبينون الغرض من تأليف الكتاب وقد يذكرون فيه اسم الخليفة او الملك او الامير الذى الف فى عصره هذا الكتاب (وبعض معاصرينا) لا يستحسنون ذلك وفاتهم ان هذا مفيد فى تاريخ العلوم . وفى هذه الخطب المؤلفون يظهرون براعتهم فى الانشاء ويتوخون فيها تهذيب الكلام وتحسينه بانواع البديع كبراعة الاستهلال والسجع والجناس ولهذا افرد العلماء بعض خطب المصنفات بالشروح

(واما القصص) فمنها ماله خارج يطابقه فيكون من علم التاريخ ومنها ما هو حكايات مخترعة وضعت لتسلية النفوس وقت الفراغ كالكتاب الف ليلة وليلة وهذا النوع يعرف الآن بالروايات وقد اكثر من التصنيف فيه معاصرونا اقتداء بالافرنج فانهم فى هذا الفن قد حازوا قصبات السبق (ومن الحكايات الموضوعة) المقامات الادبية التى قصد بها منشئوها جمع

موادّ لغوية فى حكايات لطيفة حسنة الاسلوب يرغب فيها طالب الادب ويسهل عليه حفظها ويتعرف منها اساليب الانشاء كمقامات ابى الفضل احمد بن الحسين الهمذانى المعروف ببديع الزمان المتوفى سنة ٣٩٣ نسب روايتها الى عيسى بن هشام ومبنى حديثها الى ابى الفتح الاسكندرى وكلاهما اخترعه وهمه وخياله وقد طبعت هذه المقامات سنة ١٢٩٣ بمطبعة الجوائب وهى احدى وخمسون مقامة وقد شرحها شرحاً لطيفاً الفاضل الشيخ محمد عبده وقد طبع هذا الشرح فى بيروت سنة ١٨٨٩ للميلاد

ومقامات ابى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى المتوفى سنة ٥١٦ بالبصرة قال فى خطبتها « وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا الى ابى الفتح الاسكندري نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشىء مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الطالع شأو الضليع .... الى ان قال وانشأت خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب ونوادره الى ماوشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجى النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما امليت جميعه على لسان ابى زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث بن همام البصرى ... الى ان قال ومن نقد الاشياء بعين المعقول وانعم النظر فى مبانى الاصول نظم هذه

المقامات فى سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن التمجماوات والجمادات ولم يسمع بمن تباسمعه عن تلك الحكايات او اتم رواتها فى وقت من الاوقات . . . فاى حرج على من انشأ ماحاً للتنبيه لا للتمويه ونحاها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو فى ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الى صراط مستقيم . » اه وقد طبعت فى بولاق سنة ١٣٠٠ للهجرة وكثير من طلاب الادب يحفظونها او بعضها . وقد علق الادباء عليها شروحاً كثيرة من اشهرها الشروح الثلاثة لابى العباس احمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى المتوفى سنة ٦١٩ وقد طبع منها الشرح الكبير فى سفرين بمطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ (ومقامات) جمال الدين ابى الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الاشتركونى المتوفى سنة ٥٣٨ وهى خمسون مقامة انشأها بقرطبة على منوال مقامات الحريرى والتزم فيها ما لا يلزم ولذا تعرف بالمقامات اللزومية وحدث فيها المنذر بن حمام عن السائب بن تمام (والمقامات الزينبية) لشمس الدين ابى الندى ممد بن ابى الفتح المعروف بابن صيقل الجزرى المتوفى سنة ٧٠١ وهى خمسون مقامة على منوال مقامات الحريرى نسبها الى ابى نصر المصري وعزا رواتها الى القاسم بن جربال الدمشقى (ومجمع البحرين) وهو ستون مقامة على منوال مقامات الحريرى انشأها الشيخ ناصيف اليازجى المتوفى سنة ١٢٨٧ وقد طبعت بيروت سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٧٢ للميلاد (وفى كتابى قلائد الذهب فى فصيح لغة العرب) انشأت فى القاظ مادة (جلل) مقامة على منوال مقامات الحريرى التزمت فى كل سجعة منها ان آتى بكلمة من هذه المادة وتعرف بالمقامة الجلالية وسيأتى ذكرها في الفصل الثالث

(واما الخطب) فلا تزال احوال الناس فى كل عصر تدعو الى قيام نبلائهم ليخطبوا فيهم بما يقوّم معوجهم او يرشدهم الى ما فيه صلاحهم او يعظهم الموعظة الحسنة او يستفزهم الى خير او يثبطهم عن ضير او نحو ذلك وكان الخطباء فى العصر السالف يخطبون ارتجالاً فى الاحوال القائمة بينهم وقبل الاسلام كانت لهم اسواق يلقون فيها الخطب وبعده كانوا يلقونها فى المحافل والمساجد وفى عصرنا هـذا الخطب الدينيـة مدونة يحفظها الخطباء ويلقونها كما هى ايام الجمع على المصلين وقت الظهر وهـذه الخطب تسمى بالمنبرية لانهـم يلقونها وهم على المنابر وكثير من العلماء صنف لكل جمعة من كل شهر خطبة خاصة بها ومصنفات الخطب تعرف بالدواوين فاذا اتبع خطيب مسجد ديوان خطب خاصّ تكررت الخطبة الواحـدة قدر سنى الخطابة

هذا وقد جمع السيد المرتضى ابو القاسم على بن الطاهر المتوفى سنة ٤٣٦ ببغداد المختار من كلام امير المؤمنين على بن ابى طالب فى الخطب والرسائل والحكم فى كتاب سماه (نهج البلاغة) قال فى خطبته « وقد رايت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ » وعلى هذا النهج شرح لطيف للقاضى الفاضل الشيخ محمد عبده طبع فى بيروت سنة ١٨٨٥ للميلاد (ولابى يحيى) عبد الرحيم المعروف بابن نباتة خطيب حلب المتوفى سنة ٣٧٤ بميافارقين (ديوان خطب ادبية) عليه شروح كثيرة منها شرح لعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ ومنها شرح الشيخ طاهر افندى الجزائرى من افاضل هـذا العصر وقد طبع هـذا الشرح مع الخطب فى

بيروت سنة ١٣١١ وابن نباتة هذا اجتمع مع المتنبي فى خدمة سيف الدولة ابن حمدان (ويخرط فى سلك الخطب) مقالات الزمخشرى المعروفة باطواق الذهب فى المواعظ والخطب طبعت فى بيروت فى مطبعة جمعية الفنون سنة ١٢٩٣ وعليها شرح لطيف للشيخ الفاضل يوسف افندى الاسير (ومقامات الزمخشرى) الوعظية وقد طبعت بالمطبعة العباسية بمصر سنة ١٣١٢ وعليها شرح له (ومقالات عبد المؤمن) المغربى الاصفهانى المعروفة بأطباق الذهب فد سلك فيها مسلك الزمخشرى فى اطواقه وقد طبعت بدار الطباعة ببولاق سنة ١٢٨٠ للهجرة (ومن دواوين الخطب المنبرية) ديوان شيخ الاسلام ابى يحيى زكريا الانصارى المتوفى سنة ٩٢٦ ويسمى بالتحفة العلية فى الخطب المنبرية (وديوان الشيخ ابراهيم السقا) الازهرى المتوفى سنة ١٢٩٨ ويسمى غاية الامنية فى الخطب المنبرية (وديوان الفاضل السيد محمد البيلاوى) وكيل المكتبة الخديوية وقد طبع هذه السنة (سنة ١٣١٤) بمطبعة بولاق

(واما الوصف) فطريقة كتابة السلف والخلف فيه كطريقتهم فى غيره من حيث ابتكار المعانى وحسنها وتسجيع الكلام وارساله الا أن تجدد المرئيات المبتدعة مع العصور المتوالية والامكنة المختلفة جعلت صور الانشاء فيها بديعة الآن عما كانت عليه قبل فالحضارة والاقليم لهما تأثير عظيم على الوصف الكتابى كتأثيرهما على الشعر وهذا النوع من اهم انواع الانشاء وفيه تتفاوت اقدار المنشئين وقد عنى به الافرنج كثيرا تبعا لمدنيتهم

الفصل الثالث

« فى شذرات من منشآت السلف والخلف »

(١) خطب ابو طالب فى محفل زواج النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد فقال « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا امناء بيتـه وسوّاس حرمه وجعلنا حكاماً على الناس وان ابن اخى محمد بن عبدالله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن به احد الا رجح به فان كان فى المـال قل فان المـال ظل زائل . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل »

(٢) وكتب عليه الصلاة والسلام الى خالد بن الوليد جواباً عن كتابه له باسلام بنى الحارث وقد أُرسل اليهم وهو « من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى بان بنى الحارث قد اسلموا قبل ان تقاتلهم واجابوا الى مادعوتهم اليـه من الاسلام وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن قد هـداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

(٣) رسالة معزوّة الى ابى بكر وعمر بعثا بها كما قيل الى على

روى عن أبي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لابى بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرّها ويسر خيرها وازاح ضيرها وردّ كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابا بكر الصديق رضى الله عنه عن على بن ابى طالب رضى الله عنه تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتمادى الحال وتبدو العداوة وتنفرج ذات البين ريصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عائل ذى دهاء او صاحب سلامة ضعيف القلب خوّار العنان دعانى فحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضئ برأيه ويستملى على لسانه فقال لى يا أبا عبيدة ما ايمن ناصيتك وابين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ولقد قال فيك في يوم مشهود ابو عبيدة امين هذه الامة وطال ما اعز الله بك الاسلام واصلح فساده على يديك ولم تزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولاهلك ركناً ولاخوانك رداً قد اردتك لامر له مابعده خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبرك ولم تستجب حيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ماهو امرّ من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يديك فتأنّ له يا ابا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جهداً ولا قال جداً والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق امض الى على واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابى طالب ومكانه ممن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه وقل له

«البحر مغرقة والبر مفرقة والجوّ اكلف والليل اغلف والسماء جلّواء والارض صلّعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحقّ رؤف عطوف

والباطل شنوف عنوف والعجب قادح الشرار والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقعة ثقوب العداوة وهذا الشيطان متكئ على شماله متحبل بيمينه نافخ حضنيه لاهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه ثالبا يوسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى اهل الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأبا له مذ كان على عهد ابينا آدم صلى الله عليه وسلم وعادة منه منذ أهانه الله عز وجل فى سالف الدهر لا يُنْجَى منه الا بعضّ النواجذ على الحق وغضّ الطرف عن الباطل ووطء هامة عدوّ الله وعدوّ الدين بالاشدّ فالاشدّ والاحدّ فالاحدّ واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه وجَنَّبَ سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبّه ولقد ارشدك من أفاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من آثر البقاء معك ما هذا الذى تسوّل لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك ويترادّ معه نَفَسُك وتكثر معه صُعَداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد افصاح أتلبيس بعض ايضاح أدين غير دين الله عز وجل أخلُق غير خلق القرآن أهدى غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أمثلى يدب له الضّرَاء او يمشى اليه الخَمَر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف فى عينه القمر ماهذه القمقعة بالشنان وماهذه الوعوعة باللسان انك جِدّ عارفٍ باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن اوطاننا واموالنا واولادنا واحبتنا هجرة الى الله تعالى عزّ ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فى زمان انت فيه فى كنّ الصبى وخِدْر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد ولا تحصل ما يساق

ويقاد سوى ما انت جار عليه الى غايتك التى اليها عدّى بك وعندها حط رحلك غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل ونحن فى اثناء ذلك نعانى احوالاً تزيل الرواسى وتقاسى اهوالاً تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين تيّارها تجرع صابها وتُشرِح عِيابها ونسوغ عُبابها ونحكم اساسها ونبرم امراسها والعيون تُحدّج بالحسد والانوف تعطس بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والاعناق تتطاول بالفخر والشفار تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف ولا ننتظر عند المساء صباحاً ولا عند الصباح مساءً ولا ندفع فى نحر امرنا الا بعد ان نحسو الموت دونه ولا نبلغ الى شىء الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوّم مُنآداً الا بعد الياس من الحياة عنده فادين فى كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاب والام والخال والعم والنشب والسبد واللبد والهلّة والبلّة بطيب نفس وقرور عين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة اوجه وذلاقة ألسن هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلاً ولولا حداثة سنك لم تكن عنها نائماً كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والقول فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارهص الخير لك وجعل مرادك بين يديك وعن علم القول ماتسمع فارتقب زمانك وقلّص اليه أردانك ودع التجسس والتنسس لمن لا يضلع اليك اذا خطا ولا يتزحزح عنك اذا عطا فالامر غض والنفوس فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجاً وسيفها العضب فلا تُنبُ اعوجاجاً وماؤها العذب فلا تحُل اجاجاً والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لى يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه ويجاحش عليه ولمن تضاءل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن

يقول هو لك لا لمن يقول هو لى والله لقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت اين انت من على فقال انى لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنفته يدلك ورعته عينك حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عنك ورغبته فيك وما كنت عرفت منك فى ذلك حَوْجاء ولا لَوْجاء فقلت ما قلت وانا ارى مكان غيرك واجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لى ولئن كان عرّض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج فى نفسك شيء فهلمّ فالحكم مرضىّ والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حَدِب يسرّه مايسرّها ويكيده ما كادها ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم انه لم يدع احداً من اصحابه وخلطائه واقاربه وشجراته الا ابانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بخُلالة لو اصفقت الامة عليه لكان عنده ابالتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أتظن انه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشرا سدى بَدَدا عدى عباهل مباهل طِلاحاً مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساق ولا واق ولا هادى ولا حادى كلاّ والله ما اشتاق الى ربه تعالى ولا سأله المصير الى رضوانه حتى ضرب الصُّوَى واوضح الهدى وامّن المهالك والمطاوح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جَدُّه وجدع انف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل

وبعد فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك فى دار واحدة وبقعة جامعة ان استقالونى لك وأشاروا عندى بك فانا واضع يدى فى يدك وصائر الى رأيهم فيك وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد لضالهم والرادع لغاويهم فقد امر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب الى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغلّ ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمامة فارفق بهم واحنُ عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير . »

قال ابو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن لدى الباب هنية فلى معك نصيب من القول فوقفت ولا ادرى ما كان بعدى الا انه لحقنى ووجهه يندى تهللاً وقال قل لعلى

« الزقاد محلمه واللجاج ملحمه والهوى مفحمه وما منا احد الا وله مقام معلوم وحق مشاع او مقسوم ونبأ ظاهر او مكتوم وان اكيس الكيّسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تلطفاً ووزن كل امرئ بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خبره مكان شره ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ولا فى علم معتمل فى جهل ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان وبين الذنب وكل صال فبناره وكل سبيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعى وشىّ وكلامها اليوم لفتق او رتق فدجدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم انف كل ذى كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب

فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخُنْثُوانة التى فى فراش رأسك وما هذا الشجا المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شراسيفك والقذاة التى اعشت ناظرك وماهذا البخس والدسّ اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع وما هـذا الذى لبست بسببه جلدة النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر لَشَدَّ ما استسميت اليها وسريت سرى ابن انقد اليها ان العَوان لا تعلّم الحِمْرَه وان الحَصان لا تكلم خبرة وما احوج الفرعاء الى فال وما افقر الصلعاء الى حال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر مُحْبَس ليس لاحد فيه ملمس ... ولم يسـير فيك قولاً ولم يسـتنزل فيك قرآناً ولم يجزم فى شأنك حكماً ولسنا فى كسروية كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لأخدان فارس وابناء الاصفر قومٌ جعلهم الله جَزَراً لسيوفنا وخَرَزاً لرماحنا ومرمى لطعاننا وتبعاً لسـلطاننا بل نحن فى نور نبوّة وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الفتق والرتق لهـا من الله عز وجل قلب ابىّ وساعد قوىّ ويد ناصرة وعين باصرة أتظن ان أبا بكر الصـديق وثب على هـذا الامر مفتاتاً على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أتراه امتلخ احلامها وأزاغ ابصارها وحلّ عقدها واحال عقولها واستل من صدورها حميّتها وانتزع من اكبادها عصبيّتها ونكث رشاءها وأنضب ماءها واضلّها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظتها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين وان كيده لمتين كلاّ والله بأىّ خيل ورجل وبأى سنان ونصل وبأى

قوة ومنّة وباى ذخر وعُدّة وباى ايد وشدة وباى عشيرة واسرة وباى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لها فالصقت به ومال عنها فمالت اليه واشتمل دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سربله الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله به لها ولطال ما حلّقت فوقه فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لقتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوّة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا يجحد حقك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحمك بمنكب اضخم من منكبك وقرب امسّ من قربك وسنّ اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها عرق من الجاهلية وفرع فى الاسلام والشريعة ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة ولا تذكر منها فى مقدمة ولا ساقة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج منها ببازل ولا هُبَع فان عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعذرنا فيما تسمع منا فى لين وسكون مما لا تبعده منه ولا تناضله عليه ولئن حدثت بهذا نفسك ليتاخشن عليك ما ينسيك الاولى ويلهيك عن الاخرى ولو علم من عرضنا به بما فى انفسنا له وعليه لما سكت ولاتخذت انت وليجة الى بعض الارب . فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه

ولعمرى انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قدعرفه المؤمنون وكذلك صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلاتشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غداً والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن ثُمالك فان يكن فى الامد طول وفى الاجل فسحة فستأكله مريئاً او غير مرئ وستشربه هنيئاً او غير هنئ حين لا رادّ لقولك الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك يمضّ إهابك ويفرى قادمتك ويزرى على هديك هناك تقرع السنّ من ندم وتجرع الماء ممزوجاً بدم وحينئذ تأسى على مامضى من عمرك ودرج من قومك فتودّ ان لو سقيت بالكاس التى ابيتها ورددت للحال التى استبريتها ولله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المرجوّ لضرّائها وسرّائها وهو الولى الحميد الغفور الودود »

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فشيت متزملاً أتوجّى كأنما اخطو على أم رأسى فرَقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصلت الى علىّ فى خلاء فأبثته بثى كله وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت فى اوصاله حياها قال حلت معلوّطة وولت مخروّطة حَلِ لاحليتِ التعس أدنى لها من ان اقول لعا

احدى لياليك فهيسى هيسى لاتنعمى الليلة بالتعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا فى انفس القوم يحتبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة فقلت لاجواب لك عندى انما أنا قاض حقّ الدين وراتق فتق الاسلام للمسلمين وسادّ ثلمة الامة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبى وقرارة نفسى قال على رضى الله عنه والله ما كان تعودى فى كسر هذا البيت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله صلى الله عليه

وسلم بفراقه وأودعني من الحزن بفقده وذلك اني لم اشهد بعده مشهداً الا جدد لي حزناً، وذكرني شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معدّ لمن اخلص عمله وسلم لعلمه ومشيئة ربه على اني ماعلمت ان التظاهر عليّ واقع ولا عن الحق الذي سبق الى دافع واذ قد أفعم الوادي بي وحشد النادي من اجلي فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين وفي النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي بخناصري وبنصري وخضت لجته بأخمصي ومفرقي لكني ملجم الى ان ألقى الله عز وجل وعنده احتسب مانزل بي وانا غادٍ الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءني وسركم ليقضي الله امراً كان مفعولاً وكان الله على كل شيء شهيداً . قال ابو عبيدة قعدت الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فنصصت القول على غرّه ولم اختزل شيئاً من حلوه ومره وذكرت غدوّه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى على نخرق الى ابي بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلاً وجلس زميتاً واستأذن للقيام ونهض فشيعه عمر تكرمة له واستثارة لما عنده فقال له على ماقعدت عن صاحبكم كارهاً له ولا اتيته فرقاً منه وما اقول ما اقول لعلة واني لأعرف مسمى طرفي ومخطى قدمي ومنزع قوسي وموقع سهمي ولكني قد ازمت على فأسي ثقة بالله في الابالة في الدنيا والآخرة ، فقال له عمر كفكف غربك واستوقف سربك ودع المصا بلحائها والدلاء برشائها فانا من خلفها ووراثها ان قدحنا اوورينا وان متحنا اروينا وان جرحنا ادمينا وان نصحنا ارينا ولقد سمعت اماثيلك التي لغوت بها عن صدر أكل بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته زعمت انك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعزّ من ذلك فان من حق مصابه ان لايصدع شمل الجماعة بكلمة لاعضام لها ولا يزوى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممساه وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ماتبدد منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقة على خلقه وبذل ما يصلحون به

ويرشدون اليه وزعمت انك لم تعلم ان التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذى سبق اليك دافع فاى تظاهر وقع عليك واى حق لك ليط دونك وقد علمت ما قالت الانصار لك بالامس سراً وجهراً وما تقلبت عليه بطناً وظهراً فهل ذكرتك او اشارت بك او وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذى قال بلسانه تصلح لهذا الامر او اومأ بعينه اوهمهم في نفسه اتظن ان الناس قد ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحى وتتوكف مناجاة الملك لك ذلك امر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الامر معقوداً بانشوطه او مشدوداً باطراف ليطه كلا والله ان الغيابة لمحلقة وان الشجرة لمورقه ولا عجماء بعد حمد الله الا وقد فصحت ولاعمهاء الا وقد سمنت ولا بلهاء الا وقد فطنت ولا شوكاء الا وقد نفحت ومن اعجب شأنك قولك لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى وهل ترك الدين لاحد من اهله ان يشفى غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع جرثومتها وهور ليلها وغور سيلها وابدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت انك ملجم فلعمرى ان من اتقى الله عز وجل وآثر رضاه وطلب ما عنده امسك لسانه واطبق فاه وجمل سعيه لما وراءه قال على رضى الله عنه والله ما بذلت مابذلت وانا ارید نکثه ولا اقررت بما اقررت وانا ارید حولا عنه وان أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل فى كل الحوادث ارجع يا ابا حفص ناقع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ماسمعته وقلته الا مايشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة ويرفع الكلفة ويوتع الزلفة بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه

(٤) وخطب عمر بن الخطاب فقال : « ايها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل احدهم على موضعه يخرقه فنظر اليه اصحابه فمنعوه فقال هو موضعى ولى ان احكم عليه فان اخذوا على يده سلم وسلموا وان تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله واياكم »

(٥) وكتب الى ابى موسى الاشعرى « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرّم حلالا او أحلّ حراماً ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبىّ صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقاً غائباً او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حدّ او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيناً فى ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم اياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك »

(٦) ووقع فى اسفل كتاب كتبه اليه سعد بن ابى وقاص فى بنيان يبنيه بما صورته « ابن ما يكنك من الهواجر واذى المطر »

(٧) وكتب عثمان بن عفان الى علي بن ابي طالب وكان خرج الى الينبع وقد احاط الناس بعثمان « اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وطمع فيَّ كل من كان يضعف عن نفسه ولم يغلبك مثل مُغلَّبٌ فأقبل اليَّ صديقاً كنت او عدواً

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركني ولما امزق»

(٨) وخطب علي بن ابي طالب عليه السلام لما خاطبه العباس وابو سفيان بن حرب في ان يبايعا له بالخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم خطبة منها « ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة . وعرجوا عن طريق المنافرة . وضعوا عن تيجان المفاخرة . افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح . هذا ماء آجن . ولقمة يغص بها آكلها . ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه . فان اقل يقولوا حرص على الملك . وان اسكت يقولوا جزع من الموت . هيهات بعد اللتيا والتي . والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه . بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة »

(٩) وكتب للاشتر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن وهو « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من

نصره واعزاز من اعزه . وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله . ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت او كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين او نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم فى العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن انى مؤمّر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفىء اليك بما عزب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال . انصف

الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور اليك اوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس احد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل معونة له فى البلاء وأكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم . وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان فى الناس عيوباً الوالى احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين . ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله . ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن شركهم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة

فانهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على اثمه أولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة واحنى عليك عطفاً واقل لغيرك الفاً فاتخذ أولئك خاصة لخواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعاً من هواك حيث وقع . والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم عل ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة . ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيداً لاهل الاحسان فى الاحسان وتدريباً لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . واعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده . ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدث سنة تضر بشيء من ماضى تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء . ومناقشة الحكماء فى تثبيت ماصلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك . واعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتّاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمّال الانصاف والرفق

ومنها أهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسالمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً . فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواصّ الامور وعوامّها ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل . فولّ من جنودك انصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك وانقاهم جيباً وافضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء ويذو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف . ثم الصق بذوى الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شيء

قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالاً على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه . وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم فى معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح فى آمالهم وواصل فى حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيماً واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة . ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بأدنى

فهم دون اقصاه أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدى الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا . ثم انظر فى امور عمّالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل فى المطامع اشراقاً وأبلغ فى عواقب الامور نظراً ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة . وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك فى عمارة الارض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب

الخراج بغير عمارة أخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب أو بالّه او احالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حمّلته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر . ثم انظر فى حال كتّابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجود صالح الاخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقتصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان فى العامة أثراً وأعرفهم بالامانة وجهاً فان ذلك دليل على نصيحتك لله

ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل امر من امورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته . ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك واعلم مع ذلك ان فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وذلك باب مضرة العامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب فى غير اسراف . ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذى للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله فى تأدية حقه

اليه وتعهد اهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم . واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى غير موطن « لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع » ثم احتمل الخرق منهم والعىّ ونحّ عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئاً وامنع فى اجمال واعذار . ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك . ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية . وليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فأعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ووفّ ما تقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوض بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً فان فى الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهنى الى اليمن كيف اصلى بهم فقال « صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما » . اما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان

احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من ذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف فى معاملة . ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة . وان ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق . ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان

عقدت بينك وبين عدوك عقدة او ألبسته منك ذمّة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جُنّة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشدّ عليه اجتماعاً مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختان عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته أمناً افضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طِلْبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك. اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء أدعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوّين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك او سيفك او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم. واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما

يكون من احسان المحسنين . واياك والمنّ على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المنّ يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله تعالى « كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » . واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل أمر موقعه. واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الأمور ويتصف منك للمظلوم . املك حميّة انفك وسَوْرة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وانا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الاثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

(١٠) وخطب معاوية على منبر المدينة فحمد الله واثنى عليه ثم قال « يا اهل المدينة انى لست أحبّ ان تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه . كل امرئ منهم شيعة نفسه . واقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم . وان معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى . ومنكر زماننا هذا معروف زمان لم يأت . ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق وفى كل بلاغ ولا مقام على الرزية

(١١) وخطب الحجاج حين ولاّه عبد الملك العراق وأمره أن يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقه

انا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
صليب العود من سلفَىْ نزارٍ كنصل السيف وضّاح الجبين
وما ذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حدّ الاربعين
أخو خمسين مجتمع أشُدّى وتجدنى مداورة الشؤن

أما والله انى لأحمل الشر بحمله وأحذوه بفعله وأجزيه بمثله وانى لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وانى لأنظر الدماء بين العمائم واللحى تترقرق

قد شمّرَتْ عن ساقها فشمّرى هذا أوان الحرب فاشتدّى زِيَمْ
قد لفّها الليلُ بسوّاق حُطَمْ ليس براعى إبلٍ ولا غَنَمْ
ولا بجزّارٍ على ظهرِ وضَمْ
قد لفّها الليل بعَصْلِبِيّ اروعَ جرّاحٍ من الدَّوِيّ
مُهاجر ليس باعرابيّ
قد شمّرَت عن ساقها فشدُّوا ما علتى وانا شيخ جَلْدُ

والقوس فيها وتر عِرِدُّ مثل ذراع البَكر او أشدّ

انى والله ياأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق لا يغمز جانبي كتغماز التنيّن ولا يقعقع لى بالشنّان ولقد فُرِرْت عن ذكاء وقتشت عن تجربة واجريت مع الغاية وان امير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى امرَّها عوداً واشدها مكسراً فوجهنى اليكم ورماكم بى فانه طالما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن البغى وسعيتم فى الضلالة وايم الله لأحلونكم لحو العصا ولاقرعنكم قرع المَرْوة ولاعصبنكم عصب السَّلَمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل اما والله لا اعد الا وفيت ولا أخلُق الا فريت واياى وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يقولون وفيم انتم والله لتستقيمن على طريق الحق او لأدعن لكل رجل منكم شغلاً فى جسده . من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله »

(١٢) وله ايضاً « يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والمسامع والاطراف والاعضاد والشغاف ثم مضى الى الاسخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرّخ فحشاكم شقاقاً ونفاقاً وان اشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه وكيف تنفعكم تجربة اوتعظكم وقعة او يحجزكم اسلام او يردكم ايمان ألستم اصحابى بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم الكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفى وانتم تسلون لواذاً وتهزمون سراعاً يوم الزاوية وما يوم الزاوية بهاكان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليه عنكم اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها النوازع

الى اعطانها لا يسأل المرء منكم عن اخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضّكم السلاح وقصمتكم الرماح يوم دير الجماجم وما دير الجماجم به كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يااهل العراق اهل الكفرات والفجرات والغدرات بعد الختر ات والثورة بعد الثورات ان ابعثكم الى ثغوركم غلّم وختم وان امتنكم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون نقمة ولا تشكرون نعمة يا اهل العراق هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو او استفزكم عاص او استنصركم ظالم او استعضدكم خالع الا وثقتموه وآويتموه وعززتموه ونصرتموه ورضيتموه وارضيتموه يا اهل العراق هل شغب شاغب او نعب ناعب او نعق ناعق او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره يا اهل العراق ألم تهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع ياهل الشأم انما انا لكم كالظليم الذابّ عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا اهل الشأم انتم الجبّة والرداء وانتم العدّة والحذاء

(١٣) وكتب عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية رسالة لكتّاب اوصاهم فيها بمحاسن الآداب وهي « اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتّاب في اشرف الجهات أهل الأدب والمروآت والعلم والرزانة

بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لايستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فوقفكم من الملوك موقع اسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايُّها الكتاب اذا كنتم على ماياتى في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به فى مهمات اموره ان يكون حليماً فى موضع الحلم فهيماً فى موضع الحكم مقداماً فى موضع الاقدام محجاماً فى موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفيًّا عند الشدائد عالماً بما يأتى من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق فى اماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته مايرد عليه قبل وروده وعاقبة مايصدر عنه قبل صدوره فيُعِدّ لكل أمر عدته وعتاده ويهيّئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يامعشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيَرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه همكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتّاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها

مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة وارفعوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة ومافيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احد منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه مايجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير امره ماهو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماليديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسرّاء والضرّاء فنعمت الشيمة هذه من وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب الله عز وجلّ وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكماً وللاشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن اذاهم متخلفاً وليكن في مجلسه

متواضعاً حليماً وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوباً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيراً فيساس له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التى لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا ما امكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النَبْوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزنّ الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه ونباله وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا

سيما الكتاب وارباب الآداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظانٌ او قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او متالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته (وانا اقول) فى كتابى هذا ماسبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام

عليكم ورحمة الله وبركاته »

(١٤) وكتب وصاية على شخص الى بعض الرؤساء فقال « حقُّ موصل كتابي هـذا عليك كحقه عليّ اذ رآك موضعاً لامله ورآني اهلاً لحاجته وقد انجزت الحاجة فصدق امله »

(١٥) وكتب وهو منهزم مع مروان « أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضَّته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحلبناها ثم جحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فلح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفُرٌ جارح من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذى يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين »

(١٦) ووقع جعفر بن يحيى الى رجل شكاه بعض عماله « قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت »

(١٧) وكتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له يدعوه « نحن فى مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك حسناً قد باتت السماء تعلها فهي مشرقة بملئها حالية بنوارها فاحضرنا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض (فكتب اليه) هـذه صفة لو كانت فى أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطى فى ابتغائها فكيف فى موضع انت

تسكنه وتجمع الى أنيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب

(١٨) وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون « كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من قواده وسائر اجناده فى الانقياد والطاعة على احسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم واختلت لذلك احوالهم والتاثت معه أمورهم » فلما قرأه المأمون استحسنه وأمر للجند بعطائهم لسبعة أشهر »

(١٩) وكتب طاهر بن الحسين لابنه أبى العباس عبدالله المعروف بابن طاهر حين ولاه المأمون من الرقه الى مصر كتاباً جمع فيه كل ما تحتاج اليه الأمراء من الآداب والسياسة وهو « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك فى الليل والنهار والزم ما انبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسئول عنه والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذبّ عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت فتفرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس امرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه أفعالك المواظبة على ما افترض الله عزوجل

عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس وعلى سننها من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل فى قراءتك وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك وتصدق فيها لربك ونبيك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل فى كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه واتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق لله عز وجل عليك ولا تمل عن العدل فيما أحببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصى والموبقات كلها وبه مع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالاً له وادركاً للدرجات العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنس بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص أمناً ولا اجمع فضلاً منه والقصد داعٍ الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وأثره فى دنياك كلها ولا تقصر فى طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية لاستكثار البر

والسعى له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته . واعلم ان القصد فى شأن الدنيا يورث العزّ ويحصّن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومرتبتك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأنه واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تهمنّ احداً من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تستكشف امره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدوّ الله الشيطان فى امرك مغمزاً فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينقص لذاذة عيشك . واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما احببت كفايته من امورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك ان تستعمل المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا للسنة . واخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تَرْشُدْ من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزيٌ بما احسن ومأخوذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزّاً ورفع من اتبعه وعزّزه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل

ذلك ولا تهاون فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً فأوف به واذا وعدت خيراً فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة فان اول فساد أمورك فى عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لطيعها أمر وأحبب اهل الصلاح والصدق وأعز الاشراف بالحق وواس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وأنم بالعدل فى سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيش والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انا مسلَّط افعل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة

بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لمعائشهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادّخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وتزينت بها الولاة وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الاسلام واهله وفرّق منه على اولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك وعمالك اقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك واطيب نفساً بكل ما اردت فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم خشيتك فيه وانما يبقى من المال ما انفق في سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنباً ولا تمالئن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنَنَّ عدواً ولا تصدق نماماً ولا تأمنَنَّ غدّاراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلا فقيراً ولا تحسّنن باطلا ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخالفن وعداً ولا تزهون فخراً ولا تظهرن غضباً ولا تأتين ندماً ولا تمشين مرحاً

ولا تزكين سفيهاً ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفعنّ الايام عتاباً ولا تغمضنّ عن ظالم رهبة منه اومحاباة ولا تطلبنّ ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن اهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم اكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح . واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم امرك الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صافاك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصى بمنزلة الحرىّ وهو قول الله عز وجل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فَيْئك حظاً ونصيباً وأيقن ان الجود من افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومذهباً وتفقد الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم ليذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته ذا رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه احد البابين باستشعار فضيلة الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحاً وفلاحاً واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس يعدل به شيء من الامور لانه ميزان الله الذى تعدّل عليه احوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح احوال

الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها بتنجيز الحق والعدل فى القضاء . واشتدّ فى امر الله عز وجل وتورع عن التطّف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقتع بالقسم وليسكن ريحك ويقرّ حدّك وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك واسدد فى منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجة ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأنّ وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولاهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال ولا تكلفن امراً فيه شطط واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم وألزم لرضا العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وانما سمى اهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيّمهم وخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة

لك فيما تقلدت وأُسند اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة فى عملك واستجررت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخِصْب فى كُوَرك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتياض جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فى هذا ولا تقدم عليه شيئاً تحمد فيه مغبة امرك ان شاء الله تعالى . واجعل فى كل كُورة من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لاموره كلها فان اردت ان تأمرهم فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمر من اموره وقد اتاه على مايهوى فأغواه على ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم فى كل ماارادت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك فى جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغد فانّ لغدٍ اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت امور سلطانك . وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت

مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً وأفرد نفسك بالنظر فى امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه احق مسئلة ووكل بأمثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتامامى وارامليهم واجعل لهم ارزاقاً من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجراية على غيرهم . وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم وقوّاماً يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى اسراف فى بيت المال . واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل امانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعاً فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما يبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره منها ماينالله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن اموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستفزّ بما يقربه الى الله تعالى ويلتمس به رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن لهم حراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر من غير تكدر ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة

مربحة ان شاء الله تعالى . واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى قبلك من اهل السلطان والرئاسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى احوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب مافارق ذلك وخالف ما دعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سر واعلامك مافيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتاً يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقاً للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه ولا تمن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف توئتيه اليهم ولا تقبل من احد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون فى امور المسلمين ولا تصنعن المعروف الا على ذلك . وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللأمة والذمة عدلاً وصلاحاً . وانا اسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

(٢٠) ومن نثر ابى الفضل محمد المشهور بابن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه « خير القول ما اغناك جدّه وألهاك هزله المرء اشبه شيء بزمانه وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل المرح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر وخلان اذا القحا لم ينتجا غير الشر »

(٢١) وكتب ابو على عبد الرحيم المصرى المعروف بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين الايوبى فى صفة قلمة شاهقة « وهذه القلمة عقاب فى عقاب ونجم فى سحاب وهامة لها الغمامة عمامة والنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة »

(٢٢) وكتب الى عبد الله الطبرى « وصل كتابك فصادفنى قريب العهد بالانطلاق من عنّت الفراق ووافقنى مستريح الاعضاء والجوانح من جَوَى الاشتياق فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الأحوال ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الاشكال واعتقنى من مخالبك اعتاقاً لا تستحق به ولاء وأبرأنى من عهدتك براءة لا تستوجب معها دَرَكاً ولا استثناء ونزع من عنق ربقة الذل فى اخائك بيدَىْ جفائك ورشّ على ما كان يضرم فى ضميرى من نيران الشوق بالسلو وشنّ على ما كان يلتهب فى صدرى من الوجد ماء اليأس ومسح اعشار قلبى فلأم فطورى بجميل الصبر وشعب افلاذ كبدى فلاحم صدوعها بحسن العزاء وتعلل فى مسالك انفاسى فعوّض عن النزاع اليك نزوعاً عنك ومن الذهاب فيك رجوعاً دونك وكشف عن عينىّ ضبابات ما ألقاه الهوى على بصرى ورفع عنها غيابات ما سدّله الشك دون نظرى حتى حدّرَ

النقاب عن صفحات شيمك وسفر عن وجوه خليقتك فاذهبْ فقد ألقيت حبلَك على غاربك وردَدْتُ اليك ذِمَم عهدك »

(٢٣) وكتب ولد ابن العميد ابو الفتح علىّ كتاباً الى بعض اصدقائه يستهديه شراباً وهو « قد اغتنمت الليلة اطال الله بقاءك ياسيدى ومولاى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع اصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام »

(٢٤) وكتب الصاحب بن عباد الى صديق له « نحن يا سيدى فى مجلس غنى الا عنك شاكر الا منك قد تفتحت فيه عيون النَرْجِس وتوردت خدود البَنَفْسَج وفاحت مجامر الأُتْرُج وفُتِقَتْ فأَراتُ النارَنج وانطلقت ألسن العيدان وقامت خطباء الاطيار وهبت رياح الاقداح ونفقت سوق الانس وقام منادى الطرب وامتد سحاب النَدّ فبحياتى الا ماحضرت فقد أبَتْ راحُ مجلسنا أن تصفو الا أن تتناولها يمناك وأقسم غناؤه ان لا يطيب حتى تعيه اذناك فخدودُ نارَنجه قد احمرت خجلاً لابطائك وعيون نرجسه قد حدقت تأميلاً للقائك »

(٢٥) وكتب البديع الهمذانى الى ابى نصر بن المرزبان « كنت اطال الله بقاء سيدى ومولاى فى قديم الزمان اتمنى للكتّاب الخير واسأل الله ان يدر عليهم أخلاف الرزق ويمد لهم اكناف العيش ويوطئهم اعراف المجد ويؤتيهم اصناف الفضل ويركبهم اكتاف العز وقصارای ان ارغب الى الله تعالى فى ان لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يمد لهم فى حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسَرْعَ ما ينظرون

من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم ايام المدونة اوقات الخشونة وازمان العذوبة ساعات الصعوبة والمكتاب مزية في هذا الباب فبينما هم في العطلة اخوان كما انتظم السمط وفي العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة أوصك جمالة فيعود عامر ودّهم خراباً وينقلب شراب عهدهم سراباً فما غلت امورهم حتى اسبلت ستورهم ولاعلت قدورهم الا خلت بدورهم ولاتسمت دورهم الاّ ضاقت صدورهم ولا اوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تجلت عتاقهم الا فظعت اخلاقهم ولا صلحت احوالهم الا فسدت افعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت جدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت ايديهم الا قصرت اياديهم وقصارى احدهم من المجد ان ينصب تحته تحته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه امامه ونائبه من الكرم دار يصهرج ارضها ويزبرج بعضها ويُرَوّق سقوفها ويعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان تحمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية امامه وناهيه من الشرف الفاظ فقاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوماً ويحشوها لوماً ولُوماً وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحتمل الود ايام خُشْكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله وأليفه رغيفه وانيسه كيسه وامينه يمينه ودناتيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة

خاتمه الا يوم مأتمه فهو يجمع لحادث حياته او وارث مماته يسلك في الغدر كل طريق ويبيع بالدرهم الف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبي سعيد ايده الله انه اذا اخصب آوانا كنفاً من ظله وحبانا من فضله فمن لنا الآن بمدله انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان في صدر الايوان اقتضّ عذرة السياسة ببعض المختلفة الى وجعل يعرضه للهلاك ويسبّب عليه بمال الاتراك ويشحن داره باللجّاله ويكدّده بالفرسان والرّجّاله وجعلت اكاتبه مرة واقصده اخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالي ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة في الصدر فما زاده قولي الا غلوّاً في تهكمه وعلوّاً في تحكمه وجعل يمسني الجمر في ظلمه ويبرأ الى من علمه وأقول اذا رأيت ذلة السؤال وعزّه الرّد منه :

قل لي متى فرزنت سر عـة ما أرى يا بيـدق

وما اضيع وقتاً بذكره قطعته هلمّ الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف اكاد اصف شوقاً لا ينوع الدهر فروة حاله ولا ينقض عروة انحلاله فما اولاني ان اذكره مجملاً واتركه مفصلاً »

(٢٦) وكتب ايضاً الى القاسم الكرجي « يعز عليّ اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب في خدمته قلمي عن قدمي ويسعد برؤيته رسولي دون وصولي ويرد مشرعة الانس بكتابي قبل ركابي ولكن ما الحيلة والعوائق جمة

وعليّ ان اسعى وليـ س عليّ ادراك النجاح

وقد حضرت داره وقبلت جداره وما بي حب الحيطان ولكن

شغفاً بالقطان ولاعشق الجدران ولكن شوقاً الى السكان وحين عدت العوادى عنه اماليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول :

ان يكن تركى لقصدك ذنباً فكفى ان لا اراك عقابا

(٢٧) وكتب الى ابى عامر الضبى يعزيه

اذا ماالدهر جر على اناس حوادثه الناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

احسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه أثراً فى نفسه ام لتدبيره عوناً على تصويره أم لعمله تقديماً لامله ام لحيله تأخيراً لأجله كلاً بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم اصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليُذْهب ما ضرّ بما نفع وان احب ان لايحزن فلينظر يمنة هل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فأعد لنعمتها صدراً لايملأه فرحاً ولبؤسها قلباً لا يطيره جزعاً وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمتعة حدّا وللعارية ردّا ولقد نُعى الىّ ابو قبيصة قدس الله روحه وبرّد ضريحه فعرضت على آمالى قعوداً

وامانيّ سوداً وبكيت والسخي بمايملك وضحكت وشر الشدائد مايضحك وعضضت الاصبع حتى افنيته وذممت الموت حتى تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وامر قد خشن حتى لان ونكر قد عم حتى صار عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وابهمت حتى صار اظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فليرفيهما رأيه ان شاء الله »

(٢٨) وكتب ابو بكر الخوارزمى الى ابن سهل سعيد « وصل كتاب سيدى المنتظر المؤلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تأخره وملته وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالاً ورأيته فى النوم خيالاً وبعد ان عددت له الليالى والايام عدّا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضرباً وعقدا وبعد ان ظننت الظنون بسيدى وبوده وتوهمت الايام فى وفائه وعهده وحسبت وانا استغفر الله انه قد أثبت اسمه فى جريدة الغدر وجانس ابناء الدهر وبعد أن انشدت فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى علمتك الايام كيف تخون

فويلى ان لم يعف سيدى عنى ولم يغفرلى مابدر منى ولم يجعلنى فى حل من سوء ظنى وفهمته ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته ثم تزودت فى ذلك حتى حفظت غاية باآته وصارت روايته تقطع علىّ صلاتى وتستهلك اكثر اوقاتى ثم عرضته على اصدقائى واصدقاء ولائى فما منهم الا من

سألنيه ونافسني فيه واستعارنيه ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدي الامانة ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه ذكر سيدي من شوق اليه مالم يتكلم فيه الا عن لساني ولم يترجم الا عن شاني ولقد طويت بعده بساط المدام ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا وفارقت الغناء بثاثا حتى جفت الاقداح واستخصتني الراح ونسي بناني الاترج والتفاح ولقد ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه وآثار الفرح والأنس طامسه وديار المنادمة والمجالسة مقفره واطلال المحادثة والمساعدة متنكره قدهبت عليها بغتة ريح الادبار وطلع عليها نجم البلاء والاقفار ونفذ فيها حكم الفناء ولمستها يد العفاء سألني سيدي عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه وان كان لا يلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضاً منه وكيف يغبّ ذكره من لا يفتح عينيه على اكرم منه عليه واحب منه اليه وقد عرفته انّا هجرنا الشراب واغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا في كل فترة نبوة او بيعة خلافة فلا نقل الا تذكاره ولا تحية الا اذكاره ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن ولا اقتراح على المغنى الاشعر في اوّله ذكر غيبته وفي آخره تمنى اوبته رد الله تعالى سيدي الى اخوانه الذين انا اولهم في المحبة وان كنت آخرهم في الرتبة على حالة يقع الشكر وراء حقها وتكل مطايا التعديد والبشر في مسافات طرقها والناس يقولون ردّك الله سالماً الى سالمين وانا اقول ردّك تعالى غانماً الى غانمين فان من سعد بلقياك فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعتك فهو غارم وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عند الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران

كما اجتمع على بغيبته صومان على ان صوم العين أشد من صوم البطن فان مسافة صوم العين مجهولة الأمد والعدد مخوفة الزيادة والمدد ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة قريب العشية من الغدوة فحصتى من صوم هذه السنة المباركة حصتان ويومى منه يومان وتأبى صروف الدهر ان تأتينى الا مزدوجة فى قران وذلك انى صمت عن النظر الى طلعة سيدى شهرى رجب وشعبان وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان وقد قال الخليع الشامي :

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران

وانا أقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة فمتى يعيش فتى له صومان

(٢٩) وكتب الى تلميذ له « وصل كتابك يا سيدى فسرّنى نظرى اليه ثم غمنى اطلاعى عليه لما تضمنه من ذكر علتك جعل الله اولها كفارة وآخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرا وعلى الاخرى شكرا وبودى لو قرب على متناول عيادتك فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصنى من هذه العلة قسم كقسمك ومرض قلبى لمرض جسمك واظن انى لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا أعلّ منك فانى بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائى غير جلد على اوجاع اصدقائى ينبوعنى سهم الدهر اذا رمانى وينفذ فىّ اذا رمى اخوانى فأقرب سهامه منى أبعد سهامه عنى كما ان ابعدها عنى اقربها منى شفاك الله وعافاك وكفانى فيك المحذور وكفاك ورفع جنبك وغفر ذنبك وآمن سربك وشرح قلبك واعلى كعبك

(٣٠) وكتب الى صديق « الايام ايدك الله بيني وبينك تراجمة لي عن صحة وفائك وشهود عندي على صدق اخائك واقل حقوقك عليّ يُلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك ولا قلبي الا بذكرك ولو تجاوز طبقات اهل مودتك في ميدان المقة وتنازعوا خَصْلَ الانس والثقة رجوت ان اكون سابقاً ليس له سابق ولا يذكر معه لاحق وان تجلى الغاية مني عن محبة مربّاة بالوفاء وعن شكر مُرْضَع بالدعاء وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره وان كان فوق اعمال عصره فشكرتك عنه وان كان بشكرك اوفى واملى وبايفائك حقك احق واولى واردت ان اكل شكرك اليه ولا اتطفل فيه عليه فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها اسم وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم فذكرته لك وانت له اذكر وشكرتك عنه وهو لك مني اشكر على اني ارغب بذلك الحُرّ عن التلطخ باوضار الاعمال فانها مزالق اقدام الرجال ضنًّا به عن تخاليط الايام وصيانة لمحله عن مدانسة الاوهام ونعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه بل اكثرها لي دونه فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين وتستعبد لك حرين وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك ورفرفت حوله اجنحة رعايتك ان ينبو عنه سيف الزمان مثلوما ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل أسأل أن لا يحرمك نعمة يُمَدُّ بها اليك عنقُ ودود ومنة تفقأ عنك عين حسود اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتي وانه ليسرني ان اخطر ببالك ويسوءني ان اصير زيادة في اشغالك ولا تجشم نفسك فان خيالك في كل ليلة نائب عندي عنك وان لم يكن

فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك »

(٣١) ومن مقامات الحريرى « المقامة السادسة المراغية . روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان البراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غرّاء او يفترع رسالة عذراء وان المتلق من كتّاب هذا الاوان المتمكن من ازمّة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس فى الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم فى شَوْطهم ونثروا العجوة والنجوة من نَوْطهم ينبىء تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمّز سميدباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغى النضال فلما تثالث الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وسكت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئاً إدّا وجرتم عن القصد جدّا وعظمتم العظام الرّفات وافتتم فى الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودّات أنسيتم ياجهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرائح وبَرَّز فيه الجَذَع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا أنعم النظرَ من حضرَ غير المعانى المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد وانى لأعرف الآن من اذا أنشا وشّى واذا عبّر حبّر وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز وان

بدء شدّه ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الاعيان من قارع هذى الصفاة وقريع هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذاشئت ذاك فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين القضة والقضّة متيسر وفلّ من استهدف للنضال نخاص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمناضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه وسيتفرّى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال احدهم ذروه فى حصّتى لأرميه بحجر قصتى فانها عضلة العُقَد ومحكّ المنتقد فقلدوه فى هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نَعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أنى أوالى هذا الوالى وأرقّح حالى بالبيان الحالى وكنت استعين على تقويم اودى فى بلدى بسعة ذات يدى مع قلة عددى فلما ثقل حاذى ونفذ رذاذى امتنه من ارجائى برجائى ودعوته لاعادة روائى وإروائى فهش للوفادة وراح وغدا بالافادة وراح فلما استأذنته فى المِراح الى المُراح على كاهل المِراح قال قد ازمعت ان لا ازوّدك بتاتاً ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ لى امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلتيهما يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بانى حولا فما احار قولا ونهبت فكرى سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتّاب فكل منهم قطّب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعيوبا واستسقيت

أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكَّر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته وقال ألْقِ دواتك واقرب وخذ أداتك واكتب

الكرم ثبّت الله جيش سعودك يزين واللؤم غضّ الدهرُ جفن حسودك يشين والاروع يثيب والمُعْوِر يخيب والخُلاحل يُضيف والماحل يخيف والسَمْح يغذِي والمحك يقذى والعطاء ينجى والمطال يُشجِي والدعاء يقى والمدح ينقى والحر يجْزى والالْطاط يخزى واَطراح ذي الحرمة غيّ ومحرمة بنى الآمال بغْى وما ضن إلاّ غبين ولا غبن الا ضنين ولا خزن الاَّ شقى ولا قبض راحه تقى وما فتئ وعدك يفى وآراؤك تشفى وهلالك يضى وحلمك يغضى وآلاؤك تغنى وأعداؤك تثنى وحُسامك يفنى وسُودَدُك يقنى ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى وسماحك يُغيث وسماؤك تَغيث ودَرُّك يفيض ورَدُّك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فئ ولم يبق له شيء أمَّكَ بظنٍّ حرصه يثب ومدحك بنخَب مهورها تَجِب ومرامه يخف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب وملامه يجتنب ووراءه ضَفَف مسَّهم شظف وحَصَّهم جَنَف وعمهم قشف وهو فى دمع يجيب ووله يذيب وهمّ تَضَيَّف وكمد نيَّف لمأمول خيَّب واهمال شيَّب وعدوّ نيَّب وهدوّ تغيَّب ولم يزغ ودّه فيغضب ولا خبُثَ عوده فيُقْضَب ولا نفث صدره فينفض ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضى كرمك نبذ حُرَمه فبيِّضْ امله بتخفيف ألمه ينُثُّ حمدك بين عالمه بقيت لاماطة شَجَبْ واعطاء نشَبْ ومداواة شَجَنْ ومراعاة يَفَنْ موصولا بخفض وسرور غض ما غُشِيَ معهد غنيّ او خُشِيَ وَهَمُ غبي والسلام فلما فرغ من املاء رسالته وجلى فى هيجاء البلاغة عن بسالته

ارضته الجماعة فعلاً وقولا واوسعته حفاوة وطَوْلا ثم سئل من اى الشعوب نجاره وفى اى الشعاب وجاره فقال :

غسّان اسرتى الصميمه وسروج تربّى القديمه
فاليت مثل الشمس اث راقاً ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مط يبةً ومنزهة وقيمه
واهاً لعيش كان لى فيها ولذاتٍ عميمه
ايامَ اسحب مُطرفى فى روضها ماضى العزيمه
اختال فى برد الشبا ب وأجتلى النعم الوسيمه
لا التى ثوبَ الزما ن ولا حوادثه المليمه
فلو أنّ كَرْباً متلاف لتلفت من كُربى المقيمه
او يُفتدَى عيش مضى لفديته مهجتى الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه
تقتاده بُرَةُ الصغا ر الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها ايدى الضباع المستضيمه
والذئب للايام لو لا شؤمها لم تَنْبُ شيمه
ولو استقامت كانت الـ احوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نما الى الوالى فملأ فاه باللآلى وسامه ان ينضوى الى احشائه ويلى ديوان انشائه فأحسبه الحياء وطلفه عن الولاية الاباء (قال الراوى) وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبّه على علوّ قدره قبل استثارة بدره فأوحى الىّ بايماض جفنه أن لا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الحرج وفصل فائزاً بالفُلْج

شيعته قاضياً حق الرعاية ولاحياً له على رفض الولاية فأعرض متبسما وانشد مترنما :

لجَوْب البلاد مع المتربه احبّ الى من المرتبه
لان الولاة لهم نَبْوة ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيّد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ولا تأت أمراً اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبه

(٣٢) ومن اطواق الذهب (المقامة الثامنة) « ما اسعدك لو كنت فى سلامة الضمير كسلاسة الماء النمير وفى النقاء عن الريبة كمرآة الغريبة وفى نفاذ الطيّة كصدر الخَطِيّة وفى اخذ الاهبة كالواقع فى النُهْبة لكنك ذو تكدير كرجرجة الغدير ومتلطخ بالخبائث كخرقة الطامث وذو عَجْز وتوانى كمكسال الغوانى وتارك للاستعداد كالشاكّ فى المَعاد

(٣٣) ومن اطباق الذهب (المقالة السابعة والعشرون) « اشرف الانفاس أحرّها وأفضل الاذكار اسرّها وراء الجهر بالدعاء لام والذى يحسن افشاؤه سلام ترك الذكر يشبه الكبرياء واعلانه يوجب الرياء واخفاؤه سنة زكرياء فاذا دعوت الله فمِمّ ولا تجهر فانك لا تنادى الصمّ انه لا يسمع بالغضروف ولا يحتاج منك الى الاصوات والحروف هو راحم النمال العمش ورازق الغراب فى العش يعلم خطرات الاوهام كما يحصر قطرات الرهام فيا ايها الملح فى الدعاء ويا جهورى النداء أتسترزق بالالحاح والارهاق وتقتضى القضيم

بالنهاق للمجول اذا حرص جؤار وللمجول اذا نهم خوار وللاتان على الأرى نهيق وللضفدع فى الأدنى نقيق والحريص سريع السغب كثير الشغب والقانع لا يستنبط الماء بنقرات المعول والمخلص يدعو بسره لا بحركات المقول والصبر من الهلع اجمل والنية ابلغ واعمل والصمت من الصراخ انفع والقيل من العصفور اشبع والحوت الصموت اقنع وزعاق الضفادع اشنع ولسان الحال افصح وبساط الرحمة افسح فسبح تسبيح الحيتان فى النهر واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر وأقل من سؤالك فهو فعّال لما يريد واخفض من ندائك فهو اقرب اليك من حبل الوريد

(٣٤) وكتب محمد بن حبيب الحلبى صاحب كتاب نسيم الصبا المتوفى سنة ٧٧٩ فى وصف السماء وزينتها « ايقظتنى ليلة دواعى الهموم فنظرت نظرة فى النجوم فاذا السماء كأنها روضة مزهرة او صرح كنس جواريه مسفرة أو غدير تطفو عليه الفواقع أو بنفسج نور اقاحه لامع أو مسح القى عليه درر غوّاص او ستر به لعين كل نجم وصواص او جمر فى خلال رماد او كما قال من أجاد :

بساط زمرد نثرت عليه دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها ويسرى ليسق ذابل نرجسها يا له من نهر صفا ماؤه وعقد على الافق لواؤه يتقلب القلب اليه ويقف طرف الطرف عليه ويقبل نحوه الدَّبَران وينصب على شطه الميزان ويحوم حوله النسران ويعوم فيه الحوت والسرطان

والثريا كاكرة او كجام او بنان او طائر او وشاح

او بلقة من نرجس اوكأس بدار فى المجلس او شمع يتوقد او شمس من عسجد او شذر منضود اوكرم او عنقود او عقد لؤلؤ حسن الاتساق او اقراط خود ترتعد فرقاً من الفراق

وسهيل كوجنة الحب فى اللو ن وقلب المحب فى الخفقان

او كمصباح تلعب به ايدى الرياح او ظامىء يريد ان يرد او فارس فى حمى الحمى مجتهد او مشوق يتبع الآثار او غريب لا يزور ولا يزار او غريق يدعى قوة السباحة او ماجد انف من الذل فالف السياحة او مغاضب يدعى فلا يجيب او محب يغض الطرف ويفتحه خوف الرقيب والجوزاء النيرة كالشجرة المنوّرة

كانها منطقة من ذهب قد عقدت على قباء ازرق

والفرقدان الهاديان المرشدان

كانهما الفان قال كلاهما لشخص اخيه قل فانى سامع

والذراع يذرع شقة الافق والجبهة تسجد على مفارق الطرق والعيوق يعوق عن السير اذا سار والعواء اعينها نشاوى قد تغشاها خمار والسماك معتقل رمحه والنثرة منتظمة كالسبحة والنعائم تحدوها النعامى وزهرة الزهرة تضيء بين الحزامى وبهرام يخجل البهرمان والاكليل ليس يكل من مسايرة الاظعان والمقدم لا يتأخر عن الاعناق والايجاف والصرفة قد همت مع العسكر بالانصراف

تمر بواديا ليلاً وتطوى نهاراً مثل ما طوى الازار

فكم بصقالها صدى البرايا وما يصدى لها ابداً غرار

فبينما انا اسرح فى درر الدراى نظرى واروّض فى رياضها جواد فكرى واقدس من هى مسخرات بامره وانزه من هدى خلقه فى بره وبحره اذ هب نسيم السحر يروى عن اهل نجد اطيب الخبر فعطر الكون بعرفه وملك الرق برقته ولطفه واهدى الروح الى الارواح واطرب السمع باحاديثه الصحاح

فهو حياة لكل حىّ كأن انفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده وسرمناجاته سرّى وقلت له والدموع تجرى

اعد ذكر من حل الغضى يا محدثى وان اضرموه بالاضالع والصدر

ولا تنس سكان العقيق وان هم على وجنتى اجروه فى مدة الهجر

فلما اتممت الانشاء والانشاد وشرعت فى طلب الاسعاف والاسعاد تبسم الفجر ضاحكاً من شرقه ونصب اعلامه على منازل أفقه فانطوى نشر الليل وكف من غمره الذيل وارتفت الحجب وتأججت نار الشهب واقتنص بازى الضوء غراب الظلام وفض كافور النور عن الغسق مسك الختام

وشرد الصبح عنا الليل فاتضحت سطوره البيض فى الواحه السود وفلت جيوش الدجا وحرك النهار منه ما سجا وجنح جنحه الى الرحيل وتلالسان حال التحويل يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار

(٣٥) وله أيضاً فى وصف الشمس والقمر « بكرت يوماً بعد اداء الفرض اتفكر فى خلق السموات والارض فلمحت المشرق بالنظر واذا

قرن الغزالة قد ظهر كأنه جذوة نار أو قطعة من دينار او كأس ستر بعضه بالحباب أوحسناء غطت وجهها بنقاب ثم كشفت استارها وألقت على الافق أنوارها وبرزت كانها كرة فى ميدان او محجن دولاب ضمخ بالزعفران أومرآة لم تصقل ولم تطرق او وجه المليحة فى خمار ازرق أو سبيكة زجاج منتفخة الجوانب او بودقة يحرك فيها ذهب ذائب

وكأنها عند انبساط شعاعها تبر يذوب على فروع المشرق

فقلت اهلا بالجارية التى فى طلعتها ما يغنى عن الجارية والعين التى تغار منها العين والجونة التى وضح منها الجبين والسراج الوهاج التى تبرجت بها الابراج انت المخصوصة بالشرف والرفعة أنت واسطة عقد الكواكب السبعة انت للحكمة برهان وللفلك معيار وميزان انت الناطقة فى صمتها التى قصر البليغ عن وصفها ونعتها انت ملك مقدم انت النير الاعظم انت يوح التى تغدو فى مصالح العالم وتروح انت ذكا التى ذكت نارها انت الضحى التى علا منارها انت الشمس التى بها تعرف الاوقات الخمس بك ينشر الظل ويطوى ويشتد النبات بعد ضعفه ويقوى ويستدل على طريق الصواب ويعلم عدد السنين والحساب لما سفرت رافلة فى الحلل المعصفرة محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة وناهيك بها منزلة وحسبك ان صفاتك فى الكتاب منزلة ثم تمشت على بساطها وخطرت في وشيها ورياطها وسبحت فى فلكها مرشدة الى الحقائق مظهرة اسرار الساعات والدرج والدقائق

تسمو الى كبد السماء كأنها تبغى هناك دفاع امر معضل

واستمرت سائرة يحدوها مرّ النسيم والشمس تجرى لمستقر لها

ذلك تقدير العزيز العليم فلم يزل فكري يصاحبها وطرفي يرعاها ويراقبها

حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وقفت كوقفة سائل عن منزل

ثم انثنت تبغي الخدور كانها طير هفا لمخافة من أجدل

فلما حجبت عن العيون شخصها وخطف المغرب من يد المشرق

قرصها واكتنحت جفون الافق بالنار وطرد زنجيّ الليل رومىّ النهار

بزغ الهلال بأمر ذى الجلال كانه قوس موتور او زورق منحدر

فى بحر الديجور او شطر سوار او منجل معد لحصاد الاعمار او خنجر

مرهف النصلين او نون مرسومة من لجين او شفة كاس مائلة او

مخلب عقاب صائلة او قطعة من قيد او فخ نصب للصيد او حرف

جيم أو عرجون قديم او حاجب شيخ ادركه الشمط او نعل من

حافر ادهم الدجا سقط او ذباب سيف خرج من جفنه او راكع يعبد

من لا يحدث امر الا باذنه وفى معناه من قصيدة

وترى الهلال يلوح فى افق السما يبدو كقوس بالمنى يرميني

او شبه فخ او كدملج غادة وكجانب المرآة والعرجون

وجبين حب بالعمامة قد زها وكوجه خود بالنقاب مصون

وكناب فيل او قلامة اظفل وكزورق وكحاجب مقرون

اوكالسوار ازيل منه البعض أو قربوس سرج مذهب اونون

وكشفة الكاس المخبأ بعضه ضمن الشفاه ومنجل مسنون

هو منجل الاعمار للحصد الذى يفنى اولى التزيين والتحسين

واذا مضى سبع تراه كأنه نصف لتعويذ بدا لعيون

واذا تكامل صار جاماً صافياً وكأنه من لؤلؤ مكنون

اوغادة فداسفرت عن وجهها غنيت عن التحسين والتزيين

هذا هو المشهور فى تشبيهه قدما وذلك جمعه يكفيني

فقلت مرحبا بمن ثياب مناوئه رثاث قرّ عينا ستعود قمراً بعد ثلاث ثم تصير بدرا ان فى ذلك لذكرى

واذا رأيت من الهلال نموّه أيقنت ان سيكون بدرا كاملا

أنت الزمرير الذى ليس له فى نضارته نظير انت الزبرقان الذي له فى كل شهر مهرجان ايها القمر كم محب طاب له فيك السمر ايها الواضح الباهر ما أنت الا مثل سائر أيها البدر الكامل الذى فضله للبرية شامل لاتأس على ما فاتك من الدرج ولا يكن فى صدرك من الغزالة حرج

فقد تخمد الشمس الصباح بضوئها تفاوتت الانوار والكل رائق منازلك معروفة ومحاسنك موصوفة وشرفك باذخ وقدمك راسخ وآياتك ظاهرة وسفارتك سافرة كم اوضحت من طريق وهديت الرفيق الى الفريق وذكرت محبوباً لمحبوبه وبلّغت طالباً غاية مطلوبه أحسن بضوء ذبالتك وحسبي مثلاً بهالتك جعلك البارى فى السموات نورا وكان امر الله قدراً مقدورا فسبحان من جلا بمحياك حندس الغسق واقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق قدرك أثيث أثيل ومحلك نبيه نبيل ووجهك يابثينة الحسن جميل

على رسل فمالك من مجار الى رتب العلاء ولا رسيل

فتبارك اسم من ألبسكما احسن الحبر وتعالى جد من جعلكما مصباحين لاهل النظر ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم لم

يبرح يسرى وانا لا ابرح ويخيلى وانا اشاهد وجهه الاصبح الى ان غاب واختفى وحسبنا الله وكفى

(٣٦) وله أيضاً فى وصف البحر والنهر «هزتنى رياح الامل البسيط الى امتطاء ثبج البحر المحيط فأنشأت سفينة يطيب للسفر مثواها وركبت فيها باسم الله مجراها ومرساها موقنا بان المقدور صائر معرضاً عن قول الشاعر

لا اركب البحر اخشى علىّ منه المعاطب
طين انا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة على الاموال امينة ذات دسر والواح تجرى مع الرياح وتطير بغير جناح وتتناوض عن الحادى بالملاّح تخوض وتلعب وترد ولا تشرب لها قلاع كالقلاع وشراع يحجب الشعاع وسكينة وسكان ومكانة وامكان وجؤجؤ وفقار واضلاع محكمة بالقار وجسم عار من الفؤاد وهو فى عين الماء بمنزلة السواد بعيدة ما بين السحر والنحر من احسن الجوارى المنشآت فى البحر معقوداً بنواصيها الخير كالخيل لا تمل من سير النهار ولا من سُرَى الليل

ما رأى الناس من قصور على الما ء سواها تسير سير القداح

كأنها وعل ينحط من شاهق او عرباض سابق يحثه سائق او عقرب شائلة اوعقاب صائلة او غراب اعصم او تمساح او ارقم او ظليم نفر فى الظلام او جواد فر مستنكفاً من صحبة الانام حاكمها عادل فى حكمه عارف بنقص امرها وبرمه يهتدى بالنجوم ويبتدى باسم الحى القيوم يبرز من نواتيها فى جنود يشمل احسانهم اهلها ايقاظاً وهم رقود يتأنقون فيما يعمرون ويفعلون ما يؤمرون

يكثرون الصياح حتى كان الـ فمن تجرى من خوف ذاك الصياح

فبينما نحن من البحر فى قاموسه كتب الجوحروف الغيم فى طروسه
وثارت ريح عاصف يتبعها رعد قاصف فمالت بنا الفلك واضطربت
ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت واستمرت ترفع وتخفض وتقرب
وترفض وتعلو على الاوتاد وتهيم فى كل واد وتحوم وتحول وتجود
وتجول وتضرم فى الكبود نار ناجر الى ان بلغت القلوب الحناجر

الا فارجه واخشه انّه هو البحر فيه الغنى والغرق

ثم نظر الينا من لا تخفى عليه السرائر وامر الجارية بحمل العبيد
الى بعض الجزائر فلم ندر الا ونحن تجاه جزيرة تسر النفوس بمحاسنها
الغزيرة فانحدرت ماضياً الى بنيها ناشئاً عن السفينة وساكنيها فوجدتها
مخضرة الافنان مخضلة الكثبان بها من الياقوت ما يرجع خاسئاً مناويه
ومن الاشجار ما يحمل الفواكه والافاويه وبين رياضها نهر شديد الخضر
ارضه ذهب وحصباؤه درر وامواجه عسكن ودراته سرر

عذب اذا ما عبّ منه ناهل فكأنه من ريق خود ينهل

لين الاديم مزاجه من تسنيم يصقله الصبا ويفركه النسيم فكأنه دروع
موضونة او مبارد مسنونة او دمع يتسلسل او افاع تتململ او
ذوب فضة يسيل او صفحة سيف صقيل او لوح بلور مرقوم او رحيق
بالمسك مختوم

وكان الطيور اذ وردته من صفاء به تزق فراخا

ان مالت اليه الغصون فالشخوص ترقص فى الخيال وان كرعت
منه الظباء فالغيد يرشفن من ثغور ترابهن الزلال وان أشرقت عليه النجوم

خلت الفلك يدور فى ارجائه وان تجلى له البدر حسبته قلباً خافقاً بين احشائه

قال مؤيد الدين الطغرائى :

والشمس ان واقته راد الضحى حسناء فى مرآته ناظره

انموذج الماء الذى جاءنا به وعد بان نسقاه فى الآخره

فلبثت فيها مدة مفكراً فيما رأيت من الفرج بعد الشدة مؤمنا بالقدر خيره وشره وحلوه ومره واقفاً على شكر من تجرى الفلك فى البحر بأمره

ربما تجزع النفوس لامر ولها فرجة كحل العقال

ولم أزل بها فى أحسن حال وأرغد عيش وأنعم بال الى أن حرك الله منى ما كان ساكنا وأدخلنى مصر بمشيئته آمنا

(٣٧) وكتب المغفور له عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ عن الحضرة الخديوية الى ملك دارفور « حمدا لمن الف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخواناً فى الدين وصلاة وسلاما على رسول جنابه وسيد احبابه وعلى آله واصحابه من كافل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوة السادة الأماجد الجامع ما تفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقرة عين المجد الأعلى بحر الفضل الزاخر وبدر سماء المحاسن والمفاخر وفخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدى سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما فى صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر

عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحف بطوالع السعد أيامه ولياليه بينما نحن فى انتظار مايرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل ورد لنا خطابكم الكريم فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحتكم ومأبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحة ويلحظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جناته كان قد جعل فلاناً وكيلا فى رؤية اموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضاً قررناه فى هذه الوظيفة وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفة وسيجد منا فى ذلك حسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاضدة ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ما هو موضح بالبطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو ان تتصل بيننا روابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال .

(٣٨) ولما سافر رحمه الله الى مؤتمر المستشرقين بمدينة استكهلم عاصمة مملكة السويد أرسل كتاباً الى صاحب الدولة رياض باشا صورته :

« دولتلو افندم حضرتلرى »

« اقدم من تحايا التبجيل والتكريم مايليق بذلك المقام الكريم داعياً بدوام ظلال الاقبال وجمال الاحوال وكمال الآمال اعطر الارجاء

بأريح الثناء وأستقبل قبلة الاجابة بخير الدعاء وقبل هذا حررت لسيدى الباشا على الهمم مبارك الطلعة المحترم وذكرت بعض الجهات التى وردناها فى طريق الوجهة التى قصدناها وكتبت ايضاً لبعض الاجلاء من السادة الاخلاء ولبثت انتظر أن يجيبنى احد بسطر أو بعض سطر ولو بقدر قلامة ظفر فما جاءنى عن الدار ولا غيرها خبر حتى حررت بالتلغراف لبعض الاصدقاء فلم يظهر قبل وصولنا الى السويد أثر اللهم الا انى كتبت من باريس يوم العيد بالتلغراف للمعية السنية قياماً بواجب العبودية من التعييد والتبريك لجناب ولى النعم الخديو الاعظم السعيد ابقاه الله ممتعاً بأنجاله وجميع آله بعمر مديد وحظ مزيد مهنأ بالاعياد والمواسم وثغور المسرة له كمحياه السعيد بواسم يشيع الماضى مبرورا ويستقبل الآتى مسرورا ويكسوها من نوره نورا فجاءنى الجواب فى بياض اليوم لم يتأخر مبشرا بالقبول والمنونية وذلك لدينا عيد اكبر وحظ اوفر وسجدنا لله داعين ومؤمنين ومسرين ومعلنين ولم يزل دأبنا فى كل موضع حللناه وموقع نزلناه نؤدى وظيفة الدعاء أحسن الاداء وننشر الوية مدائحه الجليلة عاطرة النشر ونخلد فى المسامع والمجامع طيب الذكر ونعدد ما نعلم من المآثر الغراء والمفاخر الحسناء تربو على الاحصاء ونستتبعها بذكر محاسن امراء رجاله الامناء الموازرين له فى اعماله الناسجين على منواله فى محاسن خلاله وأقمنا فى باريس نحو عشرين يوماً نراجع ما كتبناه بمصر من المواضيع التى حررناها للعرض على المؤتمر السويدى ونعيد عليها النظر وفى خلال ذلك نتردد على معرض باريس العام وغيره من المواضع الشهيرة فشاهدنا من الصنائع والبضائع وأنواع البدائع والنظام والاتقان والاحكام ما يحتاج فى ايضاحه

من البيان وتقريبه للأفهام الى مجلدات ضخام واستخدام اعوام وسنذكر في الرحلة ان شاء الله ممارأيناهُ في هذه العاصمة وغيرها مايلفه الجهد ويساعد عليه الحال وفي اثناء تلك المدة اردنا معاينة المدارس الموجودة هنا فصادفنا الوقت وقت عطلة فكانت كلها مقفلة معطلة فلم احصل على الغرض من ذلك الا انى لم آل جهدا في تحصيل قدر كاف من پروجراماتها وقوانينها وترتيباتها عن انواع متنوعة من ابتدائية وثانوية وخصوصية بعضها بالشراء وبعضها بالاستهداء واحضرت جملة جداول وبيانات عن بعض ادوات التعليم واثمانها ومحلات بيعها وشاهدنا جملة من المدارس المذكورة مختلفة الانواع الا انها خالية من الدروس والمدرسين والتلامذة ليس بها الا البواب وبعض الخدم فرأينا محلات التدريس وبعض ادوات التعليم وكان من جملة ما رأيناه مدرسة زراعية سافرنا اليها من باريس بسكة الحديد ورجعنا في يومنا وكانت مغلقة ايضاً ولم نجد مدرسة من التي رأيناها جاريا فيها العمل الا مدرسة خاصة بالاطفال الصغار من سن سنتين ونصف وثلاث سنين يقيمون بها الى سن ستة ويتولى امرهم فيها معلمات قد صرن لهن كالامهات المشفقات يحببن اليهم ويحببون اليهن ويراعين تعليمهم بطرق سهلة في غاية البساطة واللطافة والملاءمة لحال الطفل لا يظنها الا من اللعب والمحادثة وقد احضرنا ترتيباً عنها مفصلا واعجبتني الطريقة المتبعة بها جدا ثم سرنا من باريس الى لوندره واقمنا بها اياماً ومنها الى محل المأمورية معرجين على روتردام ثم لَيْدِن ثم امستردام ثم كولونيا ثم هامبورج ثم كوبنهاج ثم مالمو وهي اول ثغور مملكة السويد وفي اثناء مسيرنا منها الى العاصمة صادفنا من معتبري البلاد من عرف من هيئة ملابسنا المشرقية من الطربوش والعمامة اننا من اعضاء المؤتمر

الذين طوحت بهم الى بلادهم مراسى السفر فصاروا يتعرفون الينا ويتقربون مناويلاطفوننا غاية الملاطفة ويجملون لنا المقابلة والمعاملة الى ان وصلنا الى استكهلم ونزلنا الأوتيل وهناك اجتمعنا بالكونت لاندبرج فحضر وسلم علينا ومضينا معه الى مكتب المؤتمر محل اشغاله فاطلعنا على المحل المعد لانعقاد المؤتمر فى جلساته العامة والخاصة ومواضعنا فيه وهى فى جزء مرتفع عن باقيه بدرج وبه كرسى للملك وخلف ظهره العائلة الملوكية وعن يساره موقف من يخطب وكراسى لجلوس الوفد المصرى وعن يمينه بعض وزرائه وسفير العجم فى الاستانة العلية محسن خان والوفد العثمانى وبقية وفد العجم وبين يديه الكتب المهداة اليه وفى باقى المحل اسفل من هذه الدرجة مواضع باقى الناس اعضاء المؤتمر والمحل يسع فوق خمسمائة نفس وفى اعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النساء به يسع نحو مائة وخمسين وأعطى الكونت لكل واحد منا علامة العضوية فى المؤتمر وهى شبه وردة من قماش للماع ملون بالالوان الموجودة فى علمى السويد والنرويج مثبتة فى شبه زر يجعل فى عروة السترة لبس الملك واحدة منها

وقد حضر فى اثناء وجودنا هناك فرآنا وعرفه بنا الكونت فسلم علينا بيده واحداً واحداً وقابلنا بغاية البشاشة ولما سلم علىّ اظهر محبته للجناب الخديو المعظم وشكره على ارسال الوفد وسروره بحضورى ولما سلم على امين بك قال له انت ترجمانى لوالدك وفى ثانى يوم وهو يوم الاحد طلبنا الى سرايته بعربات حضرت الينا لمقابلته المقابلة الرسمية ولم تكن المقابلة الامسية رسمية فتوجهنا بالكساوى التشريفية والنياشين كما اشير علينا فلما دخلنا عليه وجدناه بالكسوة التشريفية والنشانات ايضاً فاعلن المسرة

والممنونية والثناء على الجناب الخديو الفخيم وسلمت اليه المحرر الكريم الخديو وأجبت قائلاً :

« مولاى أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والاجلال والثناء الفائق من لدن مولاى خديو مصر المعظم مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوى على خالص المودة المتضمن تعيينى وتعيين رفاقى المائلين بين يدى عظمتكم للحضور فى المؤتمر العمومى العلمى الذى توجهت خواطركم الملوكية لانعقاده فى هذه المملكة العامرة لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرقى والغربى فيه ولم يكن ذلك ليتأتى الا بتوجه همة الملوك اليه فلك يامولاى الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل واختم قولى بتقديم واجب تشكراتى لما نلت من لطف الرعاية الملوكية لا سيما فى هذا الموقف النبيل لا زال موقع اجلال ومنتهى كمال » وكان ذلك يوم الاحد اول سبتمبر سنة ١٨٨٩

وبعد ذلك انصرفنا وفى ثانى يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر وحضر الملك فى الميعاد المقرر وحضر الناس واخذ كل موضعه فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة القاها وأجاد فيها وفى حسن ادائها قال فى ضمنها « ان السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد وليست الآن الا للعلم » ومضى فيها حتى اتمها واقفاً والناس بين يديه وقوف ثم جلس وخطب بعده المسيو كريمر وافد النمسا ثم سفير العجم فخطب خطبة باللغة الفارسية ثم وافد السلطنة العلية العثمانية احمد مدحت افندى فتلا مقالة باللغة التركية ثم اشير الىّ فقمت وانشدت قصيدة كنت اعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس فاتممتها فى الطريق وبيضتها فى استكهلم فابتدأت أقول

اليوم أسفر للعلوم نهار وبدت لشمس سمائها انوار

ومضيت فيها الى آخرها وصفق الناس لكل من خطب وبالجملة لى لما اتممت الانشاد وخاطبني أناس منهم باستحسانها فى اليوم وحضر كاتب المؤتمر على اثر الفراغ منها وسارّنى بطلب نسختها فاخذها فى الحملة وخطب بعد ذلك اناس منهم الموسيو شفر وافد فرنسا وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علميـة ثم قام الملك وودع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا وقال حسنا وانصرف وانصرفنا وانفضت الحفلة وارفضّت الجمعية وبعد ذلك انقسم المؤتمر الى فصول متعددة فكنا فى الفصل الأول المعد للغة العربية وصارت الفصول تجتمع كل يوم وتقدم فيها الموضوعات المعدة للعرض عليها بعد ان يقدم بيانها للكتاب اللجنة اجمالا ويكون فى كل يوم بعد الظهر فسحة وولية ونزهة كل مرة فى جهة وبكيفية غير التى قبلها واستمر الحال على ذلك الى ان انقضى المؤتمر وفى اثناء انعقاد جلسات فصوله المذكورة قدم منى ومن جميع رفاقى ما اردنا تقديمه مما اعددناه لذلك وقوبل ماعرض من كل واحد منا بالاستحسان والاعتبار وقد أبقى واحد منا عنده نسخة مما عرضه بعد تقديم نسخته وأعطى من معه نشان من بلاده نشانا من طرف الملك وأعطيت نشاناً من النوع المسمى «وازا» من الدرجة الاولى فشكرت للملك ودعوت لمولاى ولى النعم الخديو الاكرم

« وقبل قيامنا من استكهلم أولم الملك وليمة خاصة فى سرايته دعا اليها خواص اعضاء المؤتمر الى مائدته الخاصة وكنت من جملتهم وقبل الدخول الى المائدة اعلم كل واحد بموضعه منها وموضع من بجانبيه فكان عن يمين الملك سفير العجم فى دار السعادة وعن يمين السفير المشار اليه البارون

دوكريمر الوافد من طرف النمسا وكنت عن يمين البارون دوكريمر وعن يميني الكونت دولا ندبرج

وفي أثناء الطعام شرب الملك على اسم الجناب الخديو خاصة بعد الالتفات الى ناحيتي فقمت مؤدياً رسوم التعظيم والشكر

وكان كلما صادفني في موضع من المواضع يكلفني بابلاغ سلامه وشكره للحضرة الفخيمة الخديوية وكرر القول بمحبته للجناب الكريم وقال انه اخي وعزفت الموسيقى بسلام الحضرة الخديوية مراراً كان آخرها في آخر مدة المؤتمر بناحية خرستيانيا من مملكة النورويج فكنا نقوم في أثناء السلام مؤدين شعائر التعظيم والاحترام وانتهى المؤتمر والمأمورية بحمد الله على خير وكل واحد ممن معنا في غاية الاستقامة والكمال وانتظام الاحوال والمحافظة على شعائر ديانته وحكومته وهيئاته وملابس بلاده واقامة صلاته داعين للخديو الاعظم ناشرين لمدائحه وقد أخذنا في الرجوع الى الوطن العزيز ووصلنا الى ناحية « جوتمبرج » ومنها نتوجه اليوم ان شاء الله الى « كوپنهاج » الى « برلين » الى « ويانه » الى « تريستا » الى « برنديزى » الى « الاسكندريه » ناذرين بعض الصدقة والصلاة والسلام على النبي عليه السلام اذا خطينا بتقبيل يد جناب خديونا المعظم ولي الانعام ولقاء ساداتنا واخواننا وأحبابنا الكرام ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩

(٣٩) وكتب المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري في سنة ١٣٠١ الى الشيخ احمد الحلواني كما جاء في الوسائل الادبية في الرسائل الاحدية

« بسم الله وبحمده »

تحية تحيا بها معاهد تنصيص المحبة وتحلو بها موارد تخصيص الوفاء

الذى يفرّح به الحبيب نفسه وعينه وقلبه ارق من خصر ممشوق لأهيف ممشوق ومن صهبا كعين الديك صفى سلافها الراووق وادق من جسم نحله الضنى لجسم محبك وأكله العنا كمن ابتلى ببينك بعدان بلى بقربك وثناء يروق سنا وسناء ويفوق القمر نوراً والشمس ضياء لحضرة نضرة وجه هذه الايام التى لولاها لما عرف فرقاً بين الليالى والايام الأنام السيد الذى شد الله به ازر السيادة ومد بمدده على وجه البسيطة بحر السعادة روض الامالى والامانى حضرة الاخ الهمام السيد الحلوانى لا زال يتيه على محبيه تيه الملوك على بعض المساكين ويليه كل صديق فيه أمين « آمين » سيدى ما الذى اوجب تناسيك لمحبك الذى لم ينس لعهدك والذى لا يزال على ممر الايام يرقب إلّك ويرعى ودّك وما الذى توهمته فى صديقك الفقير الصادق حتى قطعت صدقات رسائلك عنه وهو بها واثق وبك واثق سيدى ما هذا التجنى والاغضاء عنى سيدى ما لعرائس كتبك عنى استأخرت ولأوانس فضلك منى استنفرت وانى بها لرؤف شغوف بحسنها الشغوف سيدى مالك نسيت من لهج بذكرك وذكراك ولا يتمنى بعد دوام الايمان الادوام محياك ورؤية محياك سيدى مالى لا أرى هدهد كتابك المبين ام كان من الغائبين لأعذبن خاطرى به عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين يأتينى من نبأ ساحتك بنبأ يقين يقينى من الجوى فيقينى انه شفاء لقلبى الجريح من النوى) أفان أحاط بما لم يحط به فى البلاغة احد جرد سيف القطعية لرحم احبّته وأحدّ أو ان جد درسيس البراعة ماجدّ أومزح جند خميس الهجران وصعر خده للاخوان ومرح كلا انه لكتاب كريم وان كان ربما شرد ونفر كريم سيدى ما لخمائل جمائلك التى كانت

تهز اعطافها نسمات الحنين الى أسيف بينك الذى به له فى كل آن انين تسنت ولم تتثنّ كعادتها وما لشمائك التي لعبت بها شمول اللطافة وهى احلى من الزرافة وألذ من الكنافة تجنت ولم ترمقنى حور غاداتها الرافلات فى حرائر بهجتها سيدى ما هذا الدلال وما له من دليل وما ذلك الملال وليس له وجه جميل بعد ذلك الجميل من ذلك الجناب الجليل ان كنت مقصراً فأنت بكل كمال محقق او كنت عن الوفاء اقصرت فيما اسلفت فانى الآن على بابك متملق سيدى وابيك ما هذا الظن بمعاليك واخيك وحميك وفيك ما كذا كان املى فيك سيدى كيف امكن عليك ان تخرق بغير الاحسان سماء سجاياك ولا سبيل لخرق العوائد ولا مجال وقد قيل ايضاً أن الخرق والالتئام فى السموات محال ولا أزال أقول سيدى سيدى حتى يشتد بعودك الى حنانك الىّ ساعدى ثم ارجع فأقول سيدى الحمد لله الذى انجاك وانجالك وحباك وأحباك السلامة من ذلك الحادث المهول والحمد لله الذى كفى الجميع امره ولم يجرع احداً منا مرّه فلكم ولنا وللجميع الهناء الاكبر وله تعالى الحمد والشكر اكثر ما يحمد واكبر ما يشكر والله تعالى يمتع الوجود بدوام طلعتكم التى هى مطالع السعود ما تعطر كل نادى بالثناء على مقامكم الرفيع من الفقير عبد الهادى »

قال الشيخ عبد الهادى بعد هذه الرسالة ما نصه « وجواب هذه الرسالة لم يرد لنا مع انه كما اشار حضرة الشيخ فى جوابه الآتى يعلم أنه أرسله هو وغيره فكأنما ضن بها بريدها او قطع الطريق مريدها ثم مضت شهور ولم يصلنى من ساحة حضرته جواب ما وكان متن الدورق

الذى نظمناه فى اسماء الاضداد وتفضل هو بشرحه بطرفه فأرسله فوجدت فى خطبته بيتاً كان مخرجاً بالهامش فيه بيان لما درجنا عليه فيه مضروباً عليه فكتبت له هذه الرسالة جاعلاً سجع نثرها كنظمها منسوجاً على روى واحد حتى تكون كملبوس الوقت اذا استحسن اهله أن تكون البدلة من لون واحد او متقارب مع عدم سآمة السمع لذلك السجع لاختلاف حركاته والتئام مناسباته فيما اظن فقلت

(٤٠) قد اومأت لك باللواحظ عزّة ... أفيرتجى لك بعد ذلك عزّة

كلاّ فما لتميم ابداً بدت ... الا وقد ضربت عليه الذلة

فى مقلتيها فترة تغزوبها ... اهل الهوى لا تعتريها فترة

مهما تحركتا فما بتميم ... ابدا حراك هل تحرك ميت

ولقد يشوبهما دلالا سكرة ... فتشوب ابطال الصبابة كسرة

من ذا يرى الالحاظ سكرى ثم لا ... يغشاه من نظر اليها سكرة

من ذا يراها راقصات ثم لا ... تعروه من دون اختيار هزّة

من ذا يرى هذا التغنج ثم لم ... يوقعه منه فى خيال غنجة

يغزو مزجج حاجبيها مهجة ... فتستطيع المرهفات المهجة

من ذا يرى هذا التزجج ثم يز ... عم أنْ له مما دهاه نجدة

وكانما الاهداب ترمى فى الحشا ... شررا له فى كل قلب حرقة

هى ريش سهم منيّة ترمى به ... عن قوس حاجبها فتصمى الرمية

من رام نظرة ذلك الحَوَر الذى ... حارت لخدعته العقولَ الفكرة

فليستعدّ لمحنة تغشاه يا ... ويلاه ان غشيته تلك المحنة

عقباك غير حميدة ياطرف ان ... لم تغضضنْ تسفر اليك حميدة

فالعين تشخص والفؤاد على شفا جرف له فى كل آن انة
واذا ذوائبها غدت مسترسلا ت فالقلوب ذوائب تتفتت
واذا معاطفها انثنت متمايسا ت فالعقول ذوائب تتشتت
حركات لطف لا تكاد ترى كأنْ جمع التحرك والسكون المبسة
لا تعجبنّ فان فيها النشر فيه الطى فيها القبض فيه البسطة
وبوجنتيها للقلوب جهنم ابدا وفيها للنواظر جنة
كادت تعبّد نهية لى وهى تحسب انها كنهى سواءى نهية
لانها . وعيونها المرضى بأء ين سيدى ملحوظة مكتنة
السيد الحلوان من بهدى طرا ئقه اقتدت فنجت لعمرى الامة
وبنورها اهتدت الافاضل وارتوت من ذلك البحر المحيط أئمة
وبه ترشحت الفهوم وبان من طرق البيان حقائق مكنية
ونحو تصريفات تحريراته سهلت من الآداب طريق صعبة
وبحسن تحبيرات تحريراته راقت وساغت للمعارف شرعة
من نظمه انتثرت عقود بلاغة وفصاحة هى للمعانى عدّة
وبنثره انتظمت سموط براعة وبداعة هى للبدائع بهجة
هو قدوة للعالمين وقرة للناظرين ومنّة هى منّية
فيشنّف الاسماع منه منطق عذب به تحيا النفوس الميتة
ويشوّف الابصار منه طلعة هى للوفود بكل بشر طلقة
وترنح الابصار منه حكمة شرعية او نكتة ادبيه
وتروح الارواح منه رؤية تغدوبها الالباب وهى رويّة
وتفرح الاحباب منه خليقة هى بالثناء وبالسناء خليقة

وتفتح الابواب ابواب الهدى منه لمدرك سنة سنيّه
فلكل عين من سناه قرة ولكل قلب من هداه هدية
ولكل نفس من علاه منية ولكل شخص من حلاه حلية
ياسيدى قد كنت اعهد دورق فى فيه لكن لاحتياج ضبّة
فرأيتها لما اتى خفيت وسـ ـوّد وجهها المبيض عندك شطبة
قد افرغت منه وحقك قطرة رهقته من ان فارقته فترة
هى عند حضرتك الشريفة قلة لكنها وابيك عندى قلة
بيت تهدم من مدينة نظمه لكنه لبنى الصناعة قلعة
خطبته منى خطبة فأجبتها فتروحت بحلاه منه قينة
فامنن عليها بالرجوع لاصلها فلقد دهتها بالبلاء الفرقة
لا زلت تمحو ثم تثبت ما تشا ءواسفرت لك بالامانى العزّة

سلام تلوح فى مشارق المهارق منه على صدق الاخاء كواكب آيات بينات وتفوح فى رقائق شقائق خده من حق الوفاء بعهده نفحات عنبريات يراجع به مهديه معاشرة المعاشرة التى بت السيد طلاقها بتاً ويجدد به عهد الود الوثيق الذى لا ترى فى سبيله عوجاً ولا أمتاً وتحيات ارق من نسمات الصبا اذا تنسمت واشرق من بسمات الصبى اذا تبسمت واشوق من رف رقيق ثغر عروس زفت ولف رشيق قد خود رفت غلائها وشفت آنس من سمر غانية تطوست تتغنج فى سمرها تارة وتتغنى تارات وانفس من مأنسة تبرجت تثنى معاطفها الرشيقة الرقيقة الحركات الى حضرة روضة بصرى وبصيرتى ونضرة طلعة نعمتى ونعمتى السيد الذى باعرابه بنيت قصور البيان بعد انقضاضها وسورت وببدائع بدائه جمعت

اشتات المعانى بعد انفضاضها وصورت مشكاة الشريعة والحقيقة ومرقاة الطريقة للخليقة على الحقيقة سيدى الذى له اشكر ايادى فضل على توالت وعوائد بر عنى قط ما تناءت ولا توانت واليه اشكو شقى التى بعدت ومشقتى لبينه الذى رأيت روحى به قد بعدت وتوانى كتبه التى كانت لروحى فى كل غدوة غدوة ومن تحننه التى كانت تنفس عن النفوس فى كل مساء وغدوة وأظنه ان شاء الله يقبل شكايتى ويقبل على ممتناً بما به راحتى ورحمتى فاما منا بعد بعده بالمراسلات واما فداء فداه ابى وامى بما هو النعمة الكبرى من المشاهدات فانى والله والله أعلم اعلم أنى أحن الى أثره وعينه حنين الخمس الى الست وأحنو على طرائف لطائفه حنو الوالدة على الابن والبنت والتشوق اليه تشوق شيبتى لعود عيد رونق شبيبتى فان بذلك تفوق وتروق صحتى ويغوث ولا يعوق به رونق قريحتى وماذا عليك ايها السيد اذا جعلت ذلك من جملة مالك من حسنى الحسنات ومنحت به محبك الذى لا يتسنه وده بتسنه السنوات منحك الله كلما تمنيت ونفحك بنفحات قدسه اينما كنت وحيثما انتميت آمين فى ١٣ ج سنة ١٣٠١

فورد جواب هذه الرسالة فى ٢٢ ج سنة تاريخه بما صورته

(٤١) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدى اما توقد اشواقى فقد صعد الروح الى التراقى بل أسالها دمعاً من احداقى فهى منهلة المآقى ما بها ولا لها من راقى فآهاً لها من حدق صبتها الدمع ومساها الأرق وكيف لا يصوب دمعها الغدق فيقضى بالغرق هياما بتلك الشمائل التى لو دنت من الصخر لرق والا انفلق أو رنت الى البحر لأصبح عذباً فراتاً يشفى الحرق والا انفرق فلو

أنه النيل لطاب حتى لا يشتكي منه شرق والا احترق ام كيف لا يعروها شوقاً الى ذلك الخلق الكريم الذى هو ارقّ من النسيم ارق على ارق ثم آها وآها من ذلك الشوق الذى طبخني حتى العرق مرق وحتى غلي العرق ايضاً فقيل انشلوه من المرق والا احترق ومن العجب انى مع هذا الحال المشروح اغدو واروح ولكن من حلاوة الروح وربما طار طير وهو مذبوح فياحبيبي أكذا يقول السيد انى طلقت عشرته الشريفة بتا وكيف وهى التى امت بها الى الزمان متا يا ايها السيد مكره عبدك لابطل ولا تؤاخذني فى تغيير المثل فكيف يثبت السيد الطلاق ولا طلاق فى اعلاق باتفاق ولا اقول باطباق أيحكم بالتفريق على الطريق ويدير هذه الكاس على الريق وذلك خلاف مذهبه ومما لا يقول أليس قد علم تغشى به لتوطنى بمصر حتى أجلو بقرب مجلسه الكريم صدأ ما اصابنى لبعده من الاصر فأما انقطاع الاخبار وتوانى الاسفار فذلك شكيتى وعين قضيتى فقد أرسلت للسيد كتابين ولم أقف من جوابهما على أثر ولا عين فهل طارا فى مخالب البين فى المابين اذن فما اصنع فى سوء البخت وتربع كيوان فوق التخت وتصرف الوقت بأنواع المقت لولا ما تتململ به من استعمال الصبر فى انتظار حلاوة الفرج وعادة الصبر ان يغتال كل حرج فبينا أنا فى صبيحة قد ابتسمت بالصباحة كوجه المليحة تلألأت منه الملاحة اذ طلع كوكب تائية السيد البهية التي أربت بوشيها المحوك وتبرها المسبوك على كل تائية ولعمرى لقد وردت على العبد مهموما فسلت همه مغموماً فسلت غمه معتلا فأبرأت عليله مستهاماً فبردت غليله غافلا فنبهته

جاهلاً ففقهته فقلت لها اهلا بك من زائرة على انك أشرد من غزال سافرة على انك ادق من خيال ساحرة على ان سحرك الزلال حلال فلوحي للدرشمسة بل للدراري شمسا وبوحي للتائيات وغيرها تبرز من بدائعك الروائع همسة فلا تسمعها بعد ذلك الا همسا واسطعي على تفننك في بيان بدائع المعاني بذلك المحيا البشيش حتى تقول اجنحة الطواويس لا شك ان حسنى على بديع تلونه في الريش واطرفي عين نور الشجر بطرف الفاظك اليانعة النضرة واكتسي نفس نسيم السحر بأنفاس معانيك الرائعة العطرة وامتزجي بالارواح التي اصبحت تتقاطر عليك فروحيها بلطف السمر فانك من لطف شمائل منشيك معتصرة ثم تفضلي فاهزئي بالمعلقات واكتبي بصكهن فانك قد قضيت بانهن قد صرن مطلقات واضربي سيارة جرير بفخارة الفرزدق ولفي نسائج بشار في أبيه وأرمي بها في وجه مهلهلات أبي الشمقمق واضحكي بهواسم جواهرك المنتظمة من تقاطيع ابن بسام وقطعي على رأس تقاطيف الجزار مقطعات اللحام وأسمعي سجع المطوّق رنة سهمك المفوّق واصغي قفا ما يساميك من اشعار العرب بوجه اشعار العجم وافعلي بجميعها فعل ابي الطائي بالغنم ثم هكذا فافعلي وبحدود حسان الاشعار فانك عزتها وان كنت في عشق جميلا لا كثيراً فتتعلى سودى فديتك بوجودى فما يشق لك غبار ولا تجارين في مضمار ثم عندى لك نصيحة فخذيها صريحة احذرى على مالك من الرمزات ان تسرقها عيون الغواني غمزات وعلى رقة غزلياتك ان تختلسها مغازلة وشدة حماسياتك ان تستلها سيوفاً للمقاتلة وصوني مواصليك عن مقاطيع الشعراء فانهم لما ادركهم من حرفة الادب

سرّاق وتبرقعي ببراقع التورية الا عن الاكفاء من ألباب الالباء فقيهم عن نهزة الادب مراق ثم هاتي خبريني عن سر أسألك عنه فمثلك من يعربه واصدقيني وان كان الصدق كالصديق قد عز مطلبه ولا تقولي انا شعر والشعر اعذبه اكذبه بالله ماذا اراد السيد من زفافك الي يا أيتها العروس وأنا كما ترين على حافة القدوس لا احسن ان أعض ولا ان ابوس ولا احوس ولا ادوس فقالت أراد ان تتمتع بالنظر الى محاسني الغرا فقلت أهان عليه عقلي حتى يبهره بتلك المحاسن بهرا قالت ورام ان يحيي لك بين أهل الادب ذكرا فقلت سبحان الله وهل يستحيل السها بدرا قالت واحب ان يذكرك بعهد الوداد نظماً كما ذكرك به نثرا قلت وهل نسيته لحظة فاحتاج للذكرى قالت واشتهى ان يفرغ عليك حلة اساليب البلاغة فلعلك ان تكتب على طرازها ولو سطرا فقلت تلك لعمري رتب تسقط الاماني دونها حسرى على ان النسر قد عز ابن دأية قسرا وعشش في وكريه حتى رأيت النجوم منه ظهرا افبعد ما صار شيبي بدرا يبغي عندي من الادب بدرا او من الشعر شعرى وهل أبقت رحا الايام لبا او قشرا اوترك معصار الدهر خلا او خمرا اللهم غفرا قالت وقصد ان يتعرف لما صنعته بدورقه السرى سرا فانك نحرت خطبته نحرا وكسرت ضبة فمها كسرا قلت وقد فهمت انت ايضاً بذلك جهرا وتركت الناس تروى ذلك عنك كما تروى بك براويحرا لا والحاظ اشارتك السكرى حين اكتحلت سحرا فأسرت ابطال الصبابة اسرا ثم قالوا تحبها قلت بهرا ما جمشت تلك العذراء ولا خمشت لها نحرا ولا اسقطت لفيها درا ولا أرقت لريقها العذب خمرا وانما تركت حسنها

يقطر قطرا بالله متى زادت خطبة عن اربعة واربعين شطرا ثم بالله كيف صدقت انى انقض منها سطرا بطرا وماعهدت عندى غدرا قالت لعمرى لقد ارهقتك عسرا واوسعتك زجرا على انى لم استبطن لك شرا ولم ارد بك لعمرى الا خيرا فكيف ترى يمينى هذه قلت برا وهل اتوهم فيك شيئاً نكرا لا وطلعة السيد التى هى للوفود طلعة غرّا لا وحسن تخلصه الذى ان اكتحلت به العيون المرضى فانها من المرض تبرا قالت اذن فقدم للسيد على وجهى شكرا ومهدله فيما كان عذرا قلت قد فعلت فقد زففت اليه عروساً بكرا قالت أهى مثلى ثالثة كبرى قلت بل كافية صغرى قالت ولم تركت الشعراء ينظرون اليك اذ خالفت الروى شزرا قلت أليست الكاف اخت التاء فى امور جاءت تترى أليست تلاقيها وتقالبها فيما يجل حصرا قالت ولكن ما هى هى فلا بد للعدول من نكتة اخرى فقلت قد اتممتها فى الكاس المروّق فاحببت ان تكون للسيد بشرى قالت أمّا هذا فليكن عذرا فقل أهى مثلى فى محاسنى الغرا وهل تحكينى ثغرا او شعرا اوكفلا او خصرا او صدرا او نحرا او قدرة او قدرا قلت كلا ولكنها ان لم توكل درمكا فتمرا وان لم تشرب قهوة فدرا وان لم تنظر شمساً فبدرا وان لم تسمع معبداً فعمرا وان لم تشم مسكا فزهرا على انى ربما فشرت فى ذلك فشرا وعلى كل حال فما تجىء للبك فشرا فانت أسرى واشد أسرا واعظم قدرا قالت فانو عن غيرى الصوم ثم استيقظ من النوم وحدث عنى القوم انى سيدة القصائد اليوم فاستيقظت من المنام وقد بلغت المحاورة بيني وبينها حد التمام فان لم يؤوّله السيد بمايرام فليسمه على الاقل اضغاث احلام والسلام ٢٦ ج سنة ١٣٠١

(القصيدة المشار اليها فى الجواب)

لا يا بثينة والهوى لم أسلك ... ولغير ما ترضينه لم اسلك
هاتى فديتك خبرينى ما الذى ... قدّرت ان اسلوه منك فتشتكى
أهوا بتسلمك ام سلامك ام كلا ... مك اوقوامك وهو اصل تهتكى
أهو اللمى واليه قد وقد الظما ... آها على رشفات ذاك المضحك
أهو الرقيق كدين ارباب الهوى ... من خصرك المتزهد المتنسك
أهو الصحاح من الثنايا تزدهى ... أهو المراض من الجفون الفتّك
يا بثن لا والله ما قلبى سلا ... يوما هواك نعم سلوت تنسكى
لا والصباح من الجبين المزدهى ... لا والدجى من فرعك المحلولك
لا وازدهار الكون مهما اشرقت ... شمس الضحى من وجهك المستضحك
بالله قولى كيف تمكن ساوتى ... اولست اخشى منك سرعة مهلكى
أخشى لحاظك فهو سيف منتضى ... اوما الىّ أسكن فلم اتحرك
وبسحره قد راعنى اذ راقنى ... فكانه لفظ الذكى ابن الذكى
السيد النحوى عون الملتجى ... والمرتجى غوث اللهيف المشتكى
البارع الندس الذى سبق الورى ... مجدا فأصبح فى العلى لم يدرك
غوّاص علم كل علم زاخر ... ما للانام بشطه من مسلك
جوّاب آفاق الفنون الى مدى ... لم يحكه احد الورى فيما حكى
صوّاغ ما سبكت قرائحه من الـ ... ـكتِ النضار طيب ما لم يسبك
او ما ترى الدنيا غدت محبوكة ... بحلى له من قبلها لم تحبك
وسل المطالع والمطالع والوسا ... ئل والرسائل ثم لا تتحكك

وعلى يمينك ان دخلت القصر من ... باب الفتوح فثمّ دَورقه الزكى
فانهل اذن من كاسه وادخل حديـ ... ـقة انسه والى الفواكه فاسلك
واذا شممت اريج ذاك السيدا ... مفضال ثمّ فقم اذن وتمسك
وله فبايع فهو بالاجماع فى ... كل الفنون غدا اجل مملك
وله التزم وبه اعتصم اوفانقصم ... وله فمق وبه فثق واستمسك
هو عروة الدين التى لم يعرها ... ادنى انفصام فى مقام اضنك
هو رونق الدنيا وروق نعيمها ... هو صيقل الالباب مما تشتكى
افديه من يقظ يكاد ذكاؤه ... ينساب بشرا فى الوجوه الحلك
ثقف اذا اوما الى العضل التى ... اعيت رمى اعضاءها بتفكك
روض اذا فكه استطرت فكاهة ... وتراه جد فطار قلب الدوسك
ان راح ينشد قلت عبد صبابة ... أو جاء يرشد قلت رب تنسك
واذا افادك ظل مثل المستفيـ ... ـد قصرت فى وصف المفيد المدرك
خلق له سجد النسيم ولو سرى ... حقبا ليدرك لطفه لم يدرك
وانظر الى الادب استرق له فان ... قلت اغتدى مملوكه لم تأفك
أمّا رقيق الشعر فهو عتيقه ... والحر يحسن للرقيق الاسلك
والدر راعته دراری نثره ... فله بقاع البحر اى تمسك
والورق ما ادّت لطافة سجعه ... نغما لتحكى السجع بل لتبرك
ما الورق ان سالت رقائق لفظها ... مربى تمحو عجمة المتترك
اللفظ يخطب والبلاغة منبر ... والكون يسمع اويخط بمأملك
فضحت بديهته روية من ترى ... فاذا بدت لم يبق بعض تشكك
يجلو بزوغ الشمس من بدهاته ... ما الناس من ظلماته فى معرك

ولجود عندى حديث مطرب ... قد غار منه البحر بعد تهتك
كم جعفر من فضله يحيى به ... من يرتجيه فلا يقول ببرمكي
سقيا لايام مضت فى ظله ... فشعت دجى ليل الهموم الاحلك
حيث الطرائف والظرائف والمعا ... رف والعوارف فى مزيد تشبك
ياعادة الايام هل لك عودة ... عودى فعودينا فديت واوشكى
عودى فعودى قد ذوى ظمأ الى ... تلك الحلى وخذى حشاى أواتركى
عودى لدور الدورق السلسال فى ... نادى الصفا ولكل ملكى فاملكى
عودى فولاى اصطفاه لنفسه ... ولقد يكون على الاقل مشركى
يا ايها الاستاذ هذا دورقى ... ملكى وقد أصلت فيه تملكى
وابحث لى حور القصور بروضه ... فظلالت ثم على الارائك اتكى
أأسومه خسفا وفيه لى المنى ... لقد انتهجت اذن سبيل تضنك
أأحوطه بدمى وأسلم ثغره ... ايقوم ثلم دون ثلم يشتكى
وابيك ما اسقطت منه درة ... فيما علمت وقد عجبت لما حكى
فعقود خطبته بخاتم ربها ... متناسقات لم ترع بتفككا
وكما عهدت قصورها العلياء لم ... ترتع بنقض لا ولا بتدككا
وعلى افتراض النقض فالاستاذ يبـ ... ـرم ما اقتضاه رأيه لتوركا
ولينظر الاستاذ فى البيت الذى ... اوما له فقد استفز تشككى
او فليطوقنا بنعمة ردّه ... ان لم يجده كذاك فلنستدركا
فالبيت ليس لدى اثباتاً ولا ... محواً ولاعدّا ولانقدا شكى
لازال ينفحنا بالطف نفحة ... فنشمّ ريا طيب خاطره الزكي

أحمد الحلوانى

(٤٢) وكتب الايارى الى الحلوانى أيضاً ردّا لكتابين وردا منه يسأل فى ذيلهما عن مسائل فى الدورق « سيدي الذى لا أطلب بعد دوام الايمان الا دوامه وان لا تبرح كواكب السعد والسودد الأنصاره وخدّامه ورد جوابك الاول والثانى فكانا أوقع عندى من ضرب المثالث والمثانى بما أنبآه من خبر سلامة السيد التى هى بهجة مهجتى وروح روحى وسداد سدتى وان كبرا على كبر تجنى حبيب رنق النعاس فى لواحظه النرجسية وحقق أنه من ماء اللطائف مصور فرأى الدلال مقيسا والمطاوعة غير قياسية ولو مجازية ولعمرى ما يوم العيد عندى الا يوم يأتينى من تلك الحضرة كتاب او يرد من تلقاء مدين فضلها الباهر سؤال وان كنت ابيت منه فى ارتباك وارتياب اذ قدوهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً وأصبحت لملازمة الامراض لا تعدم حسناء حالتى المتوهمة ذاما ولا تفقد عيبا مع ماينضم لذلك من حرمانى الأمد المديد من رؤية طالع طلعتك وتروّح روحى بقطف ثمر سمر حضرتك وكثرة رؤيتى (حاشا من أشرت فى كتابك اليهم) من تقذى العين برؤيتهم وتجرح القرائح بما يتفق من مجاراة قرائحهم فلذا نحمد الله فى كل وقت مرتين ونلجأ اليه أن يمنح اولئك نفحة رقة تفقأ من غلظتهم كل عين ولكن لا يزال لطف الله تلمع لى بروقه وتلمح لقلبى بما اشوقه من كتب السيد التى تمنع كل بأس عن كل بائس وتمنح كل فرج وفرح لكل آيس ويائس ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك من قصور نظره وأبيك ان رسائلك لعينى بصرى وبصيرتى لقرّه ولطلعتى وجهى ووجاهتى لغرّة ناهيك من غرّه لا املك وربك العجب لحسن مواقعها ولا الغبطة لكمال جمال منافعها فلله تلك

الروية وسبحان من سواها ودفة ذلك النظر الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وانى وحق الله بما تبديه الىّ من هذه التنبهات لكالنديم يقول فى مجلس انسه النظيم طاب الصبوح لنا فيات وهات وهكذا هكذا تكون المحبة الحقيقية والسنة المحمدية الاحمدية والا فلا وكذا يكون الايمان النافع والعلم النافع والا فياضيعة الاعمار تمشى سبهللا ولقد اود ان يكون وجه الدهر لى فى جمال شيمتك وأمانى فى اصابة فهمك وآمالى فى جودة قريحتك ولبيت دعائى مجابا فأدعو الله بقرب او اتحاد الدارين وان يجعلنى ملازماً لك ملازمة العرض للجوهر فى الدارين فان شوقى الى حضرتك اكثر واكثر من كل شىء الا من ذكرك وذكراك ولهفى عليك اكبر واكبر الا من صبرك عنى وعدم سماحك بان أراك ويروقنى ان رأى السيد حفظه الله فراش النقد وطيئاً فتربع عليه وفراش القلم منى متهافتاً على سراج الجمع بغير تحرير فقص جناحيه لا والله ما اقول ذلك الا حقاً ارى به لك يدا لا تزال فى عنقى طوقاً وهكذا الاخلاص يكون والمؤمن مرآة المؤمن كما تفيدون وقد اثبت عندى فى (ذاج) مالفظه

ذأجت ماء بهمز بعد معجمة شربت ماقل او حتى رويت ظما

وقلت فى (الفوج) وفسر الفيج شخص واحد وجماعة ومرحاناً الخ وقد كان غرنى فيه تشبيه السيد مرتضى وكان عدم تأملى فيه غير مرتضى وبيت الشرح قد قلنا فى فافيته (كما فهما) وهو منبئ بأنى لم ار فيه التضاد صريحاً بل بحسب مايفهم من عبارتهم وإلى الآن لم ازل أشمّ منها تلك الرائحة فان عدت لحضرتكم فائحة فتجارة رابحه والا فلا مانع من هدم بيته كليا اولى من اكون فيه بلا موافق دعيا واما المطاوعة فلم يطمئن اليراع فيها ان يجري

بغير ماسبق فان كان كافياً والا فاتراه احق اسأل الله ان يلقيني بلقياك نضرة وسرورا ويزيدني بدوام حبك وفضلك فضلا وحبورا ويوزعني من شكر صنيعك ما املأ به وطاب الايام واستروح به ان شاء الله طيب حسن الختام هذا وحضرات من نوهتم بذكرهم وطيبتم الكتاب بعبير نشرهم يزفون الى ساحة فضلكم عرائس تحيات تتهادى فى غلائل اشواق متباهيات غير متناهيات والسلام

(٤٣) وكتب القاضى الفاضل الشيخ محمد عبده الى احد اصحابه وكان فى السجن بسبب الحوادث العرابية فى ٩ محرم سنة ١٣٠٠

« عزيزى

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كأننى صارم فى كف منهزم

هذه حالتى اشتد ظلام الفتن حتى تجسم بل تحجر فأخذت صخوره من مركز الارض الى المحيط الاعلى واعترضت ما بين المشرق والمغرب وامتدت الى القطبين فاستحجرت فى طبقاتها طباع الناس اذ غلبت طبيعتها على المواد الحيوانية او الانسانية فأصبحت قلوب الثقلين كالحجارة او اشد قسوة فتبارك الله اقدر الخالقين انتثرت نجوم الهدى وتدهورت الشموس والاقمار ونعيت الثوابت النيرة وفر كل مضيء منهزما من عالم الظلام ودارت الافلاك دورة العكس ذاهبة بنيراتها الى عوالم غير عالمنا هذا فولّى معها آلهة الخير اجمعين وتمحضت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع وبدّلوا الخلق وغيروا خلق الله وكانوا على ذلك قادرين رأيت نفسى اليوم فى مهمه لا يأتى البصر على اطرافه فى ليلة داجية غطى فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف ركاما ركاما لا أرى انسانا ولا اسمع ناطقا ولا أتوهم مجيبا

اسمع ذئابا تعوى وسباعا تزأر وكلابا تنبح كلها يطلب فريسة واحدة هى ذات الكاتب والتف على رجلى تنينان عظيمان وقد خويت بطون السكل وتحكم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حاله فهولا ريب من الهالكين تقطع الامل وانفصمت عروة الرجاء وانحلت الثقة بالاولياء وضل الاعتقاد بالاصفياء وبطل القول باجابة الدعاء وانفطر من صدمة الباطل كبد السماء وحقت على اهل الارض لعنة الله والملائكة والانبياء وجميع العالمين سقطت الهمم وخربت الذمم وغاض ماء الوفاء وطمست معالم الحق وحرفت الشرائع وبدلت القوانين ولم يبق الا هوى يتحكم وشهوات تقضى وغيظ يحتدم وخشونة تُنَفِّذ تلك سنة القدر والله لا يهدى كيد الخائنين ذهب ذووالسلطة فى بحور الحوادث الماضية يغوصون لطلب اصداف من الشُّبَه ومقذوفات من التهم وسواقط من اللمم ليموهوها بمياه السفسطة ويُغشوها باغشية من معادن القوة ليبرزوها فى معرض السطوة ويغشوا بها اعين الناظرين لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه او لمستور يكشفونه او لحق خفى فيظهرونه او خرق بدا فيرقعونه او نظام فسد فيصلحونه كلا بل ليثبتوا انهم فى حبس من حبسوه غير مخطئين وقد وجدوا لذلك اعوانا من حلفاء الدناءة واعداء المروءة وفاسدى الاخلاق وخبثاء الاعراق رضوا لانفسهم قول الزور وافتراء البهتان واختلاق الافك وقد تقدموا الى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الاباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ولم تحل قلبى وحشة بل انا على اتم اوصافى التى تعلمها غير مبال بما يصدر به الحكم او يبرمه القضاء عالما بان كل ما يسوقه القدر

وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لاشبهة للحق فيه لان الله يعلم كما انت تعلم أنى برىء من كل ما رمونى به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعبا اوكنت من الضاحكين نعم حنقنى الغم واحمى فؤادى الهم وفارقنى النوم ليلة كاملة عند ما رأيت اسمك الكريم واسم بقية الابناء والاخوان المساكين تنسب اليهم اعمال لم تكن واقوال لم تصدر عنهم قصد زجهم فى المسجونين لكن اطمأن قلبي وسكن جاشى عندما رأيت تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر فرجوت ان الحكومة لم ترد ان تفتح باباً لا يذر الاحياء ولا الميتين قدم فلان وفلان تقريرين جعلا فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنق ولم يتركا شيئاً من التخريف الا قالاه وذكرا اسماءكم فى امور انتم جميعا ابعد الناس عنها لكن لا حرج عليهما فانى اراهما من المجانين ولم اتعجب من هذين الشخصين اذيعملان مثل هذا الذنب القبيح ويرتكبان هـذا الجرم الشنيع ولكن اخذنى العجب كل العجب غاية العجب بالغ ما شئت فى عجبي اذ اخبرنى المدافع عنى بتقرير قدمه فلان الذى ارسلت اليه السلام وابلغته سرورى عند ما سمعت باستخدامه واننى هذا الحبس رهين الى هـذا الوقت لم يصلنى التقرير ولكن سيصل الى انما فيما بلغنى انه شهادة باقبح شيء لا يشهد به الا عدوّ مبين هذا الئيم الذى كنت اظن انه يألم لالمى ويأخذه الاسف لحالى وببذل وسعه ان امكنه فى المدافعة عنى فكم قدمت له نفعا ورفعت له ذكرا وجلت له منزلة فى قلوب الحاكمين كم سمعنى اقاوم هجماء الجرائد واوسع محرريها لوماوتقريعا وأهزأ بتلك الحركات الجنونية وكان هو علىّ فى بعض افكارى هذه من اللائمين كان ينسب فلانا لسوء القصد اتباعا لرأى فلان واعارضه اشدّ

المعارضة ثم لم أنقض له عهدا ولم ابخس له وُدًّا وحقيقة كنت مسرور لوجوده موظفا فما باله اصبح من الناكثين آهٍ ما اطيب هذا القلب الذى يملى هذه الاحرف ما اشد حفظه للولاء ما اغيره على حقوق الاولياء ما اثبته على الوفاء ما ارقّه على الضعفاء ما اشد اهتمامه بشؤن الاصدقاء ما اعظم اسفه لمصائب من بينهم وبينه ادنى مودة وان كانوا فيها غير صادقين ما أبعد هذا القلب عن الايذاء ولو للاعداء ما اشدّه رعاية لنود ما اشدّه محافظة على العهد ما اعظم حذره من كل ما توبخ عليه الذمم الطاهرة ما اقواه اقداما على العمل الحق والقول الحق لايطلب عليه جزاء وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين هذا القلب الذى يؤلمونه باكاذيبهم هو الذى سر قلوبهم بالترقية وملأها فرحا بالتقدم ولطف خواطرهم بحسن المعاملة وشرح صدورهم بلطيف المجاملة ودافع عنهم ازمانا خصوصاً هذا اللئيم افنشرح الصدور وهم يحرجون ونشفى القلوب وهم يؤلمون ونفرحها وهم يحزنون تالله قد أضلوا وما كانوا مهتدين هذا القلب ذاب معظمه من الاسف على مايلم بالهيئة العموميـة من مصائب هذه التقلبات وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذى يجعل العموم في قلق مستديم وما بقى من هذا القلب فهو فى خوف على من يعرفهم على عهد مودته فان تسللوا جميعاً بمثل هذه الاعمال وأصبحوا من مودته خالين واتخذوه وقاية لهم من المضرّة وجعلوه ترسا يعرضونه لتلقى سهام النوائب التى يتوهمون تفويقها اليهم كما اتخذوه قبل ذلك سهما يصيبون به اغراضهم فينالون منها حظوظهم فقد اراحوا تلك البقية من الفكر فيهم والله يتولى حسابهم وهو اسرع الحاسبين آهٍ ما اظن ان تلك البقية تستريح من

شاغل الفكر فى شؤن الأحبة وان جاروا فى تصرفهم إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخز اذا اتصل بذى الود وان كان خشنا فصعب ان ينفصل ولو مزقته خشونته وان هذا القلب فى علاقة مع الاوداء كالضياء مع الحرارة ايما حادث يحدث وايما كيماوى يدقق لايجد للتحليل بينهما سبيلا واظنك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين

اى عزيزى

الآن وصلنى تقرير اللئيم فقرأته بأول نظرة ووجدته كما بلغنى وسأرد عليه فى بضع دقائق بما يسود وجهه ويخجله ان كان انساناً ولكن تصادف فراغ الحبر من الدواة فسأنتظر بالرد عليه وتتميم رقيمى اليك بعض ساعات فكن معى من المنتظرين

رددت على التقرير وكان كل ما فيه الغش والتغرير وذكر فيه فلاناً بأشنع مايؤاخذ به انسان فى هذه المسئلة كما ذكره الخبيثان قبله ولكن دفعت ماقاله فى جانبه ايضاً وأخذت على نفسى كل مسؤلية تنسب اليه او اليكم فما عليكم ان سئلتم الاّ ان تكونوا منكرين ربما يسأل لكم (القوسيون) عن معلوماتكم فى شؤنى ايام الحوادث فلا يدخل عليكم غش السؤال والارهاب ولكن عبروا عما كنتم تشهدون وتعلمون من افكارى وأقوالى التى كانت تهزأ بالحكومة الفلانية ومن كانوا لها من الطالبين

الى هذا الحد قفوا فأن سئلتم فقولوا مانحن بتأويل الاحلام عالمين فى هذا الوقت وصلنى الرقيم مبشراً ببقائكم فى مركزكم فقمت ورفعت يدى ورجلى وناديت الحمدلله رب العالمين واخذنى الأسف على حبس فلان لكن دل اطلاقه على حسن حالة الباقين يا عزيزي اعود الى ذكر

ما لاؤلئك القوم كأنما قذف بهم من مشاهق جبل فسقطوا على رؤسهم فغشيهم من شدة الصدمة ماغشيهم فقاموا ينطقون بما لا يعون ويتكلمون ولا يفهمون مابالهم يقذفون من افواههم اخلاطاً اقذر من البلغم وأمرّ من الصفراء وكأنما جرعوا جرعة من السم فتقلبت امعاءهم فاستفرغت من حلاقيمهم اخبث مايحملون مابال دنان قلوبهم تفيض من اللؤم بأشد من فيضان بئر بروحوت تقذف بسائلات بشعة الطعم خبيثة النظر كريهة الرائحة تضطر معانيها للفرار منها لكن اعضاء التحقيق من زكام الحوادث الاخيرة لا يشمون ولا يذوقون ومن ظلماتها لا يبصرون هل بطل ياعزيزى ماجاء على لسان النبوات « الانسان اسير الاحسان» هل نقض ماجاء من ذلك « المعروف بذر المحبة يغرسها فى اعماق القلوب » هل هدمت قاعدة «ان الحيوان يقاد بالزمام والانسان يقاد بالصنيعة» هل كان خرافا ماقرره الحكماء من الفصول الطويلة تفسيرا للمحبة وبيانا لفضائلها ومنافعها فى الاجتماع الانسانى الحبيث . هل كان خرافا ماحوته الكتب متملقاً وجنبات روابط النوع البشرى ام صح كله لكن الناس به جاهلون . هل أتأسف ان كنت سباقا الى الخيرات هل أتأسف ان كنت مقداما فى المكرمات هل أتأسف ان كنت شجاعا فى الدفاع عن ذوى مودتى هل أتأسف ان كنت ابياً اغار ان ينسب مكروه اوذل لأولى صلتى . هل استحق العقاب على حبى لبلادى والناس لها كارهون . كلا والله لن يكون ذلك ولم ازدد فى سبيل الفضيلة الا بصيرة ولم ازدد فى المحافظة عليها الا ثباتا ولئن عشت لاصنعن المعروف ولاغيثن الملهوف ولانقذن الهاوى فى حفرة الغدر ولآخذن بيد المتضرع من ضغط الظلم ولا تجاوزن عن السيئات

ولأثناسين جميع المضرات ولأبين لقومى انهم كانوا فى ظلمات يعمهون ولأظهرن الصديق فى أجمل صوره ولأجلونه للناس فى ابهج حلله ولاثبتن لهم ببرهان العمل أنه فكرك الثانى فى روحك الواحدة وانه جسمك الآخر فى حياتك المتحدة وانه صاحبك اذا طال ليل الكدر ومصباحك اذا اغسق دجى الهموم تستضئ به فى حل ما انعقد وتستعين بقوته فى تيسير ماعثر وتذهب به الى اوج المعالى والناس من معجزات الصديق يتعجبون انى اليوم اعجز من المقعد عن طلوع النخل ومن المفلس عن حرية التصرف وقد صار سقوط الجاه كمرض يصيب الجميل الفاتن فينحف الجسم ويغير اللون ويقلص الشفاه ويضعف القوى ويقعد عن الحركة ويبعد عن نيل المطلوب ويثقل على الأهل والعشائر فى التمريض ويسئمهم ان طال من معاناة العلاج فيصبح المريض منهم فى ادنى المنازل وقد كان ربا وهم له ساجدون يذهب عنه البهاء وينكسف من وجهه الضياء وتنكره عن الرؤية اعين العشاق وتمجه طباع ذوى الاذواق وتمحى من جبينه تلك الاسطر الجلية العبارة الصادقة النسبة الناطقة بالحق القائلة هنا كنز الرغبات هنا منال الحاجات هنا ما يروح الروح هنا ما يقضى وطرا فى الانفس هنا ما يخشى منه على الارواح والافئدة فينحرف عنه السالكون اليه وقد كانوا قبل على آثار غباره يتدافعون وقيسوا على مرض الجميل مرض صاحب جاه ولا أظنكم بالقياس تجهلون لكن اقول لكم ان الحوادث المريعة سوف تنسى وان هذا الشرف سوف يرد ولئن أبت طبيعة هذه الارض بخستها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن فى بلاد خير منها ولأجذبن الى المجد احبتى ومن الى المجد

ينجذبون كل ذلك ان عشت وساعدني صحة الجسم ولا اطلب شيئاً فوق هذين سوى معونة الله الذى عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون اطلت عليك الكلام فلا تسأم واظنه آخر كتاب منى اليك فى السجن الا ان يحدث حادث يسمح بالكتابة مرة اخرى فان تلاقينا بعد اليوم كانت المشافهة ازكى والا كانت المراسلة اجل وأعلى ولا تجزع فليس فى الامر ما يفزع وهو اهون مما يتوهمون واسأل الله ان يغض عنكم ابصار الظالمين ويحفظكم من نكاية الخائنين ويسر قلبي بالطمأنينة عليكم وعلى سائر الاخوان والابناء اجمعين

(٤٤) وجاء فى الجريدة الرسمية الصادرة فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٧ من انشاء حضرة الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فصل يصف فيه ليلة واقصة فى قصر عابدين الخديوى

﴿ بالاو سراى عابدين ﴾

« ليلة الثلاثاء ٢٥ يناير سنة ١٨٨٧ »

هى حلية الدهر وطراز الفخر وهى جامعة المسرة والبشر من مبدئها حتى مطلع الفجر وهى مرايا التحف ومرائى الطرف ومظاهر العوائد المستعذبات ومجالى اللطائف المستبدعات طاولت وان لم تطل بياض النهار افتخارا وعلت حجة نورها على شموسه انتصارا فيها افاض الخديو المعظم سجال نعمه واورد من اختارهم موارد بره وكرمه فظهر للكل فى صفات الوالد الحنون واولاهم غيث فضله الهتون

ولقد ظهرت آثار تلك النعم العميمة على ظواهر السراى العامره

فتلألأت رحبتها بشعل الاساطين على شكل معين وانتظمت فيها الفوارس والمشاة يحفظون النظام ويتبدرون السلام وتحلت وجهتها ومداخلها بالاضواء الكهربائيـة اشكالا وصفوفاً وانوار الشموع ضروباً وصنوفا اما مدخل السراى فكان طريقـه مرصع اليمنة واليسرة بأكر النور الارضية ذوات الالوان الشفافة الدرية وما يليه مزدانا بالنجف والصحب على اشكال الباقات الريحانية ومن وراء ذلك الى سلم الصعود الى مواطن الرياضة والجلوس فكلها مما يكل لسـان القلم اذا اراد التوصيف ويشق لسانه ان رام التعريف فيا ما ابهج هذه المرائى الغريبة ويا ما اعذب ما بينها من تلك المناسبات القريبة شموع تتلاعب فى مرايا تتقابل فتتعدد الوحدة وتتوحدا لكثرة وتجتمع الشتيتات وباقات الريحان فى الطرقات تباهى منثور الزهور فى المجتمعات فما اميلح ما تفاخر به الاخوات ولئن كان هذا فوق ماقلناه فما هو بأغرب مما بتلك الحديقة السطحية وما ادراك ما تلك الحديقـة غرست اشجارها ونجومها فوق سطح الدور الاول بين المرمر والرخام وفصلت طرقاتها على اشكال هندسية تأخذ بمجامع القلوب استغراباً ونبتت اعوادهـا المخضرة تحت السقوف ولقـد كانت الانوار تغازل هاتيك النباتات وترنو اليها بعين الاعجاب فتختلس هى منها بعض الضوء وتعرضها عليها بلونها الزاهى فينحلل بينهما الضوء الى اصوله الاصلية وتتعـدد الفروع فينبهم على الطبيعى تحليل الاضواء فلا يسعه الا التسليم بأن فوق ذى علم عليم . . .

وفى اوائل الساعة الخامسة العربية بدأ المدعون يغدون زمرا وفرادى تتلاعب فى صدورهم وسامات الشرف وعلامات الامتياز ولم تكمل الساعة

الخامسة حتى كمل عدد من قربهم الخديوى المعظم ودعاهم ورضى عنهم ورعاهم وهم نحو الالف والمائتين من سراة آله ورجال دولته وأمراء بلاده الملكية والعسكرية وعلماء دياره ووجوه رعيته وكبراء نزلاء القطر واجلاء القنصلاتات وضباط الجيش المصرى وجيش الاحتلال من الانجليز ومشاهير الرؤساء الروحية والاعيان من الاوروباويين على اختلافهم فى التبعية والانتماء مابين ذكران واناث على اجمل ما يكون من الزى والهيئات كل أولئك حلّوا تلك الساحة الخديوية الفيحاء آمنين فلاقوا من الكرم العميم والاجلال والتكريم ما لا عين رأت ولا خطر على فكر قبل تلك الليلة الغراء . . . . .

وقد تشرف بالمثول لدى الحضرة الفخيمة الخديوية على وجه مخصوص كثير من الامراء والفضلاء والوجوه والنبلاء والاكارم بين وطنيين واجنبيين ملكيين وعسكريين من رجال وسيدات فلاقوا من جنابه الكريم مالا يكاد يبينه الوصف من الاكرام والتحية والتبجيل فألان الجانب وسهل الخطاب وأدخل المسرة على كل ذات تشرفت بالمثول شأن جنابه العالى الذى جبل عليه وطبعه الكريم الذى فطر به ومال اليه فى كل حال

وفى منتصف الساعة السادسة العربية فتحت قاعة الرقص فتسابقت اليها غادات الغانيات يسحبن مطارف الحيلاء ويتبخترن فى حلل الزهو والاعجاب وتلت عليهن الموسيقى سور الالحان فطربت بها هاتيك الغزلان وظهرت آثاره على الجوارح فماست تلك القدود السمهريات فى وسط الميدان حتى ارقصت القلوب ورسمت فى مبسانها دوائر ذوات الذنب من الكواكب العلويات وخطوط النيازك من شهب السموات فانتصرت

الهيئة الافرنجية الحديثة على تعاليم أرسطو وبطليموس فى هذه الفنون ولم تبق باصرة الا شخصت الى هذا الصنع الدقيق بعين الاعجاب والاستحسان وبعد منتصف الليل ببضع دقائق فتحت قاعة موائد الكرم (بوفيه) واذا هى بغيـة الطالب وطلبة الراغب فيها من صنوف المأكل ما تتوق اليـه النفوس وتشتهيه الارواح فتوارد عليها كل من جمعهم النادى واكلوا هنيئاً وشربوا ما حلى وطاب مريئاً وتنقلوا بين اكل وشرب وتفكه وتحلية يترددون كلما تاقت النفوس ويطلبون ما يشتهون فيجدونه حاضراً بين ايديهـم باسرع من لمح الطرف وامضى من حركة الافكار فى المعقولات وكل من فرغت حاجته منهم خرج الى الرياضة فى الحديقة وفى الطرقات بين القاعات وفى مواطن الاستراحات وكلها كانت بهجة الناظر وقرة الخاطر مصطفة فى جوانبها الزهور والانوار على احسن ما يمكن من بديع الاتقان ولن يزال الناس كذلك فى مرح وفرح ومسرة وابتهاج يتباهون بعنيم كرم الجناب الرفيع ويتفاخرون فى كيفية الثناء على جنابه الكريم ويرفعون لمقامه المنيف جلائل الشكر والامتنان حتى مضى بعد نصف الليل ساعتان فاخذوا فى الانصراف

(٤٥) وجاء فى جريدة الاهرام الصادرة فى ١٢٥ اكتوبر سنة ١٨٩٧ هذا الفصل :

﴿ قعود البنات ﴾

هذا بحث جديد لم يخض الشرق فى عبابه بعد نزفّه الى ابناء الشرق عامة لما نجد فيه من الفائدة ونحن نتوقع له الرضا العام لاعتقادنا بانه من اهم الابحاث واخلقها بالتدوين ولثقتنا بان الرأى الشرقى سيأنس به ولو بعد حين

فتنجلي الغياهب عن الحقيقة ويعم الجدال فيه فنتوصل الى استئصال شأفة داء قد تمكن منا اذ الحقيقة بنت البحث فنقول :

ليس ما يستحق ان يشغل الخواطر ويحمل على الاشفاق ويدعو الى اشتغال الكتّاب اكثر من شأن تلك البنت التي يمر بها سن الزواج فتجلس في منزلها تنظر الى ماضي ايامها ولا شاغل لها غير حديث النفس ومعاتبة القضاء . ومن العجيب اننا لا نجد من يهتم بشأنها ولا نرى شاعرا يذكرها ولا قصاصاً يحتفل بها ولا مرسحا يمثل عنها بل ان اكثر ذكرهم انما يكون للمتزوجات او للآنسات القادمات على الزواج ولعل ذلك لانه لا يعترض حياتها الساكنة على مقتضى الظاهر ما يدعو الى مثل هذا الاهتمام حتى انه اذا استأثرت بها رحمة الله فلا نجد بين خلقه من يذرف عليها دمعة حزن او يودع تلك الزهرة الذابلة بنظرة اشفاق

اما تلك التي قدر الله عليها ان لا تجري على سنن الله وقضى عليها ان لا تشترك في الزوجية كسائر اخواتها في الجنسية فهي لا تزال بعد ان يمضي عليها عصر الشبيبة منغصة العيش لا يروق لها النظر الى هناء الناس ولا يطيب لديها الا الرجوع الى سابق ايامها والاسف على شبابها الزائل

ولسنا نرى في المجتمع الانساني اشد منها نكدا ولا اتعس حالا فان تجملها بالفضيلة وتحليها بشعائر الرفق والحنان وممارستها للايام كل ذلك لا يشفع عند الاكثرين بذهاب نضارة وجهها وانقضاء دولة محاسنها هذا اذا وُقيت العثار في زمن شبابها والا فان وصمة ذلك العثار لا تزال ملازمة لها طول العمر حتى تدرج معها في القبر

واننا نراها ناحلة الجسم ساهية الطرف شاحبة اللون اذا مدت يدها

للسلام نجدها باردة كأنما لايجول فيها دم الحياة وربما اضطربت واختلجت فلا تجد مخرجا مما هي فيه وذلك لما يخلق فيها القنوط من الضعة فلاتحسب نفسها من اعضاء ذلك المجتمع وتظن ان لا حق لها بالدخول فيه

وان بعض أولئك البنات ينظرن الى ظل الشباب وقد تقلص وزهرة الرجاء وقد ذبلت وان لا بد لهن من بعض الهناء فى هذا الوجود ولاهناء لهن بعد اضمحلال الشباب وفوت الامل فيعملن على السعى وراء هناء الناس فاذا لم يتيسر لهن السعادة فهن يهنأن بسعادة الآخرين غير ان ذلك لا يعبأبه لندوره بينهن ولسعيهن وراء ذلك الهناء من طريق الاضطرار فهن ينظرن اليه بالعين ولا يشعرن به فى القلب

وقد يتولد فيهن بعد ذلك اليأس مبدأ التسليم للقضاء فى كل امر فاذا رأين مثلا حاجة قد وضعت فى غير موضعها او وقفن على عثرة لاحد فلا يخطئن واضع تلك الحاجة ولا يندفعن باللوم على ذلك العاثر بل ينسبن هذا الخلل وتلك العثرة الى ارادة القضاء ذلك لانهن يقسن كل امر عليهن واذ كنّ يعتقدن ان لا ذنب لهن فى قعودهن فهن لا يخطئن احدا فى ذنب اتاه ويكتفين بالقول ان ذلك العاثر ما خلق ليكون سعيدا

ثم انه يعترى هن ذهول لطيف ينتج عما سبق لهنّ من الاحلام الكاذبة والآمال الخائبة فهن قد خطون فى هذا الوجود خطوات ملؤها الرغبة والنشاط والامل والمطامع فخابت كل مساعيهن ولذلك فانهن يبدأن بذكر تلك الايام الزائلة فلا ينقطعن عن تكراره فى كل يوم الى ان يخيم على تلك الذكرى ضباب الملل ويرين ان صدى ذلك الصوت الحنون وهو صوت الامل قد انقطع فينتهين الى اليأس فالخمول ولا يطيب لهن غير الوحدة

والانقطاع عن الناس وما اشده ما يكون شقاؤهن عند ما تبتدئ آثار التجعيد تظهر فى تلك الوجنات التى كانت تجرحها خطرات النسيم ويروق حياة الشباب وقد ماتت فى تلك العيون التى كانت تحيى وتميت فيطرقن الرؤوس قانطات وهنّ ينظرن الى المستقبل فلا يجدن غير الفراغ والخلاء . ثم تأتى عليهن تلك الساعة الهائلة وهى بلوغهن الى الخامسة والثلاثين من العمر فترتجف ايديهن كانها تبحث عن طفل تضمه ولا تجده وينصرف حنان قلوبهن عن الانسان الى حيوان يلاعبه وطير يأنس به وتشتد فيهن الكآبة فربما افضت بهن الى الجنون أو الى الموت او انهن يصبحن كالاطفال فيعجبن لكل امر ويندهلن لكل ما يبدو لهن وان لم يكن على شىء مما يوجب الغرابة فلا يتميزن فى شىء عن الاحداث

وانا لا نجد ما يحمل على الشفقة مثل تلك الفتاة التى قد ظلمتها الهيئة الاجتماعية فوق ما ظلمها القضاء فان الرجل العزب قد يبلغ سن الهرم ولا يزال محترماً . واما الفتاة العزبة فلا تلبث ان تخطو سن الزواج حتى يعرض عنها كل انسان وتسمج فى كل عين ولا عجب بعد ذلك اذا رأينا النساء ولا سيما الآنسات يحرصن على تقميص الاعمار وحبذا لو وقف ظلمهن عند هذا الحد فان الفتاة اذا اضطرت الى الارتزاق من عمل يديها فهى لا تكافأ عن عملها بنصف ما يكافأ به الرجل ولو تساويا فى العمل فاذا اضفت الى ذلك ما تقيدها به الهيئة من العوائد والمصطلحات التى تغل يد حريتها وجدت انها من انعس البشر حالا . هذا ما تقلناه ملخصا عن احدى الجرائد الشهيرة . نقول ان من اهم واجبات الآباء ان يجدوا اكفاء لبناتهن واذا لم يجدن لهن اكفاء فان قرين السوء خير لهن من القعود

(٤٦) وجاء فى جريدة المقطم الصادرة فى ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٧ من انشاء الفاضل نجيب افندى الحاويش هذا الفصل :

﴿ القلم فى الشرق ﴾

حضرات الافاضل اصحاب المقطم

غير خاف على كل ذى عقل صريح ان العلم والكتابة من لوازم التمدن وان نوع الانسان لما كان مدنياً بالطبع وكان محتاجا الى اعلام ما فى ضميره الى غيره اتخذ له طرائق شتى لايصال مسائل العلوم ومبادىء المعارف وما انتحله من المذاهب تارة علما وتعليما وتارة محاكاة وتلقينا الى تكميل نفسه البشرية والتكميل لا يتم الا بالعلم بحقائق الاشياء . ولم نجد لهذا العهد الذى ادركناه واسطة او ذريعة لنقل كافة العلوم وسائر الفنون باسرع ما يمكن من الوقت للاطلاع عليها وتهذيب الاخلاق بها وتشويق النفوس الى الكمالات الانسانية وتحريكها الى حسن الاقتداء والاقتفاء بامرار النظر الى آثار الاقدمين والمحدثين الا الجرائد . والناظر فى موضوعى لاول عارض يظن انى اريد الافاضة فى هذا المجال وانما همى المقصود من هذا المقال البحث فى امر المعارف والتحقيق فى شأن الكتابة والتصنيف وما آل اليه القلم بين ظهرانينا نحن معاشر الشرقيين الامر الذى ساعف عليه بخل الاغنياء وتقتير الموسرين وتقاعدهم عن شد ازر حملة العلم والمؤلفين وتراجعهم عن تنشيط أولئك الذين قد خلوا واستراحوا من حيث تعب هؤلاء الكرام فى جمع الدنيا وحشد الاموال . ولما رأيت هذا العرق من البخل والحرص نابضاً على أولئك قلت مع القائلين اليوم ان القلم لا يزال فى الشرق ميتا

والعلم لا يتعدى نفرا قليلا ولا يكاد يدرك له الا اثر ضئيل او رسم محيل تلقاه ذووه كدّا واجتهاداً وتعلموه تأدبا لا تكسباً وعليه يحق لرجال العلم وحملة الاقلام فى الشرق ان يقيموا مأتم العلم ويعقدوا مناحة الفضل كما فعل علماء ما وراء النهر لما بلغهم ان العلم والحكمة قد توافى اليهما الاخساء وارباب الكسل وقالوا كان يشتغل بهما ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء وينتفع بهم وبعلمهم ومن ههنا هجرت الفنون وعلوم الحكمة وان كانت شريفة لذاتها . ونحن اليوم قد غدونا ندب الحالة التى امسى فيها العلم ساقط المنزلة منحط الرتبة لقلة اعتناء القائمين بامره واصبح القلم حملا على صاحبه وعبئاً على ناقله ولكساد سوقه وموت المطالعين واقبالهم على جمع الحطام وكسب الدينار وتفرغهم لبهارج هـذا التمدن الجديد واشتغال السواد الكبير من اهل البلاد بلغات الغرباء ولهذا السبب الظاهر ضن الاغنياء بفضلات مالهم على فقراء الشعب وتعساء القلم . وقد دخل هؤلاء تحت قول المعرى :

أولو الفضل فى اوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء
فما سبئوا الراح الكميت للذة ولا كان منهم للخراد سباء

غير ان الانظار لا تقف عنـد حد ومطامع النفوس لا تنتهى الى غاية فقد تزيا به اليوم رهط من المقلدين واتجر به قوم من المقصرين فابتذلوا محاسنه وصوحوا زهرته وقد عرفت جملة من اكابر الكتاب وفحولة المحصلين القائلين قد جاء اليوم الذى يحق لنا فيـه ان نقبع فى زوايا الخمول ونتستر بمسوح الاسى والانقباض ونهجر المحابر والاقلام لانه قد تطاول اليها واستلم اعنتها قوم هم احوج من صبيان المكاتب الى التعليم فقاتل الله القلم

الذى يمشى فى ايدى الجهال الاغمار ولا يعلم انه يمشى تحت الضعفة الاغرار

وغير منكر ان الامة الخارجة من الظلمة الى النور تكون اشبه بجواد مرتبط فى مكان داج اذا حلت لجامه وواجهته بالنور بغتة عشا بصره وانبهرت عينه واصبح جريه ضربا من العقال . واذا سئلنا لماذا نحن فى تأخر وانحطاط وبلادنا اشبه شىء بنا اجبنا مع العارفين ان الشرقيين لا يزالون بالنسبة الى غيرهم من الامم والقبائل اطفالا رضعاً يقتضى لهم التدرب والتعلم المقرون بالتربية الصحيحة والتهذيب الخالص ليدرجوا ويشبوا على الشغف بالعلوم والكلف بالصنائع والفنون التى تعود على الامة بالاصلاح والعمارية

(وقد سطا على المشارقة داء عقام اشبه شىء بالبرسام او اذا شئت قل السرسام ونعنى به داء الحاسدة والمباغضة فان المرء اذا رأى اخاه بالغا حدا قصر هو عنه اعمل الفكر وسهر الليل ليوقعه فى اشراك الويل والخسران وصار الكاتب اذا اطلق العنان لقلمه موضوعا للتهكم والسخرية لان الناس اصبحوا اليوم كلهم ساسة ولهذا ترى العلماء والخطباء قد هجروا طريقة الفرنجة فى الكتابة والتعليم وضنوا بافكارهم ونفثات اقلامهم لئلا يصبحوا مضغة فى افواه المتشدقين ولماظة بين شفاه المدعين وخرجوا من قول القائل :

وأسوأ ايام التقى يوم لا يرى لهُ احداً يزرى عليه وينكرُ

وقد رأيت طائفة من اولئك الذين يعتقدون فى انفسهم التميز عن الاتراب والنظر بمزيد الفطنة والذكاء قد شرعوا يكتبون من غير نظر وتحصيل بل بتقليد صادر عن التعثر باذيال التشبه الصارفة عن صوب الصواب

والانخداعات المزخرفة المتلألئة كالسراب وكل مصدر هذا الاغترار حبُّ الظهور بمظهر التحذلق والتردى ببعض القشور التى التقطوها والزخارف التى لبسوها ليظهروا التكاليس ببضاعة مزجاة حتى اذا وضعت تحت مجهر النظر والفحص وجدت مغشوشة مزجاة . قلت وما حملنى على الانصباب فى هذا المضمار وركوب مثل هذا المركب الخشن وخصوصاً فى جريدة سيارة كالمقطم الاَّ هوى الذود عن عصابة اعنيها بهذه الصبابة كاشفاً القناع عن وجه الحقيقة التى اصبحت اليوم فى الشرق كأنها فى دار غربة لا يصاحبها الا اهلها وما ذلك الاَّ لاختلاط الاحوال وتبدل الاشكال وانبراء الكافة لانشاء صحف السياسة ونبذهم مبادىء العلوم والفنون الآيلة الى رفع منار الأوطان الواقعة تحت مخالب الافرنج والطارئين من كل حدب . نعم لقد كثر المتشبهون واختلفت احوالهم وتستر بزيهم المتسترون وفسدت الاعمال وكسدت سوق كل حال ولم يعد يعرف الفاضل من المفضول . ومن اعجب الاشياء انى لا ارى الا طامعاً فى هذا الفن مدعياً لهُ على خلوه عن تحصيل آلاته واسبابه وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهى اليه سقم السقيم

وقد يندرج فى مطاوى هذا الموضوع الجليل مواد جوهرية وانظار دقيقة منها اسباب ذيوع مثل هذه الجرائد المعروفة عند قراء المقطَّم بقلة جدواها وخفة بضاعة اهلها لانها لم تنشر الا لغرض الكسب وحشو المعد والطعن على العلماء وارباب الفضل . وبالله ماذا يرجى من جرائد ليس فى ادمغة اصحابها شعاعة من النور والعلم . اسفى على كل من يستهلك زمانه فى سفاسف لا طائل تحتها . هكذا يكون شأن البلاد التى لم يثبت قدم اهلها فى المعارف الصحيحة والمبادئ الحقة لان الجرائد ولا مراء من الصناعات

الشريفة المقصودة لتهذيب الافكار وتدريب الاخلاق قبل المنفعة الخاصة والتي هي على هذا المبدإ القديم اشهر من ان تعرف . حقاً ان هذه العناية الشريفة قد رذلت اليوم حتى صار اكثر الذين يتعاطونها جهلاء يروجون بها اكاذيبهم

والسبب الثاني الذي هو أس تأخر اهل الشرق فقدان المبدإ الصحيح من الصدور وهو دعامة النجاح في المغرب اما الذين ضحوا الحياة لاجل مبدإهم من الشرقيين فقليل ما هم ولم تلق منهم احداً يوماً الا توجع لك مما اصاب الاوطان من الذل والصغار لعدم وجود العدد الكافي من الرجال للقيام بالدفاع عن الشرق وآله ويقيني انه لا يمضي ردح من الحين الا وتهب الليوث من غاباتها لان الشرق كما اسلفنا في حاجة الى اهل القلم ولا حياة لأمة الا باعلامها وهداتها فهم مصابيح العلم واقمار العرفان (وعندي كلام كثير عما اصاب المشرق من تمدن اوربا وما آلت اليه هذه الحركة الفكرية ووجوب اقامة المجامع العلمية ودرس الفنون والصنائع والرحلة في طلبها من البلاد البعيدة وحالة التأليف ومصيره والحض على عدم الاعتماد على اهل الغنى واليسار في بلاد الشرق لان هؤلاء لا مأثرة منهم تؤمل ولا خير يرجى

وظالم عنده كنوز من ام دفر ومن لهاها
وعذرت حاجة بعسر على عليل قد اشتهاها

وربما بسطت ذلك في فرصة اخرى لتنشيط بني قومي وتشجيع رهطي على الاقدام والاندفاع في سبيل احياء مجد القلم واعادة رونقه الماضي وتجديد ذكر السلف حتى لا يقال يوماً ان العلوم قد دثرت عند

الشرقيين ومات القلم بموتهم الادبى والسياسى ورحم الله عبداً علم فعمل

(٤٧) وجاء فى جريدة المؤيد الصادرة فى ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣١٧ الهجرة يصف ليلة ماطرة ما نصه :

﴿ السيل الجارف ﴾

حدثنا اهالى القاهرة صباح اليوم ببعض ما نحدثهم عن ضواحيها من عصف الرياح وقصف الرعود وانهمال الامطار التى لا تعدها الا سيلا جارفا

قطنّا منذ بضعة ايام عزبة الزيتون تبعاً لاشارة الاطباء فيما هو اجود للأطفال من الهواء فلم تكد الساعة العاشرة تحين مساء حتى اختفى اديم السماء واسودّ وجه الافق وأنذرت بروقه بالرعود ورعوده بالهجوم فلم تلك الا هنيهة حتى هراق السحاب ما فى سقائه من فوق لا السراب كاذب رآه ولكن لان السيل سيأتى بعد قليل من أعالى الجبال جارفاً تيارة الشديد كل ما يجده أمامه .

ولا حاجة لأن نطيل على القارئ الشرح ولكن فى قصة ماشاهدنا من المزعجات وما كابدنا من شدائد النازلة مثال صغير يشرح الحادث الكبير .

فليمثل القارئ بيتاً صغيراً فى زاوية حديقة كبيرة مساحتها ثلاثة أفدنة مسورة من جميع جوانبها باحكام . ذلك هو المنزل الذى كنا نقطنه فى تلك الحديقة الرحبة قد اعتنى بها صاحبها من ذوات العاصمة اعتناء مثله بمثلها

فلما جادت السحب بوبلها الغزير استيقظنا من النوم على دوى الرعد القاصف وبريق البرق الخاطف وخرير الماء ينزل على السقف نحو ساعة من الزمان حتى تأثر السقف ونزلت منه قطرات زادتنا قلقاً وخصوصاً على الاطفال

ولو اقتصر على هذا الحد لقال قراء العاصمة نحن كابدنا اشد من هذا العناء هولا ولكن الذى فوجئنا به بعد ذلك فأرانا الموت الوانا هو ان السيل انقض كانما هو النيل يفيض من أحد الشلالات الكبرى وصار صدى هديره يرسل لنا النذير وراء النذير ودوى سقوط المنازل واحداً بعد آخر يكاد يصعق منا القلوب فلم نجد بدا من أن نهجر مأوانا ونلجأ الى الحديقة لنعتصم بسياج من اشجارها ثم تحققنا عندئذ ان اندلاق السيل قد وصل الى جنوب الحديقة فجرف السور دفعة واحدة من الشرق الى الغرب وهو لايقل عن مائة متر وتدفق تيار السيل فى عرض الحديقة كلها حتى قطعها الى الشمال فى علو نحو متر ماء فما استتم خروجنا من محيط المنزل حتى امتلأ ماء واتلف كل شىء فيه. ثم لم يلبث ان سقط السور الشمالى على مثال سقوط الجنوبى وبقيت الدار بعد ذلك نحو ثلاث ساعات ثم تقوضت جدرانها الاربع فأما نحن فلم يعصمنا شجر ولم تحمنا ربوة فى الحديقة التى كانت كأنها فى هذه الحالة واد سحيق ولكن الهمنا الله ان نلجأ الى عجلة السانية فنعلو سطحها لانه آمن كل مكان فى الحديقة التى صارت لجة تضرب امواجها بين جنباتها . وهكذا قضينا المسافة بين الساعة الحادية عشرة والساعة السابعة صباحا اشد ما كان يؤلمنا ويؤذينا نزول الامطار علينا فى خلالها مدرارا وليس بين ايدينا غطاء ولا وطاء الا وقد اخذ اضعاف

حظه من الماء . ثم لم ينجنا من هول ما كنا فيه وسوء عقباه الا الربات التى جاءتنا باكرا لانقاذنا من هذه الكربة

وقد كنت احسب ان ما نابنا من هول هذه الليلة الدهياء اكثر مما ناب سوانا ولكنى تحققت فى الصباح ان اكثر سكان الجهة الشمالية من عزبة الزيتون قد كانت مصائبهم ادهى وامر اذ ليس لدى كل واحد منهم سافية تمكن من الالتجاء اليها لتخفف بعض ويلاته . وعلى هذا النمط ينبغى لاهالى القاهرة أن يرثوا لحالة سكان نحو ٣٠٠ منزل جرفها السيل بما فيها بين عزبة الزيتون والمطرية مما لم يسبق معه لحديث القاهرة فى هذه الحادثة شأن . لطف الله بعباده وجعل من ماء هذا الحادث الفجائى ريا لبعض شراق هذا العام آمين

(٤٨) وكتب صديقنا الفاضل حفنى بك ناصف الى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق وكان قد زاره يوم احتفال فى بيته فلم يقم بحفاوته

« كتابى الى السيد السند ولا اجشمه الجواب عنه فذلك ما لا أنتظره منه وانما أسأله ان ينشط الى قراءته وينزل الى مطالعته وله الرأى بعد ذلك أن يحاسب نفسه أو يزكيها ويحكم عليها أو لها

فقد تنفع الذكرى اذا كان هجرهم دلالا فاما ان ملالا فلا نفعا

زرت السيد ويعلم الله أن شوقى الى لقائه كحرصى على بقائه وكفى بشهوده كشفى بوجوده فقد بعد والله عهد هذا التلاق وطال أمد الفراق وتصرم الزمان وأنا من رؤيته فى حرمان فقيل لى انه خرج لتشييع زائر وهو عما قليل حاضر فانتظرت رجوعه وترقبت طلوعه ولم ازل اعد اللحظات واستطيل الاوقات حتى بزغت الانوار وارتج

صحن الدار وظهر الاستبشار على وجوه الزوار وجاء السيد فى مركبه وجلالة محتده ومنصبه فقمنا لاستقباله وهنيئنا بكماله فلم يتعرف وجوه القوم حتى حاذانى وكبر على عينيه ان ترانى فغادرنى ومن على يسارى وأخذ فى السلام على جارى وجرّ السلام الكلام وتكرر القعود والقيام وانا فى هذه الحال أوهم جارى أنى فى دارى وأظهر للناس أن شدة الالفة تسقط الكلفة ومر السيد بعد ذلك من أمامى ثلاث مرات ومن الغريب انه لم يستدرك ما فات وأغرب منه انه استخلص لنفسه من المجلس اربعة ودعاهم الى الحجرة فدخلوا معه فلم يبق الا القيام والامساك عن الكلام

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمو علىّ اذن حرام

وكنت اظن ان مكانتى عند السيد لا تنكر وان عهدى لديه لا يخفر فاذا أنا لست فى العير ولا فى النفير وغيرى عند السيد كثير وذهاب صاحب أو اكثر عليه يسير

ومن مدت العليا اليه يمينها فاكبر انسان لديه صغير

ولا أدعى أنى اوازى السيد صانه الله فى علوّ حسبه أو أدانيه فى علمه وأدبه او اقاربه فى مناصبه ورتبه أو أكاثره فى فضته وذهبه وانما اقول ينبغى للسيد ان يميز بين من يزوره لسماع الاغانى والاذكار وشهود الاوانى على مائدة الافطار وبين من يزوره للسلام وتأييد جامعة الاسلام وان يفرق بين من يتردد عليه استخلاصا للخلاص ومن يتردد اجابة لدعوة الاخلاص وان لا يشتبه عليه طلاّب الفوائد بطلاّب العوائد وقنّاص الشوارد بنقباء الموالد ورُوّاد الطُرَف بارباب الحِرَف

فما كل من لاقيت صاحب حاجة ولا كل من قابلت سائلك الرفدا

فان حسن عند السيد ان يغضى عن بعض الاجناس فلا يحسن ان يغضى عن جميع الناس والا فلما ذا يطوف على بعض الضيوف ويحييهم بصنوف من المعروف ويتخطى الرقاب لصرّوف ويخترق لاجله الصفوف فان زعم السيد انه اعلم بتصريف الاقلام فليس باقدم هجرة فى الاسلام وان رأى أنه اقدر منى على اطرائه فليس بمكن أن يتخذه من أوليائه

ولا أروم بحمد الله منزلة غيرى أحق بها منى اذا راما

وانما أصون نفسى عن المهانة والضعة ولا اعرضها للضيق وفى الدنيا سعة

واكرم نفسى انى ان اهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدى

فلا يصعّر السيد من خده فقد رضيت بما ألزمنى من بعده ولا يغض من عينه فهذا فراق بينى وبينه وليتخذنى صاحبا من بعيد ولا يكلمنى الى يوم الوعيد

كلانا غنى عن اخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

ومنى على السيد السلام على الدوام ومبارك اذا لبس جديدا وكل عام وهو بخير اذا استقبل عيدا ومرحى اذا اصاب وشيعته السلامة اذا غاب وقدوماً مباركا اذا آب وبالرفاء والبنين اذا أعرس وبالطالع المسعود اذا أنجب ورحمه الله اذا عطس ونوم العافية اذا نعس وصحح نومه اذا استيقظ وهنيئاً اذا شرب وما شاء الله كان اذا ركب ونعم صباحه اذا انفجر الفجر وسعد مساؤه اذا اذّن العصر وبخ بخ اذا ثر ولا فُضّ فوه اذا شعر واجاد وافاد اذا خطب واطرب واغرب اذا كتب واذا حج البيت فحجا مبرورا واذا شيع جنازتى فسعياً مشكورا

(٤٩) وكتب الفاضل الشيخ ابراهيم اليازجي

واما في كتابك العزيز والنفس نازعة الى ما يزيل نفارها والقريحة تائقة الى ما يشحذ غرارها فكان روضة باسمة الكمائم فائحة النسائم قد ردت على النفس انبساطها وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها فانا منه مابين وشي يخجل طراز العبقرية وزخرف دونه نضرة السابرية تناجيني منه رشاقة الفاظ تفضح قدود الحسان وغضاضة انفاس يغار منها ورد الجنان ورقة خطاب يشف عن ودّ صفيّ ولطف حفي وكرم وفي وعتب اعذب من الماء القراح وارق من نسمات الصبا في الصباح حتى لقد حبّب اليّ تقصيري وشفع عند نفسي في قبول معاذيري على أن ماعندي من الولاء لايعتريه معاذ الله وهن ولايخلقه تمادي زمن او تراخي وطن ولكن صروف الاحداث قد قصرت الجهد وصرفت جواد العزيمة عن القصد والله يعلم اني لو نزلت على حكم نوازل الدهر ولم ادافع طلائعها بما بقي من سافة الصبر لما كان في همتي الا كسر اليراع وهجر المحابر والرقاع وحسبي من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف وما الفته من كرمك المعروف والله أسأل ان يبقيك لي من الدهر نصيبا ويمتعني بلقائك قريبا بمنه وكرمه

(٥٠) وكتب الفاضل مصطفى بك نجيب :

﴿ الفونوغراف ﴾

مثال القوة الناطقة . من غير ارادة سابقة . يقتطف الألفاظ اقتطافا ويختطف الصوت اختطافا . مطبعة الاصوات . ومرآة الكلمات . ينقل

الكلام من ناحية الى ناحية . نقل كلام عمر رضى الله عنه الى سارية . اشد من الصدى فى فعله . فى اعادة الصوت على أصله . كأنه الحرف عن يد الطابع . والوتر عن يد الضارب والقصب عن فم القاصب . يحفظ الكلام ولا يبيده . ومتى استعدته منه يعيده . من غير ان يبقى لفظاً فى صدره . او يكتم شيئاً من امره . كانما حفظ الوديعة . فى نفسه طبيعة . فلو تقدم له الوجود فى مرتبة الزمن لما احتجنا فى الاخبار الى عنعنة . ولا فى الدعاوى الى بينة . بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح فى المهد . وصوت عازر من اللحد . وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم . وانشدوه كلمتهم . فرأينا به غرائب اليونان وبدائع الرومان . وربما سمعنا خطب سحبان . وشعر سيدنا حسان . بذلك اللسان . واصبح وجود الانسان . غير محدود بزمن من الازمان . لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم ويستخلصه فى لحظة . معيداً لقوله ناقلاً صوته ولفظه .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

نديم ليس فيه هفوة النديم . وسمير لاينسب اليه تقصير . تسكته وتستعيده . وتذمه وتستجيده . وتنقصه وتستزيده . وهو فى كل هذه الاحوال . راض بما يقال . لا يكل من تحديث . ولا يمل من حديث . نمّام كما نم لك نم عليك . وينقل لغيرك كما ينقل اليك . فهو المصور لكل فن . المتكلم بكل لغة . المحدث عن كل انسان . المؤرخ لكل زمان . الشاعر . الناثر . المغنى العازف لاتعجزه العبارة . ولا يجهده الأداء . ولا يضره اختلاف شكل . ولا تباين اصل . بل تعدت شدة حفظه البشرية من اللغات الى حفظ اصوات العجماوات . الى حركة اصطكاك الجمادات

فيا لله من ايهما نعجب . ولايهما نطرب . أمن الفونوغراف وقد نقل صوتنا كما نطقنا . أم من شقيقه الفوتوغراف اذ ينقل صورتنا كما خلقنا فنرى من فى اقصى اقطار الارض ويرانا وكلانا عن مكانه لم يتحول . ويسمعنا حديثه المعنعن ونسمعه حديثنا المسلسل .

(٥١) وكتب صديقنا الفاضل حسن افندى توفيق لبعض اصحابه وقد لامه على عدم مكاتبته :

عذلت ايها الصديق ولات حين عذل . حيث املت ان اكون لك كما انت لى . وانا ذلك الحدن الذى ملئت جوانحه شوقا . وحشيت احشاؤه صدقا . أغرك إرجاء المكاتبة . ام أغراك صمت الاقلام والقلوب كالسبيكة اذا أصدأها السكون فهى خالصة الباطن . أو كجمرة الزند تتأجج وهى مغبرة الظاهر . بل تحكم لديك الشك فحكمت . وكان عهدى بك اليقين ومع هذا فانى لأشكرك على عذلك . وأحمدك على فضلك . فلا لوم الا بين اصدقاء . ولا عتاب الا بين اودّاء . وما اختيارى بهذا ان اقرع عصاك . بل ان اجعل شكك يقيناً فى صديق رؤيتك أشهى آماله . ولقاؤك أعظم امنياته والسلام

(٥٢) وكتب الفاضل مصطفى افندى الدمياطى

﴿ الأناة ﴾

ليس فى الأناة مظنة العجز ولو ادنت من الفوت وانما العجز فى العجلة التى تعقبها الندامة فما اضيع الفرصة اذا انتهزها المرء بلا روية

ولم لا يكون الانسان طويل الاناة بعيدا عن التسرع . الغاية فرس

جموح لا تراض بغير الحزم والتأنى وما مثل الانسان عجولا الا كمن امتطى جوادا لا يقوى على رياضته لان يده غير قادرة على ضبطه فتراه عاجزاً عن ايقافه عند الحاجة كذلك المتعجل تراه مدفوعاً برغبات لم يرضها فهى تعدو به ولكن الى هوة عمق قرارها اذا سقط فيها فلن ينهض منها فعلام يتعجل المريد بل لماذا يغفل الروية فى الامر

نار الروية نار جد منضجة ... وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها ... لكنه عاجل يمضى مع الريح

أيريد ان يقطع ولا سكين او ان يحصد فى ابان البذر او ان يأكل من الفواكه وهى نيئة او يدخل الدار قبل ان يؤذن له او يكسر الباب قبل ان يفتح عليه او ان يعمل بغير الحكمة

اذا عزمت على امر تحاوله ... فاسلك من الحزم فى تطلابه طرقا

ان الاناة لطرف ان ونيت ونى ... عن اللحاق وان اجهدته سبقا

(٥٣) وكتب الفاضل أحمد بك زكي رسالته الثالثة من كتابه السفر الى المؤتمر فى وصف رومية المدائن فقال :

يا للعجب يا للعجب كأنى نسيت الكتابة بلغة العرب أو كأن مقامى بهذا البلد اضاع اللب وأذهب الرشد فكيف العمل فكيف العمل وانا كلما حاولت التحرير او اخذت فى التحبير استعصى القلم وحرن جواد التفكير وانهالت على المطالب انهيالا لا يجعلنى اعرف بم يجب الاستهلال ومتى يكون الختام وكيف التخلص الى تلخيص شىء من المذكرات الجمة والمفكرات اللطيفة التى اقتطفتها او جمعتها على هذه المدينة المختالة فى حلل البهاء والجمال المجللة بما اودع فيها من آثار العظمة

ومشاهد الجلال ففيها العبائر الفاخرة الفائقة والقصور الواسعة الشاهقة والمزارات المتعددة المتنوعة والبقايا الكثيرة مما خلفه فيها القياصرة والامبراطرة والقناصل والامراء والاشراف والكبراء والسادات والبابوات فانها من يوم نشأتها الى الآن مازالت عاصمة السياسة والحل والعقد وكعبة الديانة الوثنية ثم النصرانية وكل من يتولى الامر فيها سعى بما فى وسعه لتوسيع نطاقها وبذل جهده فى زخرفتها بما يوجب له الفخار ويستبقى ذكره على ممر الايام فلذلك ترى شوارعها فسيحة وميادينها أنيقة وفى كل ساحة فسقية يتدفق الماء منها وفيها باشكال معجبة واصوات مطربة وقد نصبوا فيها كثيراً من المسلات التى استجلبوها من بلادنا مع أن عاصمتنا القاهرة خلو منها بالمرة (والذى بقى عندنا من المسلات مازال فى موضعه يندب التمدن الذى كان حوله ويتحسر على عدم العناية به مثل امثاله فى اوربا وامريكا) وللبانى فى رومية منظر رائق بهيج بألوان زاهية براقة تعجب النظار وعلى جميع جدرانها وابوابها ونوافذها ومطلاتها وشرافاتها وأفاريزها ترى التماثيل من النقوش البارزة والتصاوير المختلفة والرسوم المتعددة كأن كل واحد من اهاليها اراد ان يستوقف السائحين والجائلين والرائحين والجائين بل هذا غرام قام بهم وشغف لازمهم فلا مندوحة لهم عنه لانك ترى حتى الجزار يزوق حانوته باغصان الاشجار ويعرض اللحم على الانظار مقطعا قطعا ملتفا اعلاها بقراطيس من الورق الابيض تنضم ثنياته الى بعضها فتجمعها زهرة من الزهر المختلف الالوان ومثله بائع الخضر فى حسن الترتيب وجمال العرض ولا ينقص عنهما غيرهما فكل واحد يتفنن فيما يلزم الخلائق بالاقبال عليه

وقد اغتنمنا فرصة مقامنا بهذا البلد لزيارة ما به من الكنائس التى يضرب بها المثل فى الضخامة والفخامة والمتانة والتناهى فى الابداع واللاتناهى فى الاغراب والتشييد الهائل والزخرفة التى تلهى ولا شك المتعبدين والمتعبدات وتشغل المتنسكين والمتنسكات بالنظر اليها وان العقل ليحار فى كيفية تشييدها ويذعن باقتدار ذلك الذى صورها بالقلم على القرطاس ثم ابرزها مجسمة على سطح البسيطة حاوية كمال التناسق وتمام التناسب واحكام الصنع واتقان الوضع فى كل نوع من جدرانها وعمدانها وسواريها الى عقودها الى سقوفها الى قبابها حتى أنه لم يترك مقالاً لقائل ولم يدع مجالا لاستعمال ليت ولو وفوق ذلك فان للقوم بحفظها عناية لا بعدها ولا قبلها ففى كل كنيسة منها سلالم للتعمير والترميم والتجبير والتتميم ومع كثرة الكنائس والبيع بها (فانها تكاد تناهز نصف الالف) رأينا القوم مشتغلين بتشييد غيرها وأنت تعلم ما حاق فى هذا الزمان بالحكومة البابوية والسلطة الدينية من الضعف والاضمحلال فى بلاد اوروبا على العموم وايطاليا على الخصوص

هذا وقد زرنا معرض الصور والرسوم ومصنع الفصوص والفسيفساء فى قصر (الفاتيكان) ورأينا بها من العجائب والغرائب التى يقصر عن تفصيلها هذا الاجمال ثم شاهدنا ما بالمدينة من آثار القدماء والمتاحف والمعارض والقصر الملوكى والاطلال القديمة والسراديب المنقورة فى قلب الجبل حيث كان النصارى فى مبدأ أمرهم يلجؤن اليها ايام الاضطهاد ويتقون بالاختفاء فيها شر عُباد الاوثان

وقد رأينا فى كل ساحاتها وباحاتها وميادينها وبساتينها وفى كافة الارجاء

من منازهها وشوارعها تماثيل كبارهم وعظمائهم الذين قاموا بخدمة الوطن وترقية شأن البلاد وتعزيز مقام الامة بحيث ان ذكرهم لا يمكن ان يمحوه الزمان وبذلك عرف الاهلون عالمهم وجاهلهم كبيرهم وحقيرهم مقدار الاجر العظيم الذى يصيبه من ينفع الوطن من اى وجه كان وبأى عمل كان ووقف السكان عموماً على تواريخ اولئك الذين استفادت منهم البلاد فائدة حسية أو معنوية قليلة اوجليلة واتخذوهم نموذجا لتهذيب الابناء الناشئين وتربيتهم على السير فى جادتهم ومحاكاتهم فى خدمة الاوطان

وهنا ينبغى لى ان اقف قليلا كاسف البال متحسرا على اهمال اهل بلادنا هذا الامر الذى هو أفضل الاعمال واجل ماتشد لاجله الرحال فان الذى يعلم انه اذا خدم وطنه عرف قومه قدره واجلّوا ذكره وشادوا له الآثار والمبانى التى تضمن له عمرا غير العمر الفانى وتستديم حياته الى كل جيل لا شك انه يضحى النفس والنفيس ويواظب على السعى والعمل لنيل هذا الشرف الذى ليس بعده شرف . ألا ترى أن الكثير من علمائنا وفضلائنا قدانقرض ذكرهم بمجرد دخولهم فى رمسهم اللهم الا ان يكون لهم كتاب متداول مشهور (وهم الاقلون) وهل يصح لى ان أعرّف بنى وطنى الكرام بأن السعى فى تخليد ذكر الامجاد الامائل الذين يخدمون الوطن هو اكبر باعث ينهض بالنفوس ويحرك العزائم ويحد القرائح ويوجب الاقدام على العظائم فتغتنم الامة والوطن اجل المغانم ويربحان باجتهاد افرادها وسعى ابنائها من غير ان يكونا على الدوام فى حاجة الى الاجنبى والدخيل لا نسير الا بشكاة نورها ولا نهتدى الا بهدايتهما وارشادهما أما آن لنا ان نفطن الى هذه الحقائق وندرك ما وراءها من المنافع فنطرح الحسد من نفوسنا

ونسعى جميعا فى وجهة واحدة لصالح الوطن العزيز كل بقدر ما عنده ونعضد بعضنا لنكون كالبنيان المرصوص فلعل اهل بلادنا تهزهم الاريحية المصرية وتثور فيهم النخوة الوطنية والحمية الاهلية فيتشبهون بامم اوروبا لنوال الفلاح والنجاح

أواه : تحدثنى نفسى عند كتابة هذه السطور بأن الكثير من القرّاء لا بد أن يستخف بهذا المقال ولكنى أنادى من له حياة او كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد فتلك لعمرك عواطف وطنية . واحساسات قومية وددت لو يشعر بها اهلى كما تملكتنى حينما رأيت الخاصة والعامة فى هذه المدينة واقفين تمام الوقوف على جميع ماجريات أولئك العظماء الذين اقيمت لهم التماثيل والانصاب وتزينت بصورهم قصور الملوك وقاعات الدواوين حتى كان ذلك باعثاً للامة الطليانية على مباراة الامم العظيمة ففتحت المعامل الكبيرة وألفت الشركات الجليلة وأقدمت على مهامّ الاعمال فحفظت ثروة البلاد فى البلاد وروجت الصنائع الوطنية فاكتسبت ايما اكتساب نعم لا ننكر ان الدولة الطليانية واقعة الآن فى ازمة مالية وقد برك فيها جمل الفقر ولكن لها عذر واضح من حيث انها فى وقت قصير أنشأت موانى حربية بحرية وأنجزت كثيرا من الاعمال العظيمة ذات المنفعة العمومية كى تضاهى الدول الكبيرة والامم المثريه فكانت كالزارع ينفق كل ما عنده ثم ينتظر الغلة والربح وقد بدأت تجنى ثمار ما غرست وأخذ الخير يدر عليها وأظن أنه لا يمضى عليها نحو النصف مائة حتى تنفض ما عليها من غبار الفاقة وتفيق مما حاق بها من الارتباك والاعسار

وكأنى بك أيها القارىء قد ملت من هذا الاستطراد وتود منى بدل

ذلك أن اكاشفك بما رأيته فى هـذه البـلاد من الامور العرضية الثانوية التى قد يكون وراءها فائدة معجلة جزئية يمكن ادخالها فى بلادنا مثل العربات والسكة الحديدية والبريد والتلغراف والبواخر والشرطة (البوليس) وما اشبه ذلك من التنظيمات من انهم يضعون أسماء الشوارع على رقع مربعة من الرخام كى لا يتطرق اليها البلاء بسرعة كما حصل عندنا فى الاخشاب التى وضعتها نظارة الاشغال فى القاهرة بصاريف باهظة ولكنى أقول لك أن الحر شديد جدا وانى أقاسى منه اكثر منك من عهد مبارحتى للاسكندرية الى هذا اليوم حتى كأنى ذهبت الى اسوان او السودان فأعفنى من ذلك الآن عافاك الله واعتقد ان الحر فى هـذا العام باوروبا اشد منه فى كل عام بل لم يعهد القوم له مثيلا قبل الآن ولقد كنت استغرب ذلك فى ارض أوروبا حتى قرأت فى جريدة التريبونا الصادرة فى يوم الاثنين ٢٢ اغسطس تلغرافا من باريس ينبئها بأن اشتداد الحر فوق العاده قد أتلف صحة الجنود وهم يتمرنون فى جملة جهات وآخر من وبانة يقول ان القيظ مستمر فيها وأنه وردت عليها الاخبار من جملة مدائن أن الحر سبّب وفيات كثيرة وأن سبعة من العساكر زهقت أرواحهم من اشتداد الحر بينما كانوا فى مرانتهم وأن الفلاحين قد اضطروا لترك اعمالهم وأن الفاكهة قد اصابتها اضرار بليغة فكيف لا تشفق علىّ مع ذلك كله وقد كنت ايضاً بالامس (يوم الاحد) اتريض فى رومة ورأيت في منازهها من رأيت وما رأيت وحسبك منى هذه الاشارة . . . . . .

(٥٤) وعرّب هذا الفاضل فصـلاً حكمياً نشرته احدى المجلات الفرنسوية وكان له وقع عظيم فى نفوس قرائها فأبدع فى انشاء ما عرب حتى فاق المعرب اصله

اسلوباً وأخذاً بالقلوب وباليت المعربين يخون هذا المنحى فى معرباتهم وها هو الفصل بنصه الفائق :

بين المجانين

أسرتى أثيلة فى المجد ، كثيرة فى العدد ، مشهورة بالنعمة والثراء ، ولها من الجاه مكانة علياء . ولى أخوة تحسدهم البدور والاغصان ، لما امتازوا به من الرشاقة والجمال . واما أخواتى فقد خلقهنّ الله فتنة لذوى الالباب ، يسحرن العقول ، ويفتكن بالارواح .... ولا جناح . فلما ذا يارب ، افردتنى بالدمامة والبشاعة ، والسماجة والشناعة ، بين افراد هذه الاسرة ، الباهية الباهرة ، الزاهية الزاهرة ؟ كأنّنى عنوان الاختلال والاعتلال ، فى نظام الاكوان ، او مجمع اسباب النفور والاشمئزاز ؛ بل لعنة الرحمن ، مجسمة فى جسد انسان .

لا أرى أمامى ، وجهة واحدة أجعلها كعبة آمالى . ويعلم الله ان فؤادى ينطوى على عواطف الحب الشديد ، والولاء الصادق . ولكننى لا أجد فردا فى الوجود ، يرضى بأن تحوم حوله اميالى . فلله در الحب والهيام ! وأفٍ أفٍ لهذا العالم الذى انا فيه ينبوع الجزع والفزع ! كلّ من أسعى فى التودد اليه والتقرب منه ، يفرّ من وجهى مرعوبا مذعورا ! بل ان الذين تدفعهم عواطفهم الكريمة ، واحساساتهم الشريفة ، الى الشفقة علىّ والرثاء لحالى ، لا يلبثون ان يغضوا ابصارهم عنى ! ويولونى ظهورهم ، هلعا وفرقا !

وحيثما وليت وجهى ، وأينما سافتنى اقدامى ، رأيت الجو المحيط بى

مشحوناً بجرائم القلى والبغضاء ! فقد حكمت علىّ معاندة القدر ، ونحس الطالع ، وقبح الطلعة ، بأن اهيم وحدى ، على وجهى ، فى بيداء بهماء ، لا اجد فيها وسيلة للنجاة ! فالامانى والمسرات وحب الشهرة وغير ذلك من الرغائب التى فُطر بقية الناس عليها ، هى كلها امامى دوائر مسحورة ، ومناطق مطلسمة ، لا اكاد اقترب منها حتى يقذفنى الرصد المُوكل عليها ، بانواع العذاب . . . والهوان . . . والنكال .

معارفى واسعة متنوعة ، ومعلوماتى غزيرة متعددة ، بحيث يقف دونها اكابر العلماء المشهورين ، موقف الجهالة والاستفادة . عندى من قوة العزيمة والثبات على النشاط ، ما يجعل الراحة فى نظرى ، عذابا لا يطاق . فؤادى كله رأفة وحنان ، على كافة المخلوقات على الاطلاق ، حتى إننى لأشفق على الحشرة الضعيفة ، والدودة الضئيلة ، ان أطأها بقدمى ، على غير علم منى .

سبحانك ربى : انت ارحم الراحمين . ما ذا أصنع بهذه المواهب التى أفضتها علىّ من خزائن علمك ، ونفحات فضلك ؟ أفلا ينبغى لى الاختلاط بالناس ، كى تظهر آثارها ومزاياها ؟ فلما ذا ، متى اقتربت منهم ، يصيبنى من العذاب اشكال والوان ؟ وأينما نزلت أحاط بى الهزء والسخرية والازدراء ؟ وكنت سببا فى انخلاع القلوب واضطراب العقول ؟ لقد اصبحت وكل خطوة من خطواتى تقودنى الى هاوية عميقة ، وغيابة سحيقة ، فعيشى زقوم ، وحياتى كلها غموم وهموم .

لما أتيت الى عالم الوجود واستقبلتنى القابلة ، القتنى بعنف على الارض ،

وفرّت صارخة مذعورة . ولما رأتني المرضعة ، ارتجفت وهرولت الى خارج الدار ، وهي تقسم باغلظ الايمان ، انها لن تحملني على صدرها ، ولا تغذوني بدرها . فنظرت الىّ والدتي ، فغشيها من الهمّ ما غشيها ، ووقعت عن كرسيّها ، مغمى عليها . فادركها والدي ؛ وإذ أبصرني ، اصطكت اسنانه وارتعدت فرائصه ، وصاح : « ما هذا بشراً ان هذا الا مسخ رجيم ، ولا يسعني ان يعيش . » فتسامع بي الاطباء ، وقالوا : « بل نحفظه مثالا غريباً عن غرائب المسوخ وعنوانا على ضلالات الطبيعة في التصوير . »

ألا لعنة الله على الاطباء ، فهم سبب حياتي ، بل اصل ما اقاسيه من بلائي وشقائي ! وجاءت عجوز شمطاء ، منقطعة عن الاهل والاولياء ، فأخذها الحنان علىّ ، واخذتني ، وآوتني ، وقامت بتربيتي ، حتى ترعرعت . فاذا في فؤادي شغف شديد بالمحبة والوداد . فلت بكليتي ، الى كل ما وقع عليه بصري ، من أرض ، وعشب ، وحيوان في الفلاة . وهمْتُ ولوعا بكل شيء من البهيمة التي ترعى تحت اقدامي ، حتى الانسان الذي خلقه الله ، ليتأمل في بدائع الملكوت ، ولو انه يفزع لرؤيتي ، ويفرّ من امامي . شغفت بحب الكائنات ، من اشرفها واسماها ، الى احقرها وادناها . ركعت أمام امي ، وتضرعت اليها ان ترمقني بعين المحبة . فنالها رعب شديد ، وخارت قواها ، وضاع هداها . ذهبت إلى أبي ، فنهرني وطردني ، بنفور واشمئزاز . بل نفر عني حتى احقر العبيد ، مفتخرا بشكله الانسي ، وظاهره الآدمي ؛ ورفض ان يكون له ادنى علاقة بشخص عليه علائم الغضب السماوي ، والسخط الرباني . بل ان الكلب . . . الكلب الذي اخترته من

اقبح الانواع وابشعها ، واشوهها واشنعها ، خاف من وجهى ، واطلق سيقانه للهرب من منظرى .

فلما رأيت نفسى طريدا مهجورا ، ممقوتا ملعونا ، أجمعت رأيى على الوحدة والاعتزال ، والمعيشة فى بطون الغابات وفوق نواصى الجبال ، منفردا حقيرا ، كالدودة فى الحجر الاصم . وبقيت فى عُزلتى ، أُعانى الآلام ، تزيدها الافكار والاشجان ، واقاسى الهموم والاحزان ، بسبب النفى من هـذا العالم ، الذى لا ينبغى ان يكون لى فيـه نصيب من الحب والوداد .

ولما اصبحت مطرودا من معاشرة الناس ، رأيت ان أتفرَّغ للنظر فى عجائب الكون وجمال الطبيعة . وصار همى طول يومي ، وسَمَرى فى سهرى ، التلقى والتحصيل ، عن مشاهير الاموات ، الذين تركوا لنا زبدة افكارهم ، وثمرة اتعابهم ، وخلاصة اعمالهم . وأرشدتنى الارض الى كنوزها وعجائبها ، وسلمتى كتب الحكماء مفاتيح علومهم ومعارفهم . فقرأت ، ونظرت ، وفكرت ، حتى انكشفت لىَ الحقائق ، من خدرها المكنون ، وسرها المكتوم ، وانطبعت على صدرى ، بطابعها الربانى . وظهرت لى خفايا الماضى فى أتم الظهور ، وانكشفت امامى اسرار الوجود ، من غير ما قناع يحجب محياها الوسيم . بل توصلت بطول المراقبة ، ودوام الرياضة ، وكثرة الاختبار ، الى معرفة المستقبل من الامور والشؤون . ونظمت من القريض الدرر والدرارى ، ضمنتها خلاصة آرائى وافكارى . لكن واأسفاه ! كلما ارتقى عقلى ، واتسع نطاق فكرى ، وصفَتْ قريحتى ، ازدادت آلامى شدة وحدة ،

حينما أرانى فى هـذا العالم — عالم السعادة والحب والهناء - محكوما علىّ دون سواى ، بان اعيش فى نكد وكراهة وشقاء ، وان لا اكون محبوبا على الاطلاق ، الى ما شاء الله .

لذلك عزمت على السياحة ، لعلى اجد فى بعض الاجزاء الاخرى من هذه المسكونة الملعونة ، اناساً مخلوقين على غير هذه الصورة الربانية ، التى جعلت فى قومي اعجاباً بأنفسهم ، فاق حدود الانفة والكبرياء . (قلت : قومى ! فوا حسرتى ! أمثلى له قوم ينتسب اليهم ؟)

ان الخلائق البشرية على انواع تفوق الحصر . فلماذا لا أجد اثناء تسيارى فى اطراف المعمور ، اناساً يشبهوننى ، ويحبوننى ؟ ولماذا لا يصيبنى انا ايضاً نصيبى من السعادة والهناء ؟ فاستودعت الله ذلك الشخص الوحيد الذى عُنى بى ، وأعنى به تلك العجوز الشمطاء . وكانت قد اصبحت عمياء بلهاء . فلم تشمئز من وضع يدها المرتعشة على رأسىَ المشوه الدميم . ثم ودعتنى ودعت لى . . . ولكنها لم تتمالك من اختتام دعائها بهذه الكلمات : «ليتك يابنى لم تخرج من حيز العدم ! » فأفلتَ من فمى ، رغماً عنى ، تبسمٌ ، يصحبه تهكم ، وهرولت مسرعاً الى خارج دارها .

. . . . . .

. . . . . .

اتفق لى فى بعض الايام انى امضيت النهار كله فى حل وترحال ، حتى اذا حان الاصيل ، وجدت نفسى فى منتهى احدى الغابات ، وابصرت بالقرب منها داراً خلاوية جميلة التفّتْ حولها الاشجار ، تفوح منها اعطار الازهار ، وتتناغى فوقها الاطيار . وقد تسلقت اغصان الورد والياسمين

على اسوارها ، وتشابكت فوقها فروع الدوالى والابلاب .... ونزل على الازهار ندى المساء ، فضاع شذاها ، وتأرجت به سائر الارجاء . فأخذت استنشق هذا النسيم وهذه الاعطار ، بشغف وهيام . نعم بشغف وهيام ، لان هـذا النعيم على الأقل لم يكن محظورا علىّ ، ممنوعاً عنى .... وبينما انا أتمتع انقى بشميم الاريج ، وعينى بالمنظر البهيج ، اذا بسمعى قد اشترك ايضاً فى هذا النعيم ، فقد استرعاه صوت رخيم فى البستان ، وأرشدنى رقة النغمة ، الى انه صادر من سرب نساء . فكنت تمشي ؛ واصغيت ، لا بأذانى وحدها ، بل بكل حواسى . واذا بهنّ يتجاذبن اطراف الكلام ، عن الحب والغرام ، وعن الصفات والخواصّ التى تولده فى الفؤاد .

وسمعت احداهن تقول كلمات ، كان لها فى فؤادى الكليم ، سحر عجيب . قالت : « كلا ، ليس الجمال فى الرجال ، هو الذى يجذب فؤادى ، ويمتلك قيادى ؛ بل الرجل الذى تتوق اليه روحى ، وتميل اليه عواطفى ، هو الذى يمتاز بسمو المدارك ، حتى يتسلط على عقول الآخرين ؛ ويكون له فؤاد كله شغف وهيام ، يجعله يستخدم قريحته فى خدمة اقل اغراضى ، وادنى مشتهياتى . وخلاصـة القول ان الذى أتطلبه هو نابغـة الرجال فى عصره ، بحيث يكون كله وجدٌ وغرام ؛ وما عدا ذلك فهو عندى والعدم سيان . » فسألتها احدى صويحباتها : « أتقدرين ان تحبى رجلا مشوهاً ممسوخا ، ولو كان آية الآيات ، فى العواطف والاحساسات ، او اعجوبة العصر ، فى الذكاء والفضل . » فاجابتها الاولى بصوتها الشجىّ ولفظها الشهىّ : « نعم ، أشـعر من نفسى بهذه القدرة .. واذا كان فؤادى ، كما اعهده ، لا

يخيّب ظنى ، فانه يُخيَّلُ لى انى اهيم وجدا بالرجل الممتاز بنبيل الخصال ، وجليل الصفات ؛ مهما كانت خلقته مشوهة دميمة . »

وكان فى سياج البستان ، ثغرة بين الاغصان ، فاسترقت النظر من خلالها ، كما استرقت المسمع من ورائها ، لعلّى احظى بنظرة الى تلك التى نفثت بمقالها ، روح الرجا ، فى فؤادى اليئس الحيران . فرأيت فى ملامحها مايدل على شدة التفكير والاستغراق ؛ وكانت ذوائبها الذهبية . مرسلة على جبينها الوضاح . ولها ظل ممدود ، على لواحظها الساجية الساحرة . وفى كل حركة من حركاتها ، دليل على علوّ النفس ورقة العواطف ، بل ان لونها الصافى كان يشف عن صفاء ضميرها ، وارتياح روحها . وربما كانت صاحبتى فى نظر غيرى ، لا تعدّ بين ربات الجمال ، ولكن عيونى وفؤادى ، صوراها امامى ، ملَكا فى صورة انسان . قل لى بعيشك ، اين هو الطيف اللطيف ، يهديك محاسن ولذائذ مثل تلك التى ارسلت الى قلبيَ الكئيب ، شعاعا من الامل الربانى ، بعد ان تولاه اليأس والقنوط ؟

لعمرى : كانت هذه اللحظة سبباً فى حياتى . فانى اسرعت بالعودة الى الغابة ، المحدقة بمنزل تلك الغادة ، وقاسمت الوحوش كهوفها . وهنالك صرفت الايام ، وكلها احلام فى الغرام والهيام . وكنت متى أرخى الظلام سدوله ، وستر ذاتى عن اعين الرقباء ، سعيت الى دارها ، وأقمت فؤادى حارسا على كل خطوة من خطواتها ، فى غدوّها ورواحها . وكنت اتسلل بين الاغصان ، لامتاع الاسماع بنغمات صوتها الرنان . اما الليالى فكنت اقضيها كلها ، تحت نوافذ غرفتها . ولم يكن لى حينئذ من همّ سوى ترديد التغريد ،

وكثرة الشكوى ، من لوعة الجوى ؛ فكان صوتي الشجي يوقظها من نومها ، في اغلب الاوقات . وكانت اينما وضعت اقدامها ، اثناء تنزهها ، ترى قصائدي الغزلية ، تبث اليها شكوى الضنى ، وقسوة الهوى ، ودوام الاعجاب بها ، والتشبيب بحبها .

حتى لقد انتهت بها الحال ، ان تحركت في نفسها دواعي حب الاستطلاع ، للوقوف على حقيقة الامر ، وكشف غوامض هذا السر . فوقع خيالها البكر ، في أحبولة العشق . . . . ولا نكر . آه ! لماذا لم تيبس يدي ، ولم يُشلّ ساعدي ؟ ولماذا لم ينقبض صوتي في صدري ، قبل ان تمكنت من جعلها تشاطرني هذه العواطف الغرامية الملعونة ؟

ارسلت لها نظمي ونثري ، يبثانها وجدي وحزني ؛ وقلت لها انني سمعت تحاورها مع ترابها ، ولكنني اكثر دمامة واشد تشويها ، حتى من الابالسة والغواريت والشياطين ، وانني أقبح بآلاف من المرات ، من كل ماصوّرهُ اوبصوّره الوهم والخيال . وانما اخبرتها بانني اتعشقها الى درجة تقرب من العبادة ، وانها هي الوجود امامي ، وما عداها فهو العدم .

غير ان ألحاني كانت مطربة ، ونغماتي شجية ، بحيث لا يكاد يصدق معها اعترافي بتشويه خلقتي . فأجابتني . وأوجد جوابها عالما جديداً من حولي ، عالماً كله لذات ومسرات . وأكدت لي انها لا تنظر الى الجمال على الاطلاق ، ولكن الروح وحدها ، هي الجديرة بحبها ؛ وان من كان مثلي في رقة التعبير ولطف الشعور ، لا يمكن ان تراه بعين المقت

والنفور ؛ بل وعدتني بانها تحبني ولو كنت في الدمامة والبشاعة ، اكثر مما وصفت لها نفسي .

تعالوا ! فانظروا اين تنتهي الخفافة ويسوق الغرور : فانني صدقت قولها وتدثرت برداء ستر جسمي كله واعتمدت على الأيمان التي حلفتها لي ، بانها لا تسمي في رؤيتي قبل اليوم الذي أُعينه لهذه المكاشفة ، بل لهذه المباغتة . فكنت اتجرأ في كل ليلة على التقرب منها ، والجلوس بجانبها ، في أيكة كثيفة الاشجار ، ملتفة الاغصان ، بحيث لا يتوصل أحد الى الوصول الينا ، الا بعض الاشعة من ضياء القمر .

وكنت اطيل السمر معها . فأشرح لها اسرار الطبيعة ، وافتح خزائن العلوم ، واكشف كنوز المعارف . ولكنني ما كنت لأُهمل وصف الوجد والغرام ، وشكوى الهوى والهيام . بحيث كنت تارة أتجلى امامها في مظهر الحكيم العاقل ، والفيلسوف الفاضل ؛ ثم لا ألبث ان ألبس ثياب المغرم المتيم ، والعاشق الولهان . . . . . .

واحسرتاه ! لماذا قضيت ياربي بانصرام هذا الوصال ، وسرعة انقضاء هذا الزمن السعيد ؟ فانني ما كدت اتمتع بلذة الحياة ، حتى قالت لي صاحبتي ذات ليلة : « سافر بعيداً عني . اذهب الى حيث تجهل الناس مثلي ، في الاعجاب بك والاستغراب لك . واجعل لنفسك شهرة فائقة تزكي اختياري ، وتؤيد انتقائي . ثم ارجع الي وطالبني بانجاز الوعد ، والوفاء بالعهد : انه العهد الذي مسؤول . » فتلهفت فرقاً من الفراق ، وطلبت منها توثيق عُرى

الميعاد ، وتوكيد المقال . فاغلظت الايمان والاقسام . . . . وفى تلك الدقيقة كان الهواء يلاعب الاوراق ، ويداعب الاغصان ، فتفتح فيما بينها نافذة أطلّ القمر منها علينا ، وارسل شعاع ضيائه الينا . فتوسمت فى عينيها بريقا من شدة الوجد والهيام ، بريقا يدل على انها لم تحاول المكيدة والخداع . فقد كان نظرها هادئاً ومستقرا ، ويلوح على ملامحها ، انها استسلمت لامر عظيم ، قضت به على نفسها . تخفق فؤادى طربا ، وانحبس لسانى اضطرابا ، واخذت يدها فوضعتها على قلبى هنيهة . . . وانا ساكت ساكن . ثم قبلتها مثنى وثلاث ، وانصرفت من حضرتها ، فلم تعد تسمع بى مدة ايام طوال . . . . . .

اخترت لنفسى خلوة سبرت فيها غَوْر العلوم ، وبصرت بالمنطوق منها والمفهوم . وهمْتُ فى اودية الشعر . وأرسلت اليراع يحلّى الطروس ، بابكار افكارى العالية ، وبدائع تصوراتى السامية . وقد كانت كلها متجمّعة فى خزانة صدرى . ثم نشرتها على الملإ من الناس ، فقابلوها باعجاب ايما اعجاب . حنا الفلاسفة رؤسهم امام فروضى ونظرياتى ، وأقرّوا بالعجز عن مجاراتى . وأما العلماء فسيقتفون أثرى الى ما شاء الله من الزمان ، فى الطرق الجديدة التى هديتهم اليها ، والطرائق المبتكرة التي أهديتهم إياها . ولم أقنع بالبحث فى العلوم العالية ، والمطالب الغامضة ، والمسائل العويصة . بل هلهلت الشعر ، ونظمت قلائد القصائد ، فى النسيب والتشبيب . فكانت العذراء تترنم بها وتترنح لها ، حتى تلتهب بنار الجوى ، فيخرج من احتراق الفؤاد ، بخار ندىّ يتلألأ على جبينها الوضاح ، ويحمر منه محياها الوضّاء .

وأجمع الناس ، من ذكور واناث ، مع اختلافهم فى الاعمار والاجناس ، والاديان والاوطان ، على الاعجاب بهذا النابغة المجهول الذى جعله الله آية الآيات ، وأعجوبة الاعاجيب : إذ أتاح له الجمع بين سامى العلم والعرفان ، وصافى الفكر والخيال .

حينئذ رجعت الى صاحبتى ، وزرتها بالتكتم المعهود . وأتيتها بالبرهان الصادق ، والدليل الصادع ، على انى ذلك الذى طبقت شهرته السبع الطباق ، وتحدث بذكره الركبان فى الآفاق . وقد كان فؤادها حدثها بذلك . ثم طالبتها بالوعد الجميل ، وحسن الجزاء . . . . واتخذنا الظلام ستارا لاتحادنا . وكانت السماء خالية من النجوم ، والارض ساكتة مطمئنة ، لاحراك بها[1] . ولا عليها ، واوراق الاشجار ، ثابتة على الاغصان . فاستندت على صدرى ، ولم تصدر منها حركة تشعر بالنفور والاستنكاف . . . . . وقد توالت اجتماعاتنا ، وتعددت مقابلاتنا . . . . وكنت سعيدا ! سعيدا ! أغبط نفسى ! ولا اكاد اصدق حواسى ! ولكن ثمرة حبنا المشؤم ، أوشكت ان تكشف امرنا ، وتفضح سرنا . بحيث اصبح من اللازم أن اهرب بها ، أو ان نوثق ارتباطنا بالاحتفالات الرسمية المقررة بين الناس ، كما اكدناه بطبيعة الحال . واستحال علينا التأجيل ، فخدعتنى مواعيدها ، وأذهبت رشادى بدموعها ، وانضم الى ذلك فؤادى : فأغرانى وأغوانى وأعمانى . وحينئذ عقدت النية ، واتفقنا على انها تنظر النظرة الاولى ، الى وجه خليلها بل حليلها ، ونحن امام الذى يتولى صيغة العقد الشرعى بيننا .

---

(١) مع أنه كان يجب فى هذه اللحظة حدوث زلزال هائل

فلما حلّ اليوم الموعود ، برزت من خدرها ، فى دارها ، وليس معها سوى شاهـدين ، وأبيها المحزون ، لانه اُضطُرَّ الى الرضى باقترانها ، دفعاً للفضيحة والعـار . وقد كانت صاحبتى هيأتهم لمرأى شخص دميم الخلقة ، مشوه الوجـه للغاية والنهاية . ولكنها لم يكن فى وسعها ان تُهيئهم لرؤيتى . . . . فدخلتُ الدار وكانت الانظار كلها — الا عيناها — موجهة نحوى ، شاخصة الىّ . فصاح الحاضرون صيحة فزع واضطراب ، اهتزت لها جدران الدار . اما العاقد ، فقد وقع الكتاب من يده ، وطفق يهمهم ويتمتم ، من غير معرفة ولا تمييز ، ويقرأ الاوراد والادعية المخصصة لطرد الجن والعفاريت . ووقع ابوها وقعة لن يقوم منها الا يوم القيامة . واما الشاهدان ، فاسرعا بالهرب الى خارج الدار ، وهما لا يصدقان بالنجاة .

وكنا قد اخترنا الليل لهذه الحفلة . فكانت الانوار تضىء الدار ، بنور ضئيل ، تعبث به الريح . فاقتربتُ من عروسى ، وهى ترتعش وتبكى ولم تكن تجسر على رفع بصرها نحوى . وقلت لها : « انظرى ! هاهو زوجك باسبرتى ! » وكشفتُ نقابها ، فانتفض جسمها ، وأغمى عليها . فلم تعلم مقدار المصيبة التى حلّت بها . اما انا ، فلم ارفعها عن الارض ، بل وقفت فى مكانى . . . ثابتا صامتا . اذ قد زال سعدى . وحقّت علىّ لعنة ربى ! وتولانى خبال ضاع معه الرشد والصواب . فحملوا العروس الى مخدعها . وبعد هنيهة امتلأ المكان بالناس قليلا قليلا . وكان القوم ينظرون الى الوحش بعين الارتعاب والارتعاد . فتنبهت لنفسى ، وصرخت فيهم صرخة شديدة . فولوا الادبار . فرميت بنفسى الى خارج الدار ، واختفيت فى

الغابة بين الاشجار .

حتى اذا تكاثف الظلام وحان ميعاد اجتماعنا المعتاد ، ذهبت خفية الى الدار . فرأيت شباكك صاحبتى مفتوحا . فتسللت الى غرفتها ، فلم أجد احدا فيها ؛ وكانت مع ذلك تسطع بالانوار . ورأيت مصباحين بالقرب من سرير العروس ، فرفعت الكلفة (الناموسية) وإذا هى فى عداد الاموات . فلم انتحب ولم أتوجع . . . . كلاّ . بل شعرت بفرح صادر عن قلب كله قسوة وجمود ، حينما ابصرت الشخص الوحيد الذى أحبنى فى هذا العالم ، مطروحا أمامى ، بارد الجسم ، فاقد الحراك ، عادم الاحساس : هذا الشخص المحبوب الذى سيكون عما قريب وليمة للدود . . . . ثم قلّبت نظرى فى الغرفة فاذا بمائدة مجللة بغطاء اسود ، رأيت تحته جثة مولود قد فارقته الحياة . رأيت له اشداقا هائلة مخوفة ، وملامح دميمة قبيحة ، واعضاؤه نحيلة نحيفة ، والشعر والوبر نابتان على كل جسده بهيئة فظيعة ، والخلاصة انه تشويه فى تشويه ، لا يشبه سوى أبيه . فتحققت حينئذ انه « ابهدهدل » ومن يشابه أبه فما ظلم .

حملت زوجتى وولدى ، وذهبت بهما الى الغابة ، واختفيت معهما فى مغارة مظلمة عميقة . ونمت بجانبهما ، الاعب الديدان التى كانت تسرح وتمرح فى جسديهما ؟ . . . . نعم كنت أشعر بالسعادة اثناء وجودى فى المغارة ! . . . . حتى اذا لم يبق من الجسدين سوى العظم الرميم ، دفنت الرمتين البالتين ، وعدت الى مسقط رأسى .

وجدت ابى قد قضى نحبه ، وبقية اخوتى يعللون النفس بانى قد سبقته . . . فطردتهم اجمعين . ووضعت يدى على كافة الاملاك والاموال .

وتاقت نفسى لرؤية المرأة التى ربتنى .... فأرانى الناس قبرها .... فروّيته بدموع مرة نابعة من كبد حرّى . ولعمرى ! لا أدرى كيف امكننى البكاء عليها ، مع انى لم أجد دمعة واحدة عند فقدامرأتى وولدى!

وعشت فى سعادة وراحة بال، مدة من الزمان . ولكن الناس توصلوا للعلم بانى ذلك الفيلسوف المجهول ، وذلك الشاعر المفلق الذى ذاع صيته واشتهر فضله . فلم أنل بعد ذلك شيئاً من الراحة والسلام : إذ أصبحتْ الخلائق تتوافد علىّ من كل مكان ، وأحاطوا بدارى ! والسعيد السعيد الذى يحظى بمقابلتى ! ! ! وكانت الابصار كلها شاخصة الىّ ، والضحك والقهقهة محيطين بى . بل أصبحت أتخيل الهواء مشحوناً شياطين يتهكمون ويضحكون .... ومن ذلك اليوم لم يتركنى الناس وحدى ، ولم أتمكن من الخلوة بنفسى ، ولا ساعة من الزمان ....

هذه حال الدنيا .

وكل الناس مجنون ولكن * على قدر الهوى اختلف الجنون

(٥٥) وكتب الفاضل السيد محمد على البيلاوى (من خطبه المنبرية)

«الحمد لله الذى يعلم خائنة الأعين وما تكن الصدور الحكم العدل جامع الناس ليوم النشور المنتقم الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون احمده هدى من شاء الى صراطه المستقيم وأشكره مستمدا فيض فضله العميم وأتوب اليه وانزهه عما يقول المبطلون واشهد ان لا اله الا الله شهادة تشفى القلوب من السقم واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله ارسله رحمة للأمم اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد ما كان وما يكون اما بعد فياعباد

الله تعهدوا الصدق فمن تعهده سلم والزموا الحق فيافوز من له لزم واحذروا الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون واياكم والغش فالغش مرتعه وخيم ودعوا الفجور فان الفجّار لهم عذاب اليم وتقربوا الى الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقد امركم الله بالنحاب فما امتثلتم امره وزجركم عن التباغض فما رعيتم زجره ونهاكم عن المعاصى وانتم عنها غافلون وكونوا عباد الله اخوانا وليمد احدكم يد الاعانة لاخيه وليساعده بقدر الامكان فالساعى فى الخير شريك فيه واعتبروا بأحوال قوم معكم الى التعاون سابقون فرحم الله امرأ اخلص لاخيه النصيحه وعامل الناس بخلق حسن ونيـة صحيحة وطهر ظاهره وباطنه مما اتصف به المنافقون فتوبوا الى الله وانتم فى سعة من الايام وعجلوا بالتوبة قبل ان يهجم جيش الحمام وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

(الحديث) اتق المحارم تكن اعبد النـاس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحبَّ للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب

(٥٦) وكتب حضرة الفاضل علي افندى حامد يشكو ويستعطف

اشكو اليك ما كلت قوتى عن مزاولته وضعفت عزيمتى عن مقاومته من ركوب متن الاعتساف والخروج فى الاعمال عن جادّة الانصاف وتشعب دواعى الشقـاء والعناء حتى بلغ السيل الزبى فصوَر الهفوات تقابل باقصى العقوبات والحسنة بالسيئة والاكرام بالايلام وحسن المجامـلة بسوء المعامله وليس فى مقدورى الاستغناء عن هذه المرتبات القليله التى أبذل فى سبيل الحصول عليها نفيس الحياة للقيام بتلك

الاعمال الجليله فوجود الحياة عـدم وأحرار الدهر خدم والأيام لم ترع حقوقا ولم تبق شروقا ولم يسلم احد من تجنيها ولم تصف لمصافيها ومواليها وقد انهيت املى الى رحابك ووجهت رجائى للوقوف على بابك عله ان يسعده نظر سيدى العالى ويحقق آمالى فاكون ممن استفتح باب العطايا فبذل الشكر والله يحب المحسن ويضاعف له الاجر

(٥٧) وكتبت المقامة الجلالية التى سبقت الاشارة اليها وهى

« حكى الجلالى ابن الخيالى قال أجلّتنى الاقدار عن مكة أجَلّ الديار فجَلّلْتُ عنها قاصداً جَلُولاء والارض قد جلّلتها السماء لا أملك دِقًّا ولا جِلاًّ ولا كُثراً ولا قُلاًّ ذاكرا

كل شىء ما خلا الله جلَلْ والفتى يسعى ويُلهيه الأمل

ومعى هاجنٌ جلّت عن الولد وهمٌ جليل طال عليه الامد وغلام جُلْجُل وفرس ذو جُلْجُل وحمار جُلَال يَجِلُّ عن الكَلال فتجلّلنا الدواب بعد ان جلّلها بالجُلّ الغلام وسِرْنا نحمد ذا الجلال والاكرام فلما قطعنا جُلَّ الطريق سمعنا جَلْجَلَة هزَرْ طليق وما رأيناه حتى تجلْجَلَ منا الفؤاد وجلْجلْنا الزّناد وصاح الشيخ أمر جَلَلْ ينهب الاجـل وتأتيه الفتاة صارخة ياقوم هيَّا الى الجُلَّى والعين منها

لجُوجٌ اذا سحّت سحُوحٌ اذا بكت بكت فأدقّتْ فى البكا وأجلّت

فأجابها الفتى

اذا دَعَوْتِ الى جُلّى ومَكْرُمة يوما سَراةَ كرام الناس فادْعينا

ثم عقد فى عنقه خيط الجُلْجُل وهجم على الاسد المُجلجل ورماه فأصاب جُلْجلان قلبه فتجلجل فى الارض بذنْبه فشكرنا المولى الجليل وسرنا

حتى أمسينا بوادى الجليل فأنشدت

ألا ليت شعرى هل ابيتنّ ليلة بفجّ وحولى اذخرٌ وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مَجَنَّة وهل يَبْدُوَنْ لى شامة وطفيل

ثم أصبحنا جالّين عن الوادى فسمعنا جَلَّ بن عدى وهو ينادى

أيا ظبية الوعساء بين جُلاجِل وبين النقى أأنت أم أُمُّ سالم

ثم مررنا على دارة جُلجُل وحَيّ جَلاّن فرأينا فى عَرَصاته رعاة يرعوْن الدقائق والجلائل والثُنْيان ينشدون

لنا غنم نُسَوّقها غزارٌ كأن قرون جِلّتها العِصِيُّ

ومعهم إماء سود يَحْتَلِبْن جَلَّة الوقود فتقدمت الى كبير القوم وبثثت اليه جلاجل نفسى فما أجلّنى ولا أدفنى بل أجابنى برفع الرأس وقابلنا فى البادية جالّة من اليهود أُجْلُوا عن الحرم المحمود وعند دخولنا قصبة الجُلُوليّين فاح علينا من رياضها شَذَا الجُلّ والياسمين ونزلنا فى مسجدها القاصى وشرع شيخنا فى تدريس مَجَلَّة لقمان فأحاط به قوم اجلاّء الشان

أماجدٌ صيدٌ ذوو تَجِلَّة ترى عليهم للندى برهانا

وبعد الفراغ من الدرس أخذوا يُجلونه بالتحية وانحناء الرأس واحلُّونا من فضلهم دار الكرامة وخصُّوه بالدراسة والامامة »

(٥٨) وكتبت الى خليل شطّ مزاره

« كتابى اليك وقد طال بى الانتظار وشوقى يجلّ عن الكيف والانحصار فشخصك دائم المثول أمام انسانى وعن سواك من الأخلاّء ألهانى وأنسانى فلله ايام قضيناها وليال من الدهر اختلسناها كان السرور فيها ضارباً خيامه والانس ناشراً أعلامه طوى بساطها

وكأن الامر ما كان غير أنها زرعت بفؤادى شجرة الاشجان لكن عوّدها حليف أوبتك وتجدّدها رهين اشارتك فمتى يقرب المزار وتنجلى سحب الاكدار فاضرب لعودك أجلا فالعود لا شك أحمد واكتب بقربك وصلا فالوصل أضمن للعهد وعهدى من خلقك الوفاء وحسن الولاء فلا تجعل صفقة شوقى اليك خسرا بل هبنى بعد العسر يسرا والسلام

(٥٩) وكتبت الى صديق سافر الى الاندلس وكنت ودعته على مينا الاسكندرية وقت السفر واهدانى مطبوع صورته (فتوغرافيته)

أخى الشقيق

بينا انا أفكر فيما اتيح لك من المقدور منذ فارقتنا يوم المرفأ وامتطيت صهوة البحر الجموح تؤم الاندلس اذ جاءنى البشير بالرسالة والهدية منك فاطمأنّ قلبى وسكن روعى ونعم بالى وهدأ بلبالى ووئدت بنات صدرى بسهام سرورى اذ الاولى أنبأتنى بركوبك متن السلامة ونزولك بحبوحة الكرامة والثانية لما سفرت عنها اللثام وألفيتها مثال صورتك سجدت لله شكرا على ما أهديت وأسديت وكأنك اوحى اليك ان ناظرى حسد خاطرى على خيالك فارسلت له من مثالك لتفصم عنه آخية الحسد خشية ان يشيب من الكمد وقد أحطت الصورة بالسور الكلى وموضوعها شخصى وقد أرسلت لك مع هذا مثالى هدية وتذكارا لى والسلام

(٦٠) وعربت من الفرنسوية الى العربية ما يأتى :

﴿ وصف مساء صيف ﴾

ذات يوم حره شواظ من نار خرجنا وقت الاصيل نلتمس

شواطئ الانهار لنستنشق نسمات العصور ونشتفى من نفثات الحرور فجلسنا بقرب الماء فى حديقة غنّاء فكان يروقنا رقص الغصون اذا هبّ عليها النسيم ويطربنا هزَج السواقى وخرير العيون عن رنّات المثانى وغناء النديم والشمس قد كست النهر حلّة من ذهب فأخذ يموج ويعجب كل العجب الى أن مالت عنه وتوجت رؤس الجبال والاشجار بتيجان من جلّنار وكلما أخذت الغزالة فى الرقاد ضربت الوان الخليقة الى السواد وأخذ كل راع يؤب بماشيته من مرعاها ويقودها الى مأواها ثم عدنا وقد أخذت تهدأ الاصوات وتسكن المتحركات والملى الاعلى يلحظ السكل بعين رعايته وهم سكون ويكلأ ارواحهم وما يكنّون

وفى سنة ١٣٠٨ للهجرة رغب اصحاب جريدة الازهر الى أهل الادب ان يكتبوا اليهم فى موضوعات اقترحوها عليهم كالشوق والتعارف قبل اللقاء والتهادى والتقاضى ولطف السؤال والتهانى فكتب كثير من ادباء العصر فى هذه الموضوعات المقترحة .

(٦١) فمن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ حمزة فتح الله رسالة فى الشوق وهى :

« مولاى — أما الشوق الى رؤياك فشديد وسل فؤادك عن صديق حميم وودصميم وخلة لا يزيدها تعاقب الملوين وتألق النيرين الا وثوقا فى العرى واحكاما فى البنا ونماء فى الغراس وتشييدا فى الدعائم ولا يظنن سيدى أن عدم ازدياری ساحته الشريفة واجتلائى طلعته المنيفة لتقاعس أو تقصير فان لى فى ذلك معذرة اقتضت التأخير والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث

استدعته الضرورة وبعد فرجائى من مقامكم السامى ان لا تكون معذرتى هذه عائقا لكم عن زيارتى فلكم منة طوقتمونيها ولكم فيها فضل البداءة وعلىّ دوام الشكران والسلام

(٦٢) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فى النهادى :

الانسان الكامل المولى الفاضل دام كماله وزاد اقباله

كتابى الى الاستاذ والهدايا تزيد فى التوادّ وتوسع فى قوة الارتباط ان كانت لغير من حظرها عليه الشرع القويم والشيخ منى بمنزلة الاخ من أخيه او انا منه بمثابة الولد من ابيه ولا داعية لى اليه سوى الصلة به ولا اريد منه غير الوداد « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى »

وقد اخترت لك من كتب الادب العربى القديم كتابا حديث العهد بالوجود بعثته الى حضرتك معترفا بانه نموذج فضلك ومعنى ادبك يعترف لك مهديه بأنه لاحظ المناسبات ونظر الى الرغبات وقبل ان تشتغل بالبحث فيه عن اسمه والاوصاف أعلمك بأنه كتاب المنسوب والمضاف فهنيئاً له بالشيخ يقدره حق قدره وهنيئاً للشيخ به يزيده فى أمره وان قبول الاستاذ لهديتى مكفول بحسن اخلاقه وطهارة اعراقه وبعلمه بان النفع بها وهى عنده اعم واوفى فله الحمد على ما قبل والشكر على ما اولى

(٦٣) ومن ذلك ما كتبه الفاضل حفنى بك ناصف فى النهادي :

الهدية فى نظر الاصفياء جليلة وان كانت فى نفسها قليلة ومكانتها خطيرة وان كانت يسيرة وسنة حسنة اجتمعت على فضلها الالسنة مضت الدهور وأمرها مستحسن وتعاقبت بمديحها الايام

اللهم الا أن لبست جلباب الرياء وولجت ابواب الارتشاء ولا مراء ان الاوداء من ذلك براء

لا يبتغون سوى الوفاء ومالهم غير البقاء على الصفاء مرام

وما زالت الهدية شعار الاصدقاء وعنوان تذكار الولاء وكم جددت بين الاصحاب عهود التحابّ

وتعهدت ودّا فعاد شتيته ولشمله بعد البداد نظام

قد وصلتني يد العصا فحبذا الاهداء وأهلا بتلك اليد البيضاء وليست هذه أوّل ايادیك عليّ ولا اكبر عارفة جاءت من ناديك اليّ وقد أمنت بها النُّوَب واعتضدت بها على تفريق شمل الكرب

فاذا طغى بحر الهموم ضربته بعصاى فاجتازت به الأقدام

تنفلق بها من الايام صخور فتنبجس منها عيون السرور وتلقف مايصنع الاعداء فتذهب بسحر البغضاء واذا اشتد هجير الوحشة نشرت ظلال أنسها أو عصى فرعون الدهر راعته بأسها

فكأنما اوصى الكليم لنابها حتى يرى آياته الاقوام

وقدفكرت ماذا أقابل به طرفتك وأتلقى به تحفتك الى أن هدانى الله أن يد المنعم انما تقابل بالأفواه ليعزز القبول بالقبل ويؤدى الرسم باللثم فارسلت اليك فم سجارة وجعلته لهذا المعنى اشارة وقلت

مولاى كم فاضت يمينك بالندى حتى غدوت غريق بحر الانعم

والشكر اوجب ان اقبل راحها فكنيت عن هذا باهداء الفم

وقد علمت ان المنظر البهيج يتم بالتدبيج فاخترت ان يكون مبدأه كالليل إذا عسعس ومنتهاه كالصبح اذا تنفس ايذانا بزوال الشرور بالسرور ورمزا

الى الخروج من الظلمات الى النور

(٦٤) وكتب الفاضل محمود بك أبو النصر فى الهادى

يا أيها المولى الذى عمت أياديه الجميلة
اقبل هدية من يرى فى حقك الدنيا قليلة

غرّة وجه السعود وقرّة عين الوجود الامير الجليل

ياجليل الفضائل اليك توجه الآمال وياجميل الشمائل بساحتك تحط الرحال تلك هى الساحة الفيحاء والشيمة الحسناء والهمة العلياء واليد البيضاء والاعمال التى بها تضرب الأمثال كم من نعم اسديتها ومكارم اوليتها وعلوم أحييتها فأنت المصدر والمورد والمقصد والموعد اليك أقدّم تلك الهدية المرضية وارفع ذلك الكتاب المستطاب مشفعا فى قبوله كرم سجاياك وعظم مزاياك وانى وان كنت أعلم أن مقامك العلى يجلّ عن ان يرفع اليه مثله فقد عرفتك متواضعا فى علاك قريبا مع اعتلاك

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وحاشى أن أهدى للقمر نورا او للشمس ضياء او أبعث ببنية القطر الى ذلك البحر ولكنى احببت ان يحظى بأيم بنانك وينال من كرمك واحسانك وقد عهدناك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرم النزيل وللشفاء العليل وما هو الا من نور فكرك مقتبس فعساه يحظى بالقبول فأبلغ غاية المأمول والسلام

(٦٥) ومن ذلك ما كتبه الفاضل سلطان افندى محمد فى التعارف :

« كتابى الى مولاى وقد نمى الىّ حديث فضائله ونقلت لى الصبا عبير شمائله كتاب امرئ دله التواتر على البحر الزاخر وأرشده أرج النسيم الى الروض المقيم فوله بورود شرعته والاستظلال بدوحته وائتلاف النفوس اذا كان فطريا كان ميلها بمجرد الرؤية أو السماع طبيعيا ومن ثم قدّمت التعرف اليه بهذا الخطاب حتى أرد عليه وقد نظمنى فى سلك الاصحاب وسيلقى من قاصده ما يجعله مفزع رأيه وحقيبة سرّه ويحقق به ثقته فيرفع منزلته ويصبح فى مقدمة بطانته ويشمله بعنايته والسلام

(٦٦) ومن ذلك ما كتبه الفاضل احمد افندى سمير فى التعارف

يعلم سيدى أن المودة لا تباع ولا تشترى وانما هى نتيجة الاجتماع والتعارف وقد خلق الانسان مضطراً اليهما لان انتظام العمران عليهما موقوف ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه عرضة للخطأ مظنة لعدم الثقة بخلاف ما اذا كان الاشتراك فى الفكر قاعدة للعمل فلا بد أن الصواب يتمحض منه لضعف التفرّد وقوة الاجتماع اذ لا جرم ان المرء كما قيل قليل بنفسه كثير باخوانه وقد سمعت عن السيد وقرأت من آثاره المأثورة ما حبّبه الىّ وشاقنى للتعرف به لنشترك فى منفعة تبادل الافكار فانى لا أكتفى بمجرد السماع ولا اقول ان الأذن تعشق قبل العين فانما هى جارحة صغيرة ولكن كلى ميال اليه محب لاستجلاء مرآه عالم أنى اذا دخلت الى موادّته من باب التلاقى لا أجد دهرى

يقرّب منى كل شخص كرهته ويبعد عنى من اليه أميل

فان لم يتيسر أن يرانى او أراه فليسعدنى ببضعة أسطر تضمن لى رضاه

عن هـذه المعرفة الترسلية لتتراءى بأعين الطروس قبل أعين الرؤس وتتجاذب أحاديث المراسلة ان عزت المقابلة وقد وقفت عليه خالص ودّى واخترته من بين رجال العصر سعيا لكسب المعالى بمعرفته فكل امرئ بما كسب رهين وليس للانسان الا ماسعى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(٦٧) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ احمد مفتاح في النهادى :

« الهدية غمرك الله بالمعروف تبسط يد المودة وتدرّ بها أخلاف القرب وتغرس بين المتحابين من الائتلاف بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف وما انا فيما اهديه اليك الا كمستبضع تمرا الى ارض خيبرا او كالواهب الماء للبحر والضوء للبدر والملك لسليمان والمال لقارون والحلم لأحنف والذكاء لاياس والتفسير لابن عباس وما ذاك الا كتاب كما تراه ضرب فى الاحكام بسهم ووعى من الأحكام ما خلت منه مفعمات الاسفار وموجزات الرسائل فهو كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وان تطفلت عليك وسقت لك هذا الكتاب مزدلفا الى جنابك الرحب ومقامك الأسنى فقد أصبت كبد الصواب ووضعته حيث يعرفه أهلوه ويتقبله من باذله عالموه علما بأنك عماد العلوم وأساس الفضائل لاتغادر شاردة الا وعيتها ولانادرة الا رويتها والا

لوكان يهدى على قدرى وقدركمو لكنت اهدى لك الدنيا ومافيها

(٦٨) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ طه محمود فى الهانى

المجد عوفى اذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الألم

لقد تقلبت فى حال السراء حتى ما اشتهى حلّه وتضلعت من كؤس النعماء حتى لا أسأل ساقياً علّه فلم اجد فى الحلل الضافية ولا فى المشارب الصافية ألذ ولا أجمل من العافية وما آب الىّ بعد الظعن اعزّ على من صحة البدن ولا رحل عنى بعد الالمام ضيف ابغض الىّ من الآلام ولو لم يكن إلا بعد الحبيب أو قرب الطبيب وإلا قطيعة الوالد أو صلة العائد لقلت البعد والقطيعة اشهى الى النفس من القرب والصلة فماذا يثير من شجنك اذا أصبحت معافى فى بدنك وأى شىء مع الصحة زدىء أو بدون الصحة جيد ومن أجل هذا كانت العافية أولى ما أهنئ به السيد فالحمد لله أن عافاك « ايها السيد » وشفاك ووافاك بامره من الصحة ما كان جفاك (وبعد) فلا أطيل بشرح حالى التى رجعت بها من عند السيد يوم عدته فوجدته بحيث يرجو العدو ويخاف الحبيب وما هو الا ان نصبت قدمىّ مدة من الزمان استشرف الى مايرد علىّ من نحو سيدى وقد حالفت السهاد وخالفت الرقاد منذ رأيت ان دوحة المجد قد اعتراها ذبول وأن سيف الشهامة قد أصابه فلول الى ان وردت علىّ البشرى تترى بأن الله قد أذن لظاعن العافية ان يؤب الى وطنه ولنازح القوة ان يثوب الى بدنه فلا تسل عما ثاب الى فؤادى من الافراح ونزح عن صدرى من الهموم والأتراح وما ابتسم من ثغور المكارم وما تهلل من جباه الفضائل فانت تعلم موقع تجلى الكروب من القلوب وكيف مورد السرور من الوجوه والصدور وما مقدار الاعتدال بعد الاعتلال فليهنئك

« سيدى » ماكساك الله من ثياب الصحة بعد شكوى ألمت بساحتك فلم تحجبنا عن سماحتك وان حجبت عن صباحتك ولم تصب من حلمك وعلمك وان اصابت من جسمك ورسمك وما كنت فى شكواك هذه الا الذهب ولا عجب امتحنه صائغه بشىء من الحرارة ليبين معياره ويظهر مقداره فاذا هو إكسير ولا ينبئك مثل خبير او الشمس توارت فى الحجاب أو حال بيننا وبينها قزعة سحاب لتعرف نعمة الله علينا فيها ولم تلبث السحابة ان تقشعت فاعتدل الجو وتمحض الصفو فليطب السيد نفسا وليقر عيناً بعظيم فضل الله عليه وعميم احسانه اليه فيما اعاد اليه من الصحة ومنحه به اعظم منحة

ولا زال يرفل فى حلة سداها ولحمتها العافيه

(٦٩) ومن ذلك ما كتبه الفاضل السيد محمد على البيلاوى فى التعارف

« سيدى ان مكارم الاخلاق ومعالى الهمم مما تسترق القلوب وتسترق العقول وتمتلك الأرواح وان لم تتلاق الاشباح فانى مذ سرى الىّ النسيم بأخلاقكم الغراء وابتسم لى ثغر هذا العصر عن آثاركم الزهراء وتواترت الاخبار بحبكم للفضل واهله وارتياحكم للعلم وذويه وانا مشغوف الفؤاد بالتعرف بسيادتكم مشغول البال بالتوصل الى رياض مودتكم ولعلمى ان للصداقة حقوقا والمصاحبة شروطاً ربما صعبت على من حاولها وعزّت على من أراد الوفاء بها كنت أرى الوحدة بى أولى والانفراد بى أسلم ولكن ما زالت تنمى الىّ أحاسن شمائلكم المشرفة وتتوارد على مسامعى محاسن سيركم المطهرة فينمو الوجد ويزداد الشوق (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) وما كنت أجد سبيلا للتعرف ولا سببا للتودد

ولا تجسر نفسى على المراسلة ابتداء الى أن رأيت سيدى قد اهتمّ للادب فأعلى مناره ونظر للانشاء فرفع مقداره ونصر دولته وأحيا صولته واعاد شبابه وفتح لادباء هذا العصر بابه فعلمت أن الدهر قد ساعدنى والفرصة قد امكنتنى من مصافحة ما أملت ومصافاة ما اردت من اجتناء ثمار مودة سيدى والتعرف به والتمسك بأهداب فضائله والتزوّد من آدابه فان الادب أحسن ما يستصبح بانواره وأشرف ما يتسابق لاقتطاف انواره ويحمد التطفل على موائده ويمدح التنافس فى التقاط فرائد فوائده فجملت طلب الانتظام فى سلك ارباب الاقلام وسيلة لورود عذب وداده ونمير التعرف به فان رأى سيدى ان يعدّ نفس حرّ فى عداد معارفه ويقابل رسالته بما اشتهر من لطائفه حتى تتمتع بالرؤية الابصار كما تمتعت المسامع بطيب الاخبار كنت مديم الشكر لافضاله مستمر الثناء على كماله

(٧٠) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد الله افندى الانصارى فى التهادى :

« المولى أدام الله وجوده ممتعا بهدايا الايام وتحف الاعوام طالما أوفد من الرفد الىّ ووجه من الخيرات ما أفعم يدَىّ حتى اصبحت وله الفضل والمنة اجرّ ذيول النعماء على غبراء البأساء واجتلى معارف السرّاء بعوارفه البيضاء التى لا يوازيها ثناء وحمد ولا يوازنها عطاء ورفد ولا يطاولها سماء وبحر ولا يغالبها بؤس وفقر وان لى من آلاء السيد حفظه الله وأدام علاه ما أينع وأزهر وأورق وأثمر حدائق قامت لشكره عيدانها وسجدت لفضله اغصانها وترنمت طربا وتمايلت عجبا بنفحات هى عرفه وبركات هى عرفه ولى أمل فى جنابه وانا سليل نعمته

وعهدى بأخلاقه وانا ابن مودته أن يمن بقبول ما أهديته وهو من مال نفسه وثمرة غرسه باكورة تفاح يرفعها اجلال واعظام وتصحبها تحية وسلام

(٧١) ومن ذلك ما كتبه الفاضل محمد افندى على المنياوى فى التهانى

لك الهناء بما قدنلت من شرف وافت بشائره بالقلب فابتهجا
ليرق سعدك ويحظ جدك وينم بالك ويجزل نوالك فان اسداء الفضل عليك بعض ما يرتاح الفؤاد باتيانه اليك وقد هبت ارواح البشائر بأريجها العاطر تروى لنا مرفوع ما ساد بمعناك من الرتب الفاخرة واتصل بمغناك من المنح الباهرة التى اخصب غيث سرورها جدب النفوس واحيا روض انسها بعد ان شابه البوس فازدهت افنانه وماست عجبا وهشت ورقه وغردت طربا واصبح يانع الزهر باسم الثغر يفترّ عن شكر المنعم وإنعامه والدهر وتبلج ايامه بما اولى من الفضل من هو له أهل

فياحبذا دهر على ما به اولى وياحبذا من منه قد فاز بالجدوى
فلتهنأ ذاتكم الشريفة بهذه الرتبة المنيفة لا زال كوكب سعدكم بسماء المجد يسمو وساطع حبوره بسرادق القلب يزهو وينمو والسلام

(٧٢) ومن ذلك ما كتبه الفاضل وفا افندى فى الشوق

اما بعد سلامى عليك فهذا كتابى اليك ينبئك عنى وعن شوقى وعن ودّى ولا ازيدك علما انى ما كتبته من دواة ولا اجريت عليه قلما ولكنها دموع وشوق سالت على القرطاس وجرت على حركات الخواطر

والانفاس وهبت عليها حرارة كبدى بالاشواق ووجدى بالفراق فبينما هى عقيقة حمراء اذ صارت فحمة سوداء ألا وان كتابى هو قلبى ولسانى أما تراه على رقته ولطف عبارته وصدق طويته بين يديك مقبلا عليك ينشره الشوق ويطويه لا يخفى أمرا ولا يكتم عنك سرا وتلك صفات لسانى وقلبى معك فما الذى ابتغيه بعد وقد بعثت اليك بالاصغرين وما أنا الا بهذين نعم ارجو بقاك ممتعا بنعمك لأكون على الدوام محل نظرك والسلام

(٧٣) ومن ذلك ما كتبه الفاضل مصطفى افندى نصر فى التهانى

أيها العزيز :

اكتب اليك والعين قريرة والنفس مسرورة والقريحة قد اوسعها الفرح جودة والفكر قد جلا الصفاء عنه كسادا واللسان قد اورثه الانشراح طلاقة والكلم قد يسر الحبور جموحها ووطأ من اكنافها والتحرير قد أسلس الجذل قياده وأدنى ملتمسه فاللسان يتلو فى اساطير القلب سور السرور وينطلق بما يمليه عليه من آى التهنئة وصيغ التبريك وهو لا يتكلف لعبارة صوغا ولا للفظ بحثا اذ قد كفاه طيب الخاطر وابتهاج النفس مؤنة ذلك وأراحاه من عنائه فالالفاظ تتسابق اليه والعبارات تتوارد عليه والمترادفات تتجمع بناديه فيختار منها ما طابق واقع الحال واقتضاه مقتضى المقام الا أن الحق أقول ان العبارات ولو تهيأت أسبابها وتوفرت موادها ضيقة النطاق عن حصر الغرض غير محيطة بمكنون الضمير فى الاعراب كيف لا وحديث التهنئة أسوقه الى زهرة الاخوان وكوكب الاقران وحلية الاكفاء قريع دهره فى الادب

منقطع القرين فى العلم إمام اهل الفضل قدوة ارباب الكمال من استمسك من الجد بالعروة الوثقى فشغل من القلوب امنع مكان وحلّ بأسمى منزل فحضت له الاخلاص وتمنّت له اجزل الصلات وتحرّت له اكمل الرضا وهكذا فليجز الذين أُتوا العلم والفضل وياحبذا لو اتبع اولو الفضل سننه وكان لهم به اسوة حسنة فالسؤدد غاية الطريق التى اتخذها والنجح لؤلؤ اليمّ الذى خاض لجته فلعمر الصدق ان فى الاجتهاد ارتياحه وفى العمل طيب خاطره وفى المثابرة سروره والاقدام دأبه ومضاء العزيمة ديدنه والمعارف سبيله والعلم دليله والعقل هاديه والسريرة رقيبه والنفع مرمى غرضه والكمال غايته »

(٧٤) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد الخالق بك ثروت فى التقاضى

« اليك يامن قد استأسر النفوس بكرمه واسترقّ الاحرار بجميل صنعه وأولى النعم والخيرات وأسدى المعروف والمبرات ارفع كتابا تبعثه الى ناديك العالى عوامل الحاجة وتزجيه الى ساحتك دواعى الشدة آمل ان يكون تذكرة بأمرى والذكرى تنفع المؤمنين وتفكرة بحالى والله لا يضيع اجر المحسنين فقد كان سيدى رفع الله قدره وأعلى مرتبته وعدنى ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة الوثقى ويقطع حبل الاخلاف بسيف الوفاء ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء أن يرسل لى من خيراته ويوليني من آلائه وحسناته ويضاعف لى من مننه ويزيدنى من عطائه ما اشد به ازرى على الزمان واطاول به نوائب الحدثان فقد بارزنى الدهر بسيوفه ورمانى بسهامه وأناخ علىّ بكلاكله وقد طال الامد على حاجتى عند سيدى اطال الله بقاءه حتى طار غراب شبابها وصاح

بجانب ليلها خفت ان تكون هبت عليها ريح النسيان وعصفت بها عاصفات الحدثان فكتبت الى سيدى ومولاى تلك الرقعة أستعجل بها برّه واستدرّ بها ضرع عطائه علما بان التعجيل يكبر العطية وان كانت صغيرة ويكثرها وان كانت يسيرة فعسى ان يكون قد لاح نجم النجاح وهبّ نسيم الفلاح فيرسل سيدى الىّ سحاب كرمه ويمطرنى من غياث فضله فترف غصون آمالى بعد ذبولها وتضحك وجوه مطالبى بعد عبوسها وأملى فى ذلك فسيح فان سيدى من اكرم الناس نسبا واشرفهم حسبا ومثله جدير بحفظ العهد وانجاز الوعد فان رأى سيدى أن يخفف ثقل الحاجة عنى ويرد ما سلبه الدهر منى بقطرة من بحر عطائه ومنة من بعض آلائه ويجبر ما كسره الفقر من جناحى ويردّ عنى النوائب التى لا تفتأ تتولانى عقدت لسانى على مدحه ووقفت نفسى على شكره فيحرز من الله اجرا جزيلا ومنى شكرا جميلا ان شاء الله

(٧٥) ومن ذلك ما كتبه الفاضل احمد افندي رأفت فى القاضى

« السيد الكامل ادام الله علاءه واطال بقاءه وجعله موئل الكرم ومسدى النعم قد غمرنى بنعمائه وطوّقنى بآلائه حتى قصرت حمدى عليه وأمسكت لسانى عن الشكر الا اليه وكان من منته علىّ وأياديه البيضاء لديّ أن وعدنى أنه يقلدنى فى اول العام وظيفة عالية ومرتبة سامية فاخضلّ روض الامل بعد ذبوله وبزغ كوكبه بعد أفوله واتسع نطاقه واستبشر القلب بنيل امنيته والحصول على طلبته واشتد ازرى على مقارعة كتائب الزمان وقوى جنانى على صد جيوش الحدثان وما زالت بى الايام حتى حان اول العام وما تحقق الوعد أو أوفى العهد

ومثل السيد من اذا وعد وفى أو تعهد أوفى ومولاى يعلم ان صاحب الحاجة سيىء الظن بالايام مريض الثقة بالأنام فداخلتنى لذلك الظنون وأسلمت خاطرى الهواجس وعاد الدهر مغضبا يقارعنى بسيفين ويطاعننى برمحين كأنما يقتصّ منى جزاء ما جنته يداى من اثم الاستظهار عليه واسلمتنى زرق الخطوب وتغشتنى سود النوب واحدقت بى حمر الكرب وصبت علىّ صروف الدهر فصرت الى حال لايحلو وأنزلت الى عذاب لا يعذب وألجأنى صفر اليدين الى ركوب متن الدين فصار العناء سميري والشقاء نجيي والغموم لزامى والهموم ندامى وقرارة الاكدار مقامى حتى تخيلت ان المنون الىّ بالمرصاد فخفت المصار الى دار القرار قبل بلوغ الاوطار

أفى دين ذى المعروف يجمل أننى ... تنوء بى البؤسى وينقانى العسر
وأنت الذى أعطى المكارم حقها ... ولم يحك جدواك السحاب ولا البحر
فعجل فخير البر يحمد عاجلا ... وأوف فوعد الحرّ دين به الحرّ

هذا ولكنى رجعت وحكمت العقل فعذرت السيد وحملت ذلك على انه انما لم يعجل بانجاز وعده وايفاء عهده الا لتقليد عبده وظيفة اسمى ومرتبة اعلى وأرشدنى مرشد الحجا ان امثل تلك الرسالة بين يدى حضرته واوفدها على محلته علّ مولاى يستدرك مافات ويحسن الى عبده فيما هو آت فان شاء انلا يرد طرف هذا الامل كليلا وصحيحه عليلا عجل لعبده من البر ما يسترق به فؤاده ويمتلك به قلبه فملأت بشكره ما بين الخافقين وأسمعت حمده المشرقين وأذعته فى البر والبحر وتابعته فى السر والجهر وان يجد لى سبيلاً فى التوصل الى احدى الطلبتين

وتحقيق احدى الامنيتين رجوته التعجيل باخبارى فاليأس احدى الراحتين ورغبت منه التصريح فذلك مما يريح »

(٧٦) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد العزيز افندى محمد فى التقاضى

عهدى بالسيد الجليل أدامه الله مصدرا للمكارم تشتق منه صفاتها ومظهراً للفضائل تتجلى فيه آياتها سبّاقا الى غايات المجد درّاكا لمطالب الحمد اريحيا لا يصبو الا الى اسداء المنن جوادا لا يطمع طرفه فى بث عوارفه الى ثمن ما أمه أسير فاقة الا وألفى لديه كهفا منيعاً وجاها رفيعا وجنابا مريعا وما قصده ذو حاجة الا وصدر عن مورد فضله شاديا بثنائه معلنا بولائه فلا عهم له الا ارتياد مواقع النعم وافتقاد متعلقات الهمم وإن لى الى السيد حاجة ان لم يسعف بقضائها فياحسرة نفسى وطول شقائها وليست هذه بأول مرة استمحت فيها عالى مروءته واستمطرت صيّب همته فانه طالما طوقنى قلائد نعمه وأرسل علىّ مدرار كرمه فليجر فى هذه ايضا على عادته ويقابلنى بما عودنى من كرامته ومعاذ الله أن أسأله ما ليس فى وسعه أو أن أستقضيه شيئاً يحرص على منعه ولكننى

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلى

والذى يكفل لى تلك البسطة أن يقلدنى سيدى وظيفة مناسبة لحالتى حتى تكون لى درعا أتقى به مهانة الفقر وسيفا أكف به عوادى الدهر وما لى والاقسام عليه فى انالنى هذه البغية بنفيس وقت قضيته فى خدمة العلم واقتناء آثاره وطويل عناء تحملته فى مزاولة الادب واكتشاف أسراره ونفس ارتاضت بالفضل وآثرت غصة الفقر على منة البذل وله من سنيات الفضائل وعليات الفواضل وجليات المآثر وجليلات

المفاخر ما لو أقسم به عليه فى انالة أعز المطالب لألزمه كرم سجاياه برّ ذلك القسم واجابة دواعى الهمم فها أنا ذا أقسم على سيدى بهذه الشيم الباهرات وتلك الاخلاق الطاهرات أن يغرس عندى هذه الصنيعة فقد وجد لها مكانا وأن يسديني تلك المنة حتى لا آلوها شكرانا والا فرايه فى ذلك مسددان شاء الله

(٧٧) ومن ذلك ما كتبه الفاضل حسين افندى توفيق في التقاضى

كتابى الى رب النعماء واليد البيضاء وقد اصبحت كما قال الحريرى « خاوى الوفاض بادى الانفاض لا املك بلغة ولا اجد فى جرابى مضغة » قد التوى على امرى وثقل من حاجتى ظهرى مد الاحتياج على اطنابه وسربلنى الافتقار إهابه والدنيا مكدرة باحداثها وقصورها منغصة باجداثها نعيمها يضفو ولكن لا يصفو وانت كما أعلم مفرج كربتى ومنقذى من شدتى بطرفة من طرف رفدك ولمحة من لمحات برك فان استدررت حلوبة مالك فقد لاذ غيرى بجاهك ما يممت غيرك وكيف يقصد النهر من جاوز البحر ويحتاج الى النجم من يسرى فى ضوء البدر فأستهز عطف جودك وأستمطر سحاب كرمك كيف وانت قبلة المعروف وملاذ الملهوف اليك تشدّ الرحال وبك تناط الآمال اولياؤك منك فى ظل ممدود وهناء وسعود أفأنت الشمس عمّت بالاشراق أو الغيث والى الاندفاق لكن

من قاس جدواك يوما بالسحب أخطأ مدحك
فالسحب تعطى وتبكى وانت تعطى وتضحك

نسب الكرم بك عريق وروض المجد انيق اصل راسخ وفرع شامخ

تهتز للمكارم اهتزاز الحسام وتثبت أمام الشدائد بثغر بسّام

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى انت سائله

حكمت الآمال فى أموالك واستعبدت الأحرار بفعالك ينابيع الجود من انامك تتفجر وربيع السماح بك ضاحك لايضجر فلازلت مولاى متمتعاً بشرف سجاياك وشيك مستمدا الشكر من غراس نعمك ولا زالت الانام تتفيأ بتلك الشيم وتجنى ثمار ذلك الكرم ودمت للمكارم بدر تم لاينالُه خسوف وشمس فضل لايلحقها كسوف أطال الله لك البقاء كتطول يديك بالعطاء آمين

الامثال السائرة

مما يعنى به الاديب من كلام العرب الامثال السائرة المأثورة عنهم فانها كما قال الزمخشرى « قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبيضة منطقها وزبدة بلاغتها التى اعربت عن القرائح السليمة والركن البديع الى ذرابة اللسان وغرابة الالسن حيث اوجزت اللفظ فاشبعت المعنى وقصرت العبارة فأطالت المغزى ولوحت فأغرقت فى التصريح وكنت فأغنت عن الافصاح بلّة الاستظهار بمكانها والتمنع بجانبها عند الانتظام فى سلك التذاكر وافاضة ازلام التناظر وتذاوق بعض اهل الادب بعضها وانها للمحافل اذا حوضر بها بهاء وللافاضل متى اوردوها ابهة وللنثر أنّى سلكتْ أثناءه طلاوة وللشعر كيف انسافت فى تضاعيفه متانة »

منها : البس لكل حالة لبوسها ، اما نعيمها واما بوسها . ان البغاث بارضنا يستنسر . ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا . اياك اعنى واسمعى ياجارة . بلغ السيل الزُّبى . بكل وادٍ اثر من ثعلبه . تجوع الحرة ولا تأكل بثديها . تقطع اعناقَ الرجال المطامعُ . ثار حابلهم على نابلهم . أحشفا وسوء كيلة . الخلَّة تدعو الى السلَّة يخبط خبط عشواء . دون ذلك خرط القتاد . رجع بخفَّىْ حنين . الصيفَ ضيعت اللبن . تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . انجز حرّما وعد . رمتنى بدائها وانسلت . حسبك من شر سماعه . حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق . لا اطلب أثراً بعد عين . لا يحزنك دم هراقه أهله . اليوم خمر وغدا أمر . على اهلها تجنى براقش . شِنْشِنة اعرفها من اخزم . ضِغْثٌ على إبَّالة . ألق دلوك فى الدلاء . كل فتاة بابيها معجبة . أنفخ فى السماء واست فى الماء . كالقابض على الماء . عند جهينة الخبر اليقين . لا تعدم الحسناء ذاما . ألزم المرء من ظله . ياعاقدا اذكر حلاً . قطعت جهيزة قول كل خطيب

وقد جرت آى من القرآن الكريم مجرى الامثال .

منها : قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله . لا تسألوا عن اشياء أن تبدلكم تسؤكم . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم . كل نفس بما كسبت رهينة . ما على المحسنين من سبيل . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى . ولا ينبئك مثل خبير . كل حزب بما لديهم فرحون . لا يستوى الخبيث والطيب . ولا تزر وازرة وزر اخرى .

من يعمل سوأ يجز به . ولا تبخسوا الناس اشياءهم .

وكذا احاديث نبوية .

منها : اذا لم تستحي فاصنع ما شئت . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . دع ما يريبك الى ما لا يريبك . اياك وكل امر يعتذر منه . الحكمة ضالة المؤمن . ان من البيان لسحرا . ان المُنْبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

ومن كلام ابى بكر :

ان البلاء موكل بالمنطق .

ومن كلام على :

المنية ولا الدنية . المرء مخبوء تحت لسانه . قيمة كل امرئ ما يحسن .

وكذا جرت ابيات وشطور من الشعر مجرى الامثال . فمن ذلك قول طرفه بن العبد فى معلقته .

وظلم ذوى القربى اشدّ مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

اذا انت لم تنفع بودك اهله ... ولم تُكِ بالبوسى عدوك فابعد

لعمرك ما الايام الا معارة ... فما اسطعت من ايامها فتزوّد

ولا خير فى خير ترى الشر دونه ... ولا نائل يأتيك بعد التلدد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقول زهير بن ابى سلمى فى معلقته .

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن لم يصانع فى امور كثيرة ... يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ... وإن يرتقَ اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير اهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلَم
ومن يغترب يحسب عدوًا صديقه ... ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومهما يكن عند امرىء من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم
وان سفاه الشيخ لاحلم عنده ... وان الفتى بعد السفاهة يحلم

وقول الشنفرى فى لاميته :

لعمرك ما فى الارض ضيق على امرئ ... سرى راغبا أو راهبا أو هو يعقل
وان مدت الايدى الى الزاد لم اكن ... باعجلهم اذ أجشع القوم اعجل

وقول ابن دريد فى مقصورته

من ظلم الناس تحاموا ظلمه ... وعزّ عنهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه ... أظلم من حيات انياب السفا
عبيد ذى المال وان لم يطعموا ... من غمرة فى جرعة تشفى الصدى
وهم لمن أملق أعداء وان ... شاركهم فيما أفاد وحوى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوما أو غدا
من لم تفده عبرا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى
من قاس من لم يره بما يرى ... أراه ما يدنو اليه ما نأى
من عطف النفس على مكروهها ... كان الغنى قرينه حيث انتوى
وانما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن وعى
وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

وقول المتنبي :

واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الاجسام
يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التكحل فى العينين كالكحل
وما الحسن فى وجه الفتى شرف له ... اذا لم يكن فى فعله والخلائق
يهون علينا ان تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول
ومن ينفق الساعات فى جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى ... فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ... سرور محب او إساءة مجرم
وأظلم اهل الظلم من بات حاسدا ... لمن بات فى نعمائه يتقلب
لا تلق دهرك الا غير مكترث ... مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائت الحزن
واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تكون جبانا
انا لفى زمن ترك القبيح به ... من اكثر الناس احسان واجمال
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
ومن المداوة ما ينالك نفعه ... ومن المودة ما يضر ويؤلم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت ايلام

افاضل الناس اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وليس يصح فى الاذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل
وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وقد عنى كثير من الادباء بجمع امثال العرب وتدوينها واشهرهم ابو الفضل احمد الميدانى النيسابورى المتوفى سنة ٥١٨ للهجرة فانه جمع فى كتاب سماه (مجمع الامثال) ما ينيف عن ستة آلاف مثل بعضها جاهلى وبعضها اسلامى والبعض مولد ورتبها على حروف المعجم وذكر قصص واسباب هذه الامثال وهو كتاب جيد فى بابه وقد طبع سنة ١٢٨٤ بدار الطباعة ببولاق

والف ابو القاسم محمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ كتاب (المستقصى فى امثال العرب) ويروى انه ندم على تأليفه لما وقع له كتاب مجمع الامثال للميدانى ورآه يفوق كتابه فى حسن التأليف والوضع وبسط العبارة وكثرة الفوائد وفى المكتبة الخديوية نسخة من المستقصى مكتوبة بالقلم سنة ١١١٢

الفصل الرابع

« فيما اشتهر من كتب الانشاء »

من اقدم ما كتب فى صناعة الانشاء (كتاب الصناعتين) اى صناعتى النثر والنظم لابى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ وقد رتبه على عشرة ابواب الاول فى البلاغة والثانى فى تمييز جيد الكلام من رديئه والثالث فى معرفة

صنعة الكلام والرابع فى البيان مع حسن السبك وجودة الرصف والخامس فى الايجاز والاطناب والسادس فى حسن الاخذ وقبحه وجودته ورداءته والسابع فى التشبيه والثامن فى السجع والازدواج والتاسع فى البديع والعاشر فى مقاطع الكلام ومباديه

وألف ضياء الدين ابو الفتح نصر الله الموصلى المتوفى سنة ٦٣٧ كتاب (المثل السائر) فى أدب الكاتب والشاعر قال فى خطبته « ان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وقد ألف الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبا وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم اجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لابى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى وكتاب سر الفصاحة لابى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى الا ان كلا الكتابين قد اهملا من هذا العلم ابوابا ولربما ذكرا فى بعض المواضع قشورا وتركا لبابا . . . . وهدانى الله لابتداع اشياء لم تكن من قبلى مبتدعة وقد بنيته على مقدمة ومقالتين فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان والمقالتان تشتملان على فروعه . فالاولى فى الصناعة اللفظية والثانية فى الصناعة المعنوية اه بحذف . وقد طبع سنة ١٢٨٢ بمطبعة بولاق . وقد اختصره فى كتاب اضاف اليه الرسائل والتقليدات والمكاتبات والمقاطيع المستحسنة ويوجد هذا المختصر فى المكتبة الخديوية . وشرح المثل ابو منصور الجواليقى وابن ابى الحديد . وسمى شرحه الفلك الدائر على المثل السائر . ورد عليه ابو القاسم محمود السنجارى المتوفى سنة ٦٤٠ فى كتاب سماه نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر . وصنف خليل بن أيبك الصفدى كتاباً سماه نصرة الثائر على المثل السائر . قال فى خطبته ان ابن ابى الحديد

أورد مؤاخذات على صاحب المثل ووجدته قد أغفل كثيرا وأخذ قليلا فأحببت أن اتتبع مواضع المؤاخذات التى تركها

وألف محمود بن سليمان الحلبى المتوفى سنة ٧٢٥ . (كتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل) قال فى خطبته « لما جعل الله لى فى كتابة الانشاء رزقا باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من أجله من اكابر اهلها وأئمتها من عاشرت ورأيت من مذاهبهم فى أساليبها ما رأيت ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت واطلعت بكثرة المباشرة على طرائق والجئت فيها باختلاف الوقائع الى مضائق اي مضائق ونشأل من الولد وولد الولد من عاناها وترشح لها من نجّ من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلى بمعناها فأحببت ان اضع لهم ولمن يرغب فى ذلك فى هذه الاوراق من فصولها قواعد واقيم لهم فيها على مالم يسع الجهل به من اصولها وفروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من ابوابها ويعلموا من طرقها ماهو الاخص باوضاعها والاولى بها

والف ابو العباس احمد القلقشندى نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٢١ (كتاب صبح الاعشى فى كتابة الانشا) وهو كتاب جليل فى بابه الا انه لم يطبع والنسخة التى بالمكتبة الخديوية ناقصة بعض اجزاء وفى الجزء الرابع منه مكاتبات عن ملوك مصر وفى الخامس مقاصد المكاتبات الاخوانيات وما يكتب به الرئيس الى المرؤس والمرؤس الى الرئيس والنظير الى النظير وفى السادس ما يكتب من الولايات عن الملوك وقد اختصره فى كتاب سماه ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر

وقد الف الفاضل سعيد افندى الخورى الشرتونى كتاباً مفيداً سماه

الشهاب الثاقب فى صناعة الكاتب طبع فى بيروت سنة ١٨٨٤

وقد الفت سنة ١٣٠٦ كتاباً فى الانشاء النظرى تكلمت فيه على التفكر فى الموضوع والكتابة فيه وأدرجت فى هذه ستة فصول الاول فى صحة الالفاظ والثانى فى تخير الالفاظ والثالث فى موافقة اللفظ موضعه والرابع فى بلاغة الكلام والخامس فى متانة السياق والسادس فى عيوب الكلام وبعد هذه الفصول ذكرت طرق تعليم الانشاء فى المدارس الابتدائية والتجهيزية والعالية وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٠٦ بمطبعة بولاق الاميرية وقرظه عدة من الافاضل منها ما كتبه صديقنا الفاضل حفنى بك ناصف فقال :

اى عذر بعد هذا الكتاب ... لعَرِيٍّ عن حلية الكتاب

بان وجه الانشاء فيه ولم يبـ ... ـق عسيرا سلوك نهج الصواب

حل بيت الاسماع من غير اذن ... واتى للقلوب من كل باب

ليت شعرى هل يبتغى بعدهذا ... بينات على انتصار دياب

الى هنا انتهى ما اردنا ايراده فى هذا الكتاب والحمد لله على التمام وكان ذلك فى ١٩ شوال سنة ١٣١٤ للهجرة

محمد دياب

المفتش بنظارة المعارف العمومية

حياة المؤلف

« من انشاء ابنه ملتزم طبع الكتاب »

لأيام خلت من شهر رجب سنة ١٢٦٩ للهجرة ، من اسرة شريفة ، فى متوف العلا ، ولد والدى العزيز مؤلف هذا الكتاب ، ولما بلغ اشده وقرأ وكتب وحسب بعث به والده الى الازهر فأخذ فقه الشافعى عن الشيخ ابراهيم السقا ، والنحو والصرف عن الشيخ عفيفى الباجورى ، وعلوم البلاغة والاصول عن الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، والمنطق عن الشيخ الاجهورى الضرير .

وفى اوائل يناير سنة ١٨٧٤ للميلاد دخل مدرسة دار العلوم ، فتلقى فيها التفسير عن الشيخ أحمد شرف الدين المذكور آنفاً ، وفقه أبى حنيفة عن الشيخ سليم عمر والشيخ حسونه النواوى ، وعلوم الأدب عن الشيخ حسين المرصفى ، والدرس التام فى التاريخ العام عن مؤلفه أبى السعود أفندى ، والحساب والهندسة والهيئة وتقويم البلدان عن يعقوب بك صبرى ، والطبيعة والكيمياء عن منصور أفندى أحمد ، والخط عن محمد بك جعفر . — ومدة التعلم هذه كانت نشاطا واجتهادا ومجاراة فى ميادين التحصيل ، فضرب بسهم فى كل علم من هذه العلوم ، وسار فى طليعة نوابغ المدرسة المعدودين — وكتب موضوعات انشائية وعلمية تناسب ذلك العصر ادرجت فى المجلة العلمية التى كانت تسمى روضة المدارس .

وفى ١٦ يوليو سنة ١٨٧٦ اختير معلما للنحو فى مدرسة اطفال الجند

بالقلعة ، وكانت تعرف بالخيرية ، وكان بها ما ينيف عن ألف تلميذ ، فألف لتلاميذه كتاب الدروس النحوية ، وطبعه سنة ١٢٩٤ للهجرة .

وفى ٢١ ابريل سنة ١٨٧٩ اختير مدرسا للحساب والهندسة فى مدرسة (المبتديان) بالناصرية ، فألف كتابه المشهور بالنخبة السنية فى الاصول الحسابية ، وطبعته نظارة المعارف مرتين سنة ١٢٩٨ وسنة ١٣٠٠ بعد ان اعتمده مجلس معارفها الاعلى ، وعم نفعه جميع المدارس ؛ وعرّب من الفرنسوية مسائل تطبيقيه على مقالات الهندسة ، وطبع منها مسائل المقالة الأولى بمطبعة الهلال سنة ١٣٠٢ ، وكذا عرّب الف مسألة رياضية طبعت سنة ١٣١٣ ، وكتاباً فى الجبر لم يطبع — ومع وظيفته هذه عهد اليه فى يناير سنة ١٨٨٢ تعليم الحساب والهندسة وتقويم البلدان فى مدرسة الآثار القديمة . — وفى سنة ١٨٨٦ اختير مدرساً لدروس الاشياء فى مدرسة (المبتديان) السالفة الذكر ، فالف فيها كتاباً ذا ثلاثة اجزاء ، طبع مرات بمطبعة بولاق الاميرية ، وكانت دراسة هذه الدروس فى مدارس الحكومة وغيرها على طبق ما جاء فى كتابه هذا .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٧ اختير استاذاً لتعليم الانشاء فى القسم العالى من مدرسة المعلمين المسماة الآن بالمدرسة التوفيقية (والتعليم فى هذه المدرسة على ثلاث درجات : تعليم ابتدائى ومدته اربع سنين ، وتعليم ثانوى يرقى عن الاول ومدته كانت اربعاً ثم صارت خمساً والآن هى ثلاث فقط ، وتعليم عال أرقى منهما ومدته ثلاث سنين ، والغرض من هذا القسم تخريج معلمين اكفاء ليعلموا فى المدارس) والمترجم له كان استاذ هؤلاء المعلمين فى الانشاء ، فصنف من أجلهم كتاب الانشاء النظرى ، وقرظه كثير من

ادباء العصر ، وقرره ديوان المعارف لتلامذة المدارس ، وطبع فى مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣٠٦ ، وألف أيضاً معجما فى اللغة العربية سماه قلائد الذهب فى فصيح لغة العرب ، ولدرك منزلة هذا المعجم فى دائرة المعجمات اللغوية يراجع ما كتب بشأنه فى باب اللغة من الجزء الاول من تاريخ أدب اللغة هذا وما تقرظه به كبار العلماء ، وطبع منه الجزء الاول بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣١١ — وكان من اللجنة التى عهدت اليها نظارة المعارف تأليف أربعة كتب فى النحو وكتاب خامس فى البلاغة سهلة المأخذ مدرجة على حسب أعمار تلامذة المدارس الابتدائية والثانوية ، فألفت هذه الكتب فحازت رضا الكافة ، وفتحت الطريق لعلوم الادب .

وفى سنة ١٨٩٢ عهد اليه تعليم التاريخ فى مدرسة دار العلوم ، فألف منه خلاصة تاريخ مصر القديم والحديث وقد أقرته نظارة المعارف واستعملته فى بعض مدارسها ، وطبع طبعا حسنا فى مطبعة بولاق — وعرّب من الفرنسوية (تخطيط أوروبا) ولكنه لم يطبع .

وفى فبراير سنة ١٨٩٣ تعين مفتشاً ثانياً للغة العربية فى جميع المدارس ، وفى خلال مدة وظيفته بالتفتيش ألف كتابه هذا .

ومكافأة على قيامه بوظائفه خير قيام وجّه اليه المغفور له خديو مصر توفيق باشا الرتبة الرابعة سنة ١٣٠٣ ، وانعم عليه سمو المولى الخديوى عباس باشا الافخم بالرتبة الثالثة سنة ١٣١٤ .

وقد ساح فى اوروبا أثناء عطلة المدارس ثلاث مرات سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٦ ابتغاء التزوّد من اللغة الفرنسوية فاستفاد وأفاد بما عرّبه منها .

فلنا من هذى الحياة نابغة صرف عصر الشبيبة مجداً فى طلب العلوم ، سبّاقا الى نيل المعارف ، فبلغ فى الكبر مبلغ علاّمة متفنن ، له فى كل جوّ متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، فيّاض بعلمه ، على قومه ، امتعنى الله بحياته مدى الزمان . آمين .

كتب لخمسة عشر يوما خلت من شعبان سنة ١٣١٨

محمد رياض رباب

فهرس

(الجزء الثانى من كتاب تاريخ أدب اللغة العربية)

صحيفة

﴿ الباب الخامس ﴾

« فى تاريخ النحو والصرف والاشتقاق وفيه فصلان »

٢ **الفصل الاول** فى تعريف النحو والصرف والاشتقاق وما يتبع ذلك

٦ **الفصل الثانى** فى تاريخ النحو بالمعنى العام : تكلم العرب كلاماً معرباً بالسليقة . منشأ تولد اللحن . السبب فى وضع النحو . ابو الاسود وغلام كان يتعلم منه النحو

٩ نحاة البصرة : عنبسة الفيل . ميمون الاقرن . عبد الله الحضرمى . ابن العلاء المازنى . عيسى بن عمر . يونس بن حبيب . ابو خطاب الاخفش . الخليل . ابو زيد وابو عبيدة والاصمعي . حماد بن سلمة وسيبويه والنضر بن شميل والزبيدى . قطرب وابن سلام . ابو الحسن الاخفش . صالح الجرمى . ابو عثمان المازنى . الجاحظ . المبرد . ابن دريد

١٩ نحاة الكوفة وأدباؤها : معاذ بن مسلم . ابوجعفر الرؤاسى . الكسائى . الفراء . ابن الاعرابى . المفضلان الضبيان . ثعلب

٢٢ من اشتهر بالادب فى بغداد : يعقوب بن السكيت . ابن قتيبة . ابو اسحاق الزجاج . ابن السراج . نفطويه . ابو بكر بن الانبارى . الزجاجى . ابن درستويه . ابو على الحسن الفارسى . السيرافى

٢٥ ابن جنى . ابن عيسى . الأعلم الشنتمرى . ابو العلاء المعرى . الخطيب التبريزى . الخوارزمى . الميدانى . ابن اسد . الزمخشرى . الجواليقى وابن الشجرى وابن الدهان . عبد الرحمن ابن الانبارى . ابن خروف . ابن الصائغ . ابن الحاجب . ابن مالك . ابن الضائع . ابن آجروم . ابوحيان .

٣٤ ابن هشام . جلال الدين السيوطى

صحيفة

٣٧ دراسة النحو فى الازهر : لمحة من تاريخ الازهر . مآثر مولانا الخديوى الافخم فى الازهر . علماء الازهر وطلابه والعلوم التى تدرس فيه وكتبه النحوية . كيفية الدراسة فيه

٤٠ دراسة النحو فى المدارس : نبذة من تاريخ المدارس . ديوان المعارف وما يتبعه من المدارس والعلوم التى تدرس فيها وما فيها من التلامذة . مدارس الاهالى والاجانب . كتب النحو فى المدارس . طريقة تعليم النحو فى المدارس

﴿ الباب السادس ﴾

« فى تاريخ علوم البلاغة »

٤٤ تعاريف المعانى والبيان والبديع . تاريخ هذه العلوم : اول من صنف فى الجناس . عبد الله بن المعتز وقدامة الكاتب وابو هلال العسكرى وابن رشيق وابن ابى الاصبع وصفى الدين الحلى و بديعيته . بديعية الموصلى . بديعية ابن المقرى . بديعية ابن حجة . بديعية عائشة الباعونية . بديعية النابلسى

٤٦ الشيخ عبد القاهر وكتابه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة . السكاكى والمفتاح ومفتاح المفتاح وتلخيص المفتاح . المطول على التلخيص والمختصر والاطول . خزانة الادب للبغدادى . حواشى على شروح التلخيص . السمرقندية وشروحها وحواشيها . منظومة ابن الشحنة . عقود الجمان . الجوهر المكنون . الرسالة البيانية وحواشيها . الوسيلة الادبية . حسن الصنيع . انوار الربيع . حسن الصياغة . دروس البلاغة

﴿ الباب السابع ﴾

« فى تاريخ المحاضرات »

٥٢ مقدمة . كتاب كليلة ودمنة . العقد الفريد . الاغانى . نثر الدرر . محاضرات الراغب . زهر الآداب . الغرر والدرر . ربيع الابرار . زاد الرفاق . ابو قاش . محاضرة ابن العربى . العدد المعدود . ريحانة الادب . تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون . تذكرة الصفدى . ثمرات الاوراق . فاكهة الخلفاء . روض الاخبار . المستطرف . طراز المجالس . نفحة اليمن

صحيفة

﴿ الباب الثامن ﴾

« في تاريخ الانشاء، وفيه اربعة فصول »

٥٨ **الفصل الاول** في تعريف الانشاء ووجه تعلمه وانواعه

٦١ **الفصل الثاني** في تاريخ الانشاء : تاريخ الرسائل في عهده عليه الصلاة والسلام . عبارة الرسائل . تاريخ الرسائل في عهد الخلفاء . كيفية كتابة تاريخ الرسائل فيما سلف . التوقيع . كتابة الرسائل في الرق الجلد ثم في الكاغد . صناعة الكتابة عند بني العباس وختم السلطان على الرسائل وخاتمه . تاريخ الرسائل التي كانت سائرة بينهم . توخي السجع في هذه الرسائل . ديباجات الكتب الرسمية الآن . الدخول على المقاصد . الامضاء والختم . صدور الرسائل الرسمية اذا كانت جواباً عن أخرى . صدور الرسائل الاهلية وما تتم به . تاريخها وامضاؤها . عبارة الرسائل الرسمية والاهلية . الرسائل المشهورة .

٦٩ كلام في الجرائد . سير التأليف في كتب العلوم . كلام في القصص والروايات .

٧٠ كلام في المقامات الادبية : مقامات الهمذاني . مقامات الحريري . المقامات الازومية . المقامات الزينبية . مجمع البحرين . المقامة الجلالية .

٧٣ كلام في الخطب . دواوين الخطب ومؤلفوها . الوصف

٧٥ **الفصل الثالث** في شذرات من منشآت السلف والخلف : (١) خطب ابوطالب . (٢) كتب عليه الصلاة والسلام الى خالد بن الوليد . (٣) رسالة ابي بكر وعمر الى علي . (٤) خطب عمر بن الخطاب . (٥) وكتب الى ابي موسى الاشعري . (٦) ووقع في اسفل كتاب كتبه اليه سعد بن ابي وقاص . (٧) وكتب عثمان بن عفان الى علي بن ابي طالب . (٨) وخطب علي . (٩) وكتب للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها عهداً .

١٠٠ (١٠) وخطب معاوية . (١١) وخطب الحجاج . (١٢) وله أيضاً .

١٠٢ (١٣) وكتب عبد الحميد رسالة يوصي فيها الكتاب . (١٤) وكتب وصاية على شخص . (١٥) وكتب وهو منهزم . (١٦) ووقع جعفر بن يحيى .

١٠٧ (١٧) وكتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق . (١٨) وكتب عمرو

صحيفة

ابن مسعدة الى المأمون . (١٩) وكتب طاهر بن الحسين لابنه . (٢٠) من نثر ابن العميد . (٢١) وكتب القاضى الفاضل . (٢٢) وكتب ايضاً الى الطبرى . (٢٣) وكتب ابو الفتح على . (٢٤) وكتب ابن عباد .
١١٩ (٢٥) وكتب البديع الهمذانى . (٢٦) وكتب الى القاسم الكرجى .
١٢٢ (٢٧) وكتب الى ابى عامر الضبي . (٢٨) وكتب ابو بكر الخوارزمى .
١٢٥ (٢٩) وكتب الى تلميذ له . (٣٠) وكتب الى صديق . (٣١) المقامة السادسة المراغية . (٣٢) المقامة الثامنة من اطواق الذهب . (٣٣) المقامة السابعة والعشرون من اطباق الذهب . (٣٤) وكتب صاحب نسيم الصبا في وصف السماء وزينتها . (٣٥) وله ايضاً في وصف الشمس والقمر .
١٣٨ (٣٦) وله ايضاً فى وصف البحر والنهر . (٣٧) وكتب عبد الله باشا فكرى عن الحضرة الخديوية الى ملك دارفور . (٣٨) وكتب ايضاً الى صاحب الدولة رياض باشا . (٣٩) وكتب الشيخ عبد الهادى الابيارى الى الشيخ الحلوانى . (٤٠) وكتب اليه ايضاً . (٤١) جواب الرسالة السابقة .
١٦١ (٤٢) وكتب الابيارى الى الحلوانى ايضاً . (٤٣) وكتب القاضى الفاضل الشيخ محمد عبده وهو في السجن . (٤٤) وجاء في الجريدة الرسمية من انشاء الفاضل الشيخ عبد الكريم وصف ليلة راقصة فى قصر عابدين .
١٧٣ (٤٥) وجاء في جريدة الاهرام فصل « قعود البنات » . (٤٦) وجاء فى جريدة المقطم فصل (القمر فى الشرق) . (٤٧) وجاء فى جريدة المؤيد وصف ليلة ماطرة . (٤٨) وكتب الفاضل حفنى بك ناصف الى الفاضل السيد توفيق البكرى . (٤٩) وكتب الفاضل الشيخ ابراهيم اليازجى . (٥٠) وكتب الفاضل مصطفى بك نجيب فى « الفونوغراف » . (٥١) وكتب الفاضل حسن افندى توفيق . (٥٢) وكتب الفاضل مصطفى افندى الدمياطى فى « الاناة » .
١٩٠ (٥٣) وكتب الفاضل احمد بك ذكي فى وصف رومية المدائن . (٥٤) وعرّب فصلاً من احدى الحجلات الفرنسوية . (٥٥) وكتب الفاضل السيد محمد على البلاوى « من خطبه المنبرية » . (٥٦) وكتب الفاضل على افندى حامد يشكو ويستعطف . (٥٧) وكتبتُ المقامة الجلالية . (٥٨) وكتبت الى خليل شطّ مزاره . (٥٩) وكتبت الى صديق سافر الى الاندلس .

صحيفة
٢١٣ (٦٠) وعرّبت من الفرنسوية الى العربيـــة «وصف مساء صيف» ·
٢١٤ (٦١) رسالة فى الشوق للفاضل الشيخ حمزة · (٦٢) رســالة فى التهادى للفاضل الشيخ عبد الكريم · (٦٣) رســالة فى التهادى للفاضل حنفى بك ناصف · (٦٤) رسالة فى التهادى للفاضل محمود بك ابى النصر · (٦٥) رسالة فى التعارف للفاضل سلطان افندى محمد · (٦٦) رسالة فى التعارف للفاضل احمد افندى سمير · (٦٧) رسالة فى التهادى للفاضل الشيخ احمد مفتاح ·
٢٢٠ (٦٨) رسالة فى التهانى للفاضل الشيخ طه محمود · (٦٩) رسالة فى التعارف للفاضل البلاوى · (٧٠) رسالة فى التهادى للفاضل عبدالله افندى الانصارى ·
٢٢٣ (٧١) رسالة فى التهانى للفاضل محمد افندى على المنياوى · (٧٢) رسالة في الشوق للفاضل وفا افندى محمد · (٧٣) رسالة فى التهانى للفاضــل مصطفى افندي نصر · (٧٤) رســالة فى التقاضى للفاضل عبد الخالق بك رُوت · (٧٥) رسالة فى التقاضى للفاضل احمد افندي رأفت · (٧٦) فى التقاضى للفاضل عبد العزيز افندى محمد · (٧٧) رسالة في التقاضي للفاضل حسين افندي توفيق
٢٣٠ في الامثال السائرة
٢٣٥ **الفصل الرابع** فيما اشتهر من كتب الانشاء

خطأ وصواب

المرجو ممن اطلع على هذا الكتاب أن يصحح ما يأتي :

« في الجزء الاول غير ما سبق »

صحيفة	سطر	خطـــــأ	صـــــواب
٦٠	٦	نضر بن عاصم	نصر بن عاصم
٩٣	٥	طعنوا	اطّعنوا
١٠٤	١٣	مهدرا	مهدا
١٠٧	٩	فبكرٍ	فبكرٌ
١٣٢	٦	البلبل	البلل
١٤٣	٢٢	الجليل	الجيل
١٥٠	١٢	فوارع	فوارغ
١٥٩	٨	الكثير	الكسير
١٦٠	٨	تَعُدّ	تُعَدّ
١٦٠	١٦	صبرُه	صبرَه
١٦٧	١١	نطقت قد	قد نطقت
١٨٤	٣	ببنيها	ببينها

« في الجزء الثاني »

٢٠	١٤	بايعاذ	بايعاز
٢٤	١٢	وابوحسن الفارسى	وابو على الحسن الفارسى
٣٦	١٩	اسمآء	اسماء
١١٣	١٠	بمنزلة	بمنزله